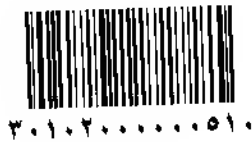


بسم الله الرحمن الرحيم



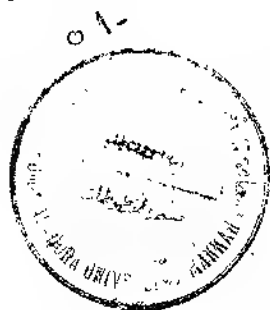
جامعة دار القرى
كلية الشريعة
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع الكتاب والسنة

تحرير العقل وتبئيت التوحيد في مضوء الكتاب والسنة

لنيل شهادة الدكتوراه في الكتاب والسنة
مقدمه من الطالب

٢٥٩١

أحمد فال ولهمحمد الموريتاني



أشرف الدكتور
محمد جبر المنعم القيغبي

١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على نبيّه الكريم

مقدمة الرسالة :

الحمد لله الذي عمّ برحمته جميع العباد ، وخص أهل طاعته
بالهداية إلى سبيل الرشاد ، ووفقههم بلطفه لصالح الأعمال ، ونحمده
سبحانه الذي بين لنا بمحض فضله شريعة الاسلام في كتابه العزيز ، وبين
لنا ما غفي من معانيه الجمة بصحيح حديث خير الأنام ، فأظهر لنا
ما أودع الله في كتابه من الودائع من غفيا الأسرار ، ومكان الأنوار ،
رضي بالاسلام ديننا ، وفرض الاستسلام له ايمانا و يقينا ، ووفق من شاء
من عباده لابرار الحق وابدائه والكشف عن مكنون عقود اللآلي بمسند
خفائه ، نحمده حمدا يوافي ما تزايد من نعمه منور الأنوار ومظهر عجائب
الأسرار ، وواهب السمع والبصر والفؤاد ، الذي أبدع بقدرته اظلاكا
دائرة ، وزينها بنجوم ثابتة وسائرة ، وجعل منها الشمس ضياء والقمر
نورا وقدر كل شيء بحكمته تقديرا ، لا غنى الا في الافتقار اليه ، ولا هدى
الا في الاستهداء بنوره ، ولا حياة الا في رضاه ، ولا نعيم الا في قربه ،
ولا صلاح للقلب ولا فلاح له الا في الاخلاص له ، وأشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له كلمة قامت بها الأرض والسموات ، وخلقت لأجلها
جميع المخلوقات ، وبها ارسل الله تعالى رسله وأنزل كتبه ، وشعر
شرائعه ، ولأجلها نصبت الموازين ، ووضعت الدواوين ، وقام سوق
الجنة والنار ، وبها انقسمت الخليقة الى المؤمنين والكافرين ، والأبرار
والفجار فهي منشأ الحق والأمر ، والثواب والعقاب ، ومنها وعسى

حقوقها السوءال والحساب ، وعليها يقع الثواب والعقاب ، وعليها
 نصبت القبلة وأسست الملة ، وجردت السيوف للجهاد ، وهي حق الله
 على جميع العباد ، فهي حكمة الاسلام ، ومفتاح دار السلام ، وعنها
 يسأل الأولون والآخرون ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وأمينه
 على وحيه وخبرته من خلق المبعوث بالدين القيم ، والمنهج المستقيم
 أرسله الله رحمة للعالمين ، وإماما للمتقين ، وحجة على الخلائق أجمعين ،
 أرسله على حين فترة من الرسل فهدى به إلى أقيم الطريق ، وأوضح
 السبيل ، وافترض على العباد طاعته ، وتعزيره ، وتوقيره ، ومحبتة ،
 وسدّ دون الجنة الطريق فلن تفتح لأحد إلا من طريقه ، فشرح له صدره ،
 ورفع له ذكره ، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة والهوان على من خالف
 أمره ، ففي المسند من حديث أبي منيب الجرشي عن عبد الله بن عمر
 رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بعثت بالسيف
 بين يدي الساعة ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي
 تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصفار على من خالف أمري ، ومن
 تشبه بقوم فهو منهم " . وكما أن الذلة مضرومة على من خالف أمره ،
 فالعزة لأهل طاعته ومتابعيه ، قال تعالى : * ولا تهنوا ولا تعزبنوا
 ١٥ وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * وقال : * ولله العزة ولرسوله
 ١٦ وللمؤمنين * وقال جل ذكره : * فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وانتم
 ١٧ الأعلون والله معكم * وقال أيضا : * يا أيها النبي حسبك الله ومن
 اتبعك من المؤمنين * إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى لكثرتها
 في هذا المجال .

سورة آل عمران الآية ١٢٩

سورة المائدة
 سورة محمد

هذا وبعد أن من الله الحليم المنان عليّ بالدخول في جامعة الملك عبد العزيز سابقا - جامعة أم القرى حاليا - وأنهيت المسودة المنهجية ، وفترة رسالة " الماجستير " التي كانت بعنوان : " الزواج في ضوء الكتاب والسنة " وكانت بإشراف : الدكتور / الحسين هاشم عبد المجيد ، جزاه الله عني كل خير ، بعد هذه البرهة التي لم تنزد على الوقت المحدد لها نظاميا بل قد تكون نقصت عنه لله الحمد ، بدأت أفكر في موضوع أجعله عنوان بحث الدكتوراة ، وقد من الله عليّ منة أخرى حيث صادف هذا الموقف لحسن الحظ وصول الدكتور الفاضل محمد عبد المنعم القيمي المتخصص في القرآن والسنة والوحدة الموضوعية في القرآن ، وقد شاء الله لي أن يكون هو المشرف عليّ في هذه الرسالة لله الحمد ، فأعطاني اهتماما كبيرا ، وأطلعني على مجالات واسمة ، وكانت شيمته النصح والحث على التحصيل ، والمثابرة ، والتحقيق ، والتنقيح ، فدفعني الى الأمام وحثني على الدوام ، حتي أتم الله هذه الرسالة في ثوبها الجديد تحت أوامره وتوجيهاته ، فجزاه الله عني أحسن ما جوزي به عالم عن متعلم وأمين على ما أوثمن عليه .

هذا وحيث ان مجال البحث ينهضي أن يتأثر بما يجري في العالم الاسلامي من عادات وأخلاق ، وحتى لا تغفل الرسالة عن مهمة المشاركة في التوجيه لاسيما في هذا الوقت بالذات الذي سيطرت فيه العادات والتقاليد الواهية على أغلب المبادئ ، وبعدت الناس عن الأصلين العظيمين ، اللذين هما المصدر الأول والثاني للتشريع ، الكتاب والسنة ، في هذا الوقت أحببت أن تكون رسالتي هذه فيها

تلميحات وإشارات توقظ العقل السليم المدرك إلى ما هو سائد في الناس اليوم من الجمود على العادات والتقاليد الواهية التي لا أصل لها سوى أنها متداولة بين العامة والخاصة ، وقد فيها الصغار الكبار فأصبحت كأنها نص محكم لا يجوز العدول عنه .

هذا وصليهم أن المجتمع الإسلامي يدعو إلى ما يدعوا إليه الإسلام ، حرية الفرد ، والمساواة بين الناس ، وهو في حقيقته وجوهه مجتمع حر غير طبقي وانعدام الطبقة فيه ليس على أساس نظرية اقتصادية أو نظرية مادية ، وإنما على أساس أشمل وأوسع ، أساس شريعة الأيخاء والمساواة بين الناس ورفض الاعتراف بامتياز أو فضل إلا من خلال التقوى ، والعمل الصالح لخير الفرد والجماعة ، والامتثال لشريعة الله القائمة على مبادئ العدل وعدم الطبقة .

فالإسلام عقيدة وشريعة ، هو : دين وثقافة واسلوب حياة ، هو أمة ودولة لها شريعتها المتكاملة والمتطورة لتدبير شئون هذه الدنيا والتجاوب مع حاجات الإنسان لكي يحيا حياة إنسانية كريمة خاضعة لسيادة الخالق وحده ، هذا ومع أن عبد الناس قوى كثيرة ، أما عبادة أصلية ، وأما لا تخاد عبادتها زلفي ، وتقربا إلى تلك القوة العظمى القاهرة التي يدركونها بفطرتهم ، عبدوا الأشباح ، والأرواح ، والجمادات ، والحيوانات ، والنجوم ، إلى غير هذا ، وماتوهما أن فيه القوة أو أنه مثل لها أو مظهر من مظاهرها ، بل عبد بعض الناس بعضا ما تجلست فيه قوة غير طبيعية ، وإذا نظرنا في تاريخ أديان البشر وجدنا الشرك في الغالب نتيجة لبدع أحدثها الناس ، فعددوا الآلهة ونوعوها ، وأقام

الشيطان ويبعدها الأسد عن المهمة التي خلقت من أجلها " وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون " وقد اثبتت في هذه الرسالة الخطة التالية :

جملت الفصل الأول : " تحرير العقل وتثبيت التوحيد "

ومحت النقاط الرئيسية التي عنت لتوها في هذا الفصل ، عرفت العقل وقلت : انه من النعم الكبار التي اعطى الله للعبد ، والدليل على ذلك ان العبد لا يخاطب بفروع ولا أصول الا اذا كان عاقلا ، وهذا محل اتفاق " فاذا أخذ ما وهب أسقط ما أوجب " ولفظ العقل ومشتقاته ورد في القرآن أكثر من اربعين مرة ، ولا خلاف بين المسلمين وغير المسلمين انه من المزايا العظمى ، والقرآن الكريم لم يذكر العقل الا في مقام التعظيم ، والتنبيه الى وجوب العمل والرجوع اليه ، ولا تأتي الاشارة اليه عارضة ولا مقتضية في سياق الآية بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة باللفظ والدلالة والتكرار في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم العقل ، أو يلام المنكر على اهمال عقله وقبول الحجر عليه ، ويعد هذه النبهة عن الموضوع الأول : " تحرير العقل " .

انتقلت الى الموضوع الثاني الذي هو : " التقليد " لكونه

هو العائق الأول الذي يحول بين العاقل والتفكير وامان النظر فيما يواجهه ، وقد عرفت لفة وشرعا ، وقلت انه اتباع القول من غير معرفة دليله ، وان من ظهر له الدليل ومشى معه يكون متبعاً لا مقلداً ، وهذا هو الحق الذي لا ينفكي المدول عنه ، وان كل مسلم مطلوب منه تحكيم الكتاب والسنة والأئمة الاربعة أصحاب المذاهب المشهورة كل واحد منهم رضوان الله عليهم أوصى بان قوله انما خالف الكتاب أو السنة لا يعتد به

ولا يلتفت اليه ولا يعمل به ، وقلت في هذا الموضوع : ان اسسم المذهب لا يتناول مواقع النصوص الشرعية السالمة من المعارض وذلك أمر لانزاع فيه لاجماع العلماء على أن المجتهد اذا قلم باجتهاده دليلًا مخالفًا لنص من كتاب أو سنة أو اجماع أن دليله باطل بلا خلاف ، وانه يرد بالقادح المسمى في الأصول بفساد الاعتبار ، وقد أوردت أدلة المقلدين وبينت حجج الناعمين والمجيزين ، وذكرت أقسامه وان منه ما هو جائز وتتبع الخلافات وبينت الراجح منها والذي يشهد له الدليل ، وبعد توضيح هذا الموضوع خلصت الى موضوع آخر هو :

” تأثير البيئة على العقل ”

لكونه له اساس بنعدم تحكيم العقل ، والبيئة وما يحدث فيها تحدد اتجاه الانسان ، وقد يظل أسيرها ، وتأثير البيئة على الناس مشاهد في سلوك الناس ، وتحكم العادة وقوة سلطانها ، وقد برهنت على هذا الموضوع بقصة رجل بني اسرائيل الثابتة في الصحيحين والذي قتل مائة نفس وقلت أن العالم أرشده الى قرية أهلها صالحون ، ونصحه بمفادرة القرية التي كان يسكنها وتلبس فيها بهذه الجرائم ، لأنها قرية سوء ، ووجوب الهجرة في بدو الاسلام من هذا القبيل وان كان تكثير سواد المسلمين والفرار بالدين خوفا من الافتتان والاكراه على الكفر هما السببان الرئيسيان ، ولكن الجو الصالح والجليل الصالح لا شك فسي أن الله ينفع بهما ، والبيئة لها ما تفرضه من قوة على نظم المجتمع وخاصة شئون التشريع والعادات والتقاليد ، ونظم الاقتصاد والمستوى الحضارى والنزوع الى الحرب أو السلم ، ونسب الى البيئة الجغرافية الفضل فسي

تثبيت دعائم الحكم في المدن القديمة ، وقد احتل موضوع البيئة مكان الصدارة في المناقشات التي اثيرت حول العوامل المؤثرة في حياة المجتمعات ، وذكرت في هذا الموضوع ان من الناس من يذهب الى أن التباين بين أمة وأخرى سوا * في التفكير أم في شئون الاجتماع يرجع الى ماخضعت له كل أمة من مؤثرات البيئة ، واتجهت بعد هذا الموضوع الى موضوع آخر هو : " الارهاب الفكرى " .

ونذكرت في هذا الموضوع عدة نقاط : منها أن مجال الدراسة الذى يعرف باسم التاريخ الفكرى ليس أمرا محدود الجوانب ، فقد يندرج تحت هذا العنوان مدى فسيح من الموضوعات الفعلية من آثار الفلاسفة المعنيين في التجديد الى التعبير عن الخرافات الشائعة مثل التشاؤم الشديد من العدد ١٣ ، وقلت : أن مؤرخوا الفكر تعرضوا لأفكار الفلاسفة كما تعرضوا للآراء التي يعتنقها رجال الشارع ، ومهتهم الأساسية محاولة " التعرف على العلاقات بين آراء الفلاسفة والمثقفين ، والمفكرين ، وطريقة العيش الواقعية للملايين الذين يحملون على عواتقهم واجبات المدنية .

ومؤرخوا الفكر تهمة الأفكار أنى وجدها سواء كانت أفكارا همجية أم معقولة تأملا دقيقا أم تحيزا عاما ، ولكنه يهتم بهذه الشار من نشاط الانسان العقلي ، من حيث تأثيرها في وجود الانسان كله ، أو تأثيرها بهذا الوجود ، وقلت : ان قصة موسى عليه السلام تمثل الموضوع خير تمثيل ، وهي : متناثرة في القرآن العظيم ، ووردت في كثير من

السور ، وقد بينت هذه السور وعينتها وذكرت موضوع كل سورة بما يكفي عن ذكره هنا ، وهكذا كفاني ما في هذه القصة من الارهاب المتمثل في فرعون وملائه ، والذي مارسه في بني اسرائيل ما همني في هذا الموضوع .

وأتبعت هذا الموضوع بموضوع الآيات الأرضية : وبينت هنا شبهة منكرو البعث ، والحشر والنشر وردت على هذه الشبه ، وتعرضت لتفسير بعض الآيات ، وما جرائه البحث مما له علاقة من قريب أو بعيد بهذا الموضوع وتطرقت الى دوران الأرض وعدمه وأوردت آراء العلماء المعاصرين والذين تعرضوا لهذا الموضوع حين قامت زوبعته ، وختمت كلامي بأن كثيرا من الناس يرى ان دورانها يعتبر اليوم من الضروريات المعلومة التي لا يجادل فيها الا قاصر قصورا مخلا ، بينما يرى البعض الآخر أن اعتقاد دورانها وثبوت الشمس كقر يواح مخالف للكتاب والسنة . وبعد هذا انتقلت الى فصل آخر هو : انكار الوجدانية وعبادة الأصنام واحلال التوحيد محل هذا ، وتعرضت في هذا الفصل لشروط قبول العمل وبينت أنها منحصرة في أن يراد به وجه الله وأن يكون خالصا لله سبحانه ، وأن يوافق الشرع ، واتييت بما يشهد لهذا من الكتاب والسنة ومن ضمن الأدلة قوله صلى الله عليه وسلم : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " أي مردود عليه ذلك العمل لا يقبل بسبب ما أحدث فيه ، فالطريق واضحة ومضاهة بالكتاب والسنة ، وكذلك جعلت من ضمن الأدلة حديث : " انا أغنى الأغنياء عن الشرك " وبينت في هذا المكان أقسام التوحيد الثلاثة الربوبية - الألوهية - والاسماء والصفات ، بطريقة موجزة ، ووجوب الطاعة لله وحده ، وشرحت آيات الواردة في هذا المجال

والتي هي من الحجة على من ادعى جند الكفر وخطا خلاف
الرسول صلى الله عليه وسلم تحكيمه مودود ص ٢٦٨ دار المشرق
بيروت

والأحاديث المتعلقة به ، وفي خلاصة هذا البحث ، قلت : ان الذين وقع بينهم بعض الخلافات سواء في أسماء الله أو صفاته أو أفعاله متفقون على تنزيهه سبحانه وان اختلفت الأفهام ، فالمقصد واحد وهو تنزيهه عن النقائص ، فمن أنكر بعض الأسماء أو الصفات فذلك فرارا من التشبيه ، ومن أثبتها فذلك فرارا من التعميل ، وفي الفقرات التالية من هذه الرسالة تعرضت لبعض العادات التي كان أهل الجاهلية يتعاطونها وأبطلها الاسلام وأمر بنهذها وحذر منها ، ومن تلك العادات البهيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام ، ووأد البنات ، والجمع بين الأخوات ، والزواج بالأمهات ، كما أن الربا ، وشرب الخمر داخلان في هذه العادات ، وقد نهى الله عنهما كما نهى عن هذا كله في محكم كتابه وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام الذي شهد له بالتليغ في قوله :

* فتول عنهم فما أنت بملوم * وقد نص القرآن على تحريم هذه الأشياء

١ قال تعالى : * ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام *
 ٢ وقال في شأن الوأد : * وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت *
 ٣ وقال في شأن الأخوات * وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف *
 ٤ وقال أيضا في شأن الأمهات : * حرمت عليكم أمهاتكم * وأما الربا فانه كان متفشيا فيهم فليحذر الذين يهونون من شأنه ويتعاطونه : * يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة .

أما النقطة الأخيرة من هذه العادات فهي الخمر ويكفي في الزجر

٥ عنه قوله : * فهل أنتم متتهون * فمن لم ينته فانه سوف يقف بين

١ سورة المائدة الآية ١٠٢
 ٢ سورة النكوير الآية ٨-٥
 ٣ سورة النساء ٢٢
 ٤ سورة آل عمران ١٢٠

يدى الله بدون حجة وعندئذ فسوف يكون الشراب طينة الخيال ، والندم
كثير والوقت طويل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ،
* وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون * .

وفي فقرات الرسالة الأخيرة تعرضت لموضوعات شتى :

الموضوع الأول : مانسب الى الامام ابي حنيفة من رد الأوقاف ومنع
الأحباس استنتاجا من قوله * ماجعل الله من بحيرة *
وقلت : ان لامناص من نسبة هذا القول اليه حسما
رأيت .

الموضوع الثاني : النذر ، وقلت ان الوفاء به واجب اذا كان المنذور
جائزا ، وان العلماء لا يحبون النذر لكونه " انما
يستخرج به من البخيل " وبحث الخلاف فيه ،
وما يجب فيه الوفاء وما لا يجب استنتاجا من استفسار
الرسول صلى الله عليه وسلم للذين نذروا ، وقلت أن
العلماء لم يحرموا النذر لكون الله مدح الوافين به
في قوله تعالى : * يوفون بالنذر ويخافون يوما كان
شره مستطيرا * .

هذا وقد رجعت في هذا البحث الى كثير من أمهات الكتب
المتداولة اليوم من كتب التفسير والحديث ، والأصول ، والفقه ، والتاريخ
والسير ، وعلم الاجتماع ، وعلم الفلك ، وقد تركت كثيرا من الكتب التي
رجعت اليها لم نثبتها في قائمة المراجع وذلك لسببين : الأول : ان
الأقوال كثيرا ما تكون متحدة فنعتمد احدهما ونترك الباقي ، ثانيا : عدم

١- سورة النمل الآية ٤٤٧
٢- سورة النمل الآية ٧

تكرار الرجوع اليها والأخذ منها ، وهكذا كان سيرى في هذه الرسالة على النحو الذى بينت ، والله المستعان والهادى الى سبيل الرشاد .

هذا وبعد المقدمة التى بينت فيها سبب اختيارى لهذا الموضوع وطريقة بحثي له ، والنقاط التى تعرضت لها حان الوقت للرجوع الى أم الكتاب ، والالتحام مع صلب الرسالة بادئا بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه الكريم .

بسم الله الرحمن الرحيم
المصباح الاوول في تحرير الراسم للعقل

تحرير العقل وخصائصه

العقل الحجر والنهي ضد الحق ، والجمع : عقول ،
وعقل يعقل عقلا - ومعقولا . وهو : مصدر ، وقال سيوييه
وهو : صيغة ، وكان يقول : ان المصدر لا يأتي عن وزن مفعول
البتة ويتأول المفعول فيقول : كأنه عقل له شيء أي : حبس
عليه عقله وأيد وسدد ، وقال : ويستغني بهذا عن المفعول الذي
يكون مصدرا ، وعقل فهو عاقل وعقول من قوم عقلاء ، قال ابن
النباري : رجل عاقل هو الجامع لأمره ورأيه مأخوذ من عقلت البصير
إذا جمعت قوائمه ، وقيل : الذي يحبس نفسه ويردّها عن هواها
أخذ من قوائمه : قد اعتقل لسانه إذا حبسه ومنع عن الكلام .
والمعقول ما تعقله بقلبك والمعقول القلب يقال ماله قلب : أي :
عقل وهو أحد المصادر التي جاءت على مفعول كالمتصور . والمصور ،
وعاقله فمقله يعقله بالضم كان اعقل منه ، والمقل : التثيت فسي
الأمر - وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك
أي يحسبه ، وقيل العقل : هو : التمييز الذي يتميز به الانسان
عن سائر الحيوان - ويقال لفلان قلب عقول ولسان سوءول - وقلوب
عقول فهيم " وعقل الشيء يعقله عقلا : فهمه ، ويقال : اعتقلت
فلانا ، أي الفيتة عقلا ، وعقلته صيرته عاقلا ، وتعقل تكلف
المقل كما يقال : تحكم ، وتكيس - وتعاقل أظهر أنه عاقل -

- (١) فهم وليس بذلك ، وفي حديث الزهري : أحب صبياننا النساء الأئمه العقول . وعقل الدواء بطنه يعقله ويعقله أسكه وقيل أسكه بعد استطلاقه ، وما سبق تبين من معان العقل في اللغة : الحجر كان أول خاصية من خصائص العقل . هي المنع والكف لا عن كل شيء بل عن بعض الأشياء فقط وبأني هنا دور الشارع فيحدد مايجب على العقل أن يحتج عنه ومايجب عليه أن يقوم به وما يخبر في فعله أو تركه فهو النهي كما قال سبحانه : * ان في ذلك لآيات لأولي النهي *
 وضد العقل الحق ، وهو : التصرف من غير ضابط يضبط مايمتنع عنه وما يفعله ، والعقل قد يصاب بآفة فيختل ويضطرب كما هو :
 الشأن فيمن أضلهم الله كما قال سبحانه : * لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل وأولئك هم الغافلون * أقول وبالله التوفيق : الانسان مسؤول عن تحكم عقله في كل اموره العاجلة والآجلة والقرآن الكريم الذي هو الهداية الواضحة خاطب العقل وأمر اصحاب العقول بالتفكير والاعتبار - كما أن الدين الاسلامي يدعو في نصوص الكتاب والسنة أهل العقول السليمة الى الاعتبار والتفكير والتدبر - واختلفوا في العقل هل هو مصدر أو صفة ، فاذا لاحظنا المصدرية فهو مرجع للانسان فيما يسلكه ، واذا لاحظنا الوصفية فمعد زواله تسقط التهمة والمسؤولية

(١) لسان العرب : ٤٥٨/١١ .

(٢) سورة طه : آية ٥٦ .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٧٩ .

(١) فيمن زال عنه عقله ، وهذا موضع اتفاق ، فاذا أخذ ما وهب ، اسقط ما وجب ، والمقل يتفاوت في أهله فمنهم العاقل ومنهم المقول ، والزائدة المسرفة في جهة من العقل يأتي من النقص الضعيف الذي جهة أخرى وإنه رب عقل كان تاماً عقرباً في أمور إلا أنه ضعيف أهله في أمور أخرى ، والقدر الذي يتعلق به التكليف هو التمييز والقدرة على التفريق بين الضار والنافع ، وقد قد منا قول ابن الانباري : ان الرجل العاقل هو : الجامع لأمره ورأيه كان من خصائص العقل الجمع بين المتأملات والتفريق بين المختلفات ولا بد للعاقل من رأى مستقل يستخلصه ما يجري حوله ، والا كان صاحبه امعة يقول : أنا مع الناس ان أحسنوا أحسنت وان أساؤا أسأت .

وقد أرشد الاسلام كل عاقل ان يوطن نفسه باستقلال الرأى فان أحسن الناس أحسن وان أساؤا أجتنب أساءتهم ، وقد أخذ هذا من قولهم : عقلت البعير اذا جمعت قوائمه كان الانسان بغير عقله يشرد كما تشرد الأبل وتجمع قوائمه بمقله متى عقل . وهذا يرجع الى أن النفس تريد أن تكون مطلقة فيقيدها العقل - ولكل غريزة في الانسان شعور لا سهناً لها إلا أن يكون هذا الشعور حراً حتى فسي التوهم فكان العقل فاصل بين ما هو حقيقة وما هو خيال . فهو اذا يحبس ما ينبغي أن يحبس ويطلق ما ينبغي أن يترك حراً طليقاً ، ويخيل التي أن اللغة فرقت بين العقل والقلب كالتفريق بين الفاعل والمفعول ، فالعقل يقوم به التمثل والقلب معقول فان المعقول يطلق في اللغة اما على نفس القلب أو ما يحمله القلب ، وعلى هذا يكون القلب في اللغة

(١) أداة من أدوات التعمق ويمكن أن يسمفنا القرآن في هذا المسلك كما قال سبحانه : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ وقوله ﴿ فأنسها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور ﴾ وبهذه المعاني كلاً مجتمعاً ومفترقة يؤخذ من ضمنها ان العقل الانساني مدعو الى التفتح والنمو ، والشحرك حين يعتمد عن الخرافات والباطيل ويتمكن من النظر في هذا الكون وما حوله فيدرك الحقيق ويتمتع بنور الله وهدايتة وتتكشف له اسرار ذلك ، ان الانسان بفطرته السليمة محمول على اتخاذ عقائد لديه يطمئن لها ويهتدى بنورها ، ولكن كثيراً من المتدينين انصرفوا عن الفطرة السليمة واتبعوا أهواءهم وما لوامع شهواتهم وقلدوا آباءهم وقادة أديانهم بدون نقد ولا تمحيص فضلوا وأضلوا حتى جاء الاسلام فأراد أن يرجع الفطرة السلي أهلها فحرم على أهله هذا الضرب من العقائد الزائفة وشرط أن يكون أساسها العقل وسندها الدليل ، وحكم العقل مظهر من مظاهر السلوك الانساني ولأجل أن يرفع طريقة العقل الخاص على ما يعترضه من الموائد الواهية أنما باللائمة على مبدأ التقليد فنقضه وعلى أصل التقديس القديم فتهدمه ونص على الواقعيين مع هاتين العقبتين فقال جل ذكره : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴾ وهذا الاتجاه في الاعتماد على العقل لا عهد للانسانية

عادات

- (١) سورة الحج : آية ١٠٤
(٢) سورة البائدة : آية ١٠٤

به الا في العلوم الكونية فليس على المسلم بموجب الأصل الاسلامي أن يتناول عقيدة بدون أن يحكم عقله فيها ويدلّل عليها ، حتى ساغ لأصحاب الأصول من المسلمين أن يفرضوا ان ايمان العقل لا يقبل منه ، لأن العقل من صفات التمييز بين الحق والباطل ، والحسن والقبح والخير والشر . كما أحاطوا التكليف في جميع الفروع الشرعية بالعقل فاذا تعطل فلا تكليف . ولهذا وصف - الاسلام بأنه دين الفطرة ان هو يتماشى مع النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق كامل فهو يسائر مقومات الانسان الجسمية والعقلية في آن واحد بل يحمل على تقويتها وترويضها حتى تقوم بواجبها الفطري ، فلا يعطل غريزة ولا يقف سدا أمام طاقات الفطرة بل يقوى فيها نوازع الخير ويكشف عما في الحياة من نفع وضر وبذلك امتاز على غيره من الأديان لأنه دين العدل بين مطالب الروح ومطالب الجسد ، فهو لا يأمر الآخذ به أن يحرم نفسه من متعة مادية وملذة جسدية مادام يتناولها عن طريقها المشروع وبحدّها المعتدل حتى أن أكثر الآيات القرآنية التي تحض على نيل منزلة روحانية تحض في آن واحد على نيل مكانة مادية ، يقول الله سبحانه * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك * فان انحرفت النفوس عن الفطرة على هذا الدين بتشريعات الجارية على وفق ما يدركه العقل ويشهد به ليرجع تلك النفوس الضالة الى حظيرة الفطرة السليمة ويهتدى

(١)

(١) الى اتباع الطريق المستقيم . قال تعالى : * فأقم وجهك للدين
حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين
القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * .

(٢) والفطرة المرادة هي قوله تعالى : * فطرة الله التي فطر الناس
عليها * .

(٣) هي كما قال ابن عاشور الحالة التي خلق الله عليها ~~خلق~~ النوع الانساني
سالم من الاختلاط بالمعادات الفاسدة ، والأوهام ، والباطيل ،
صالح لصدور الفضائل عنه كما شهد به قوله تعالى : * لقد خلقنا
الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين ، الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات * فالتقويم المراد في هذه الآية انما هو تقويم العقل
الذي هو مصدر المقائيد الحقة والاعمال الصالحة وان المراد برده
أسفل سافلين ، انتقال الناس الى اكتساب الرذائل بالعقائد الباطلة
والاعمال الذميمة ، واذا كان العقل السليم هو طريق الاهتداء الى
المنهج الصحيح بادراك معنى الخير والشر والباطل ، ويتضح بوضوح
ان العقل في مقدمة النعم الكبار التي امتن الله على عباده بها لانه به
يتم التكليف ولا يكون بدونه ، وبه يعرف الباري جل وعلا ويتوجه خطابه
اليها بما فيه من الآيات والاوامر والنواهي ، وقد اعتبر القرآن الكريم
العقل ونبه على ضرورة التفكير والتحصن ولفظ العقل ومشتقاته وردت في

(١) سورة الروم : آية " ٣٠ " .

(٢) سورة الروم : آية " ٩ " .

(٣) الفكر الاسلامي : ٢٨٩ .

- (١) القرآن أكثر من أربعين مرة ، يقول العقاد : لا خلاف بين المسلمين وغير المسلمين ان من المزايا العظام مزية العقل والتتويه عليه في أمر العقيدة ، وأمر التبعة والتكليف مع كتب الأديان الكبرى اشارة صريحة أو مضمونة الى العقل او الى التمييز ، ولكنها تأتي عرضاً غير مقصودة وقد يلحج فيها القارىء بعض الأحياء شيئاً من الزرية بالعقل أو التحذير منه (٢) لأنه مزية العقائد وباب من أبواب الدعوى والانكار ، ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل الا في مقام التعظيم - والتنبيه الى وجوب العمل والرجوع اليه ولا تأتي الاشارة اليه عارضة - ولا مقتضية في سياق الآية بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة والتكرر في كل معرض من معارض الأمر - والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم العقل أو يلام فيها المنكر على اهمال عقله وقبول الحجر عليه ولا يأتي تكرار الاشارة الى العقل لمعنى واحد - من معانيه التي شرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة بل هي تشمل وثلثان الانسان العقلية على اختلاف اعمالها وخصائصها وتعتمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته ، فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع - ولا في العقل المدرك - ولا في العقل المنذرى يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح ، بل مع الخطاب في الآيات

-
- (١) التفكير فريضة اسلامية : ص ٨١٧ .
 (٢) الزرية : رزى عليه فعله : عابه وحقره صحاح الجوهري ٦/ ٢٣٦٨ .
 (٣) التفكير فريضة اسلامية : ص ٧-٨ . محمد العقاد

القرآنية كل ما يتسع له الذهن الانساني من خاصة أو غليفة وهي كثيرة لا موجب لتفصيلها في هذا المقام ان هي جميعا ما يمكن ان يحيط به العقل الوازع والعقل المدرك - والعقل المفكر الذي يتولى الموازنة والحكم على المعاني والأشياء .

أقول وبالله التوفيق : العقل ، نور جعله الله في القلب يميز الصبد به بين النافع والضار ، والحسن والقبح وهو زمام الانسان الوحيد الذي يمسكه عن اقتحام المهالك القولية والفعلية وقد تعرض العلماء لمكان العقل فبعضهم يقول انه في القلب كما قدمت بينما يرى البعض الآخر انه في الدماغ وكل واحد يؤيد قوله بما يرى من الأدلة المقوية لجانبه والذي أراه شخصيا مع الاعتراف بالقصور ان العقل : نور -

جعل الله في القلب وله اشعة ممتدة الى الدماغ والانسان خلقه الله مترابط الاجزاء محكم الأعضاء . نجد من يصاب في عقله لا يحسسن تصرفا ولا توهكل اليه الأمور . بينما نجد من أصيب في دماغه في حالة عدم وعى تامة مع اننا نجد المكفوف يشي في الشوارع والسمرات الضيقة وحده بدون قائد ، وهذا يدلنا على ان النور الذي في القلب يبرى به صاحبه مالا يرى من أصيب في قلبه . فهذا الصاب في قلبه أو دماغه نجده مضطدم بالجدران ولا يستطيع الاهتداء الى شيء . هذا بالاضافة الى ان بعض العلماء يقول ان القلب هو : العقل ،

(١) قال ابن جرير الطبرى في تفسيره لقول الله عزوجل : * ان في ذلك

(٢) لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * حدثني يونس

(١) تفسير ابن جرير الطبرى : ٩٩/٢٢ ط / الميمنية .

(٢) سورة - ق - : الآية ٣٧ .

قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى ﴿ لمن كان له قلب ﴾ قال : قلب يعقل ما قد سمع من الأحاديث التي ضرب الله بها من عصاه من الأمم ، والقلب في هذا الموضع : العقل وهو من قولهم مالا فلان قلب وما قلبه معه أي : ما عقله معه وابن ذهب قلبك يعني : أين ذهب عقلك وقوله ﴿ او القي السمع وهو شهيد ﴾ يقول أو اصفي لأخبارنا إياه عن هذه القرون التي أهلكناها بسمعه فيسمع الخبر عنهم كيف فعلنا بهم حين كفروا برههم وعصوا رسله - وهو ﴿ شهيد ﴾ يعني : متفهم لما يخبر عنهم شاهد له بقلبه . غير غافل عنه ولا ساه ، ثم قال ابن جرير : وينجو الذي قلته في ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت الفاظهم فيه والغرض عندي هو : بيان ان القلب يقال له العقل كما نص عليه ابن زيد في تفسير الآية التي ذكرناها آنفا وإذا كنا لا نجزم بصحة هذا القول لكون السند فيه ليس بذاك ولم يكن مرفوعا فإنه على الأقل يلتبس منه ارتباط القلب بالعقل وأنه ان لم يكن القلب هو العقل فالعقل موجود في القلب كما اثبت التجارب المرئية .

(١) يقول القرطبي : هذه السورة تذكرة وموعظه لمن كان

له قلب أي : عقل يتدبر به فكى بالقلب عن العقل لأنه موضعه قال معناه مجاهد وغيره ﴿ وقيل لمن كان له قلب ﴾ لمن كان له حياة ونفس مميّزة فعبّر عن النفس الحية بالقلب لأنه وطنها ومعدن حياتها ، كما قال امرئ القيس الشاعر الجاهلي المعروف :

أغرك معنى أن حبك قاتلي *** وأنك مهما تاملت القلب يفعل .

(١) قال يحيى بن معاذ في الكلام على تفسير قوله تعالى * لتتذرن من كان حيا * قال القلب قلبان قلب محتش باسغال الدنيا حتى اذا حضرا من الامور الآخرة لم يدر ما يصنع ، وقلب قد احتش بأحوال الآخرة حتى اذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة ، وقوله تعالى * أو القى السمع اى استمع القرآن تقول الصرب الق الى سمعك اى استمع - وهو شهيد اى : شاهد القلب : قال الزجاج قلبه حاضر فيما يسمع وقال سفيان :

(٢) لا يكون حاضرا وقلبه فائتسب وقال القرطبي في معنى قوله تعالى * لتتذرن من كان حيا * الآية .

(٣) قال حيى القلب . قاله قتادة . والضحاك قال عاقلا - وقال الفخر الرازى (٤) في قوله تعالى * ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب * والقلب قد يجعل كناية عن الخاطر والنذير وعند قوم أن محل التفكير هو الدماغ فالتفهيم سبحانه وتعالى بين ان محل ذلك هو الصدر ، وتساءل الفخر فقال : هل تدل الآية على ان العقل هو العلم ، وعلى ان محل العلم هو القلب والجواب : نعم لأن المقصود من قوله تعالى * قلوب يعقلون بها * هي العلم ، وقوله يعقلون بها كالدلالة على ان القلب آلة لهذا العقل فوجب جعل القلب محلا للعقل ويسمى الجاهل بالعمى لأن الجاهل لكونه متحيرا يشبه الأعمى ، وفي سورة الاعراف عند قول الله عز وجل * لهم قلوب لا يفقهون بها * .

(١) سورة يسن الآية : ٦ ٧

(٢) تفسير القرطبي ج ١٥ : ٥٥ .

(٣) تفسير الفخر الرازى ج ٦ - ص : ١٦٦ .

(٤) سورة - ق - الآية : ٣٧ .

قال الفخر احتج العلماء بأن محل العلم هو القلب أقول وبالله التوفيق لا شك ان العقل ان لم يكن هو القلب فهو محله وعلاقته به كعلاقته الثمار بالأشجار ، وان هناك نورا ساطعا متصلا بالدماغ وهذا هو الذي هو يدل عليه التفكير - والحزن - والغضب الشديد وجميع العواطف التي تمر بالإنسان ، فانا نجد الحزين مشغول القلب دافعا للأشياء كلها كما نجد من يصاب في دماغه مشغول القلب زائف البصر - وكذلك من يصاب في عقله لا يواخذ في تلك الحال بما يفعل لأنه لا يدري عما يفعل وهذا من أقوى الأدلة على ان العقل في القلب أو هو هو لأن - الإنسان ما دام سليم - القلب فهو سليم الأقوال والأفعال محسوبة عليه اقواله وافعاله .

(١) وقال أئمة الحرمين في كتابه البرهان : تحت عنوان (تصدير السبب بكلام مقنع في العقل .) فانا سنسند حقائق المعلوم الى سدادك العقل ، ولا بد من الاطاعة بحقيقته حسب ما يليق بهذا المختصر . والكلام لا يزال لأئمة الحرمين . قال القاضي ابوبكر : العقل مسن العلوم ان لا يتصف بالعقل خال من العلوم كلها ، وليس من العلوم النظرية فان النظر لا يقع ابتداء الا مسبوقا بالعقل ، فانحصر فسي العلوم الضرورية ، وليس كلها فانه قد يخلو عن العلوم بالمحسوسات من اختلت حواسه ، وان كان على كمال من عقله ثم لم يزل يبحث حتى قال : العقل علوم ضرورية لا يخلو عنها المتصف بالعقل - ولا يتصف بها من لا يتصف بالعقل ثم سبر على ما زعم فاستبان ان العقل علوم ضرورية ، بجواز الجائزات .

واستحالة المستحيلات - ولا يتصف بهذه الغنون الا العاقل كما لا يتصف
بها من ليس بعاقل - اقول وبالله التوفيق - هذا الذي ذكره القاضي
عن العقل فيه تعقيد وفيه نظر ايضا فانه بنى كلامه على ان العقل
من المعلوم وهذا غير معروف ولم تقف عليه عند عامه من تعرضوا لهذا
الموضوع ولم يستدل عليه بنصوص من كتاب او سنة وفي هذه الحال يبقى
بدون مرشح

(١) قال امام الحرمين معلقا على كلام القاضي السابق عن حول العقل " وهذا
يرد عليه انه لا يمتنع كون العقل مشروطا بعلوم وان لم يكن منها وهذا
سبيل كل شرط ومشروط ، فان قيل : فما الذي يبطل ما ذكره القاضي
رحمه الله في معنى العقل ؟ قلنا : نرى العاقل يذهل عن الفكر
في جواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو : عاقل ، فان قيل : فما
العقل " عندكم " قلنا : الكلام فيه ليس بالهين وما حوم عليه احمده
من علمائنا غير الحارث فانه قال : العقل غريزه يتأتى بها درك -

المعلوم وليست منها فالقدر الذي يحتمله هذا المجموع ان العقل صفه
اذا ثبتت امكن للمتصف بها درك التوصل الى العلوم النظرية - ومقدماتها
هو : ابو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف

بن محمد بن حسيه .

الطائي السبيسي شغل من الزمان تسعا وخمسون سنة من سني القرن
الخامس الهجري (٤١١ - ٤٧٨) مشهور بالعلم والزهد والتواضع
حتى قيل انه ملا المشرق والمغرب وكان امام عصره بنيسابور - وتفقه
على ابي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي وقدم مرو قصدا لابي
بكر بن عبد الله بن احمد الفقال المروزي - فتفقه به مسائل
بنيسابور سنة ٤٣٨ هـ معجم البلدان ١٨٢/٥ او سير النبلاء

هـ ١٣٧/١١ .

من الضروريات التي هي : مستند النظريات - وقد قسم امام الحرمين
المعلوم الى ما يدرك بالعقل وما يدرك بالسمع وما يدرك بهما فقال :
فأما ما يدرك بالعقل فقط فحقائق الاشياء ودرك استحاله المستحيلات
وجواز الجائزات - ووجوب الواجبات العقلية ، لا التكليفية : الضرورية
منها والنظرية . واما ما لا يدرك الا بالسمع ، فوقوع الجائزات وانتقائها
واما ما يشترك فيه السمع والعقل وذكره ينضبط ما تقدم من القسمين :
فنقول فيه : كل مدرك يتقدم على ثبوت كلام صدق فيستحيل دركه من
سمع فان مستند السمعيات كلها " الكلام " الحق الصدق ، وبيان ذلك
بالمثال ان وجود الباري سبحانه وتعالى وحياته وان له كلاما صدقا لا يشبهه
سمع ، فاما من احاط بكلام صدق ، ونظر بعده في جوازا لرؤية وفي
خلق الافعال واحكام القدرة فما يقع من هذا القن بعد ثبوت مستند
السمعيات فلا يمتنع اشتراك السمع والعقل فيه -

أقول وبالله التوفيق :

ينبغي بعد تعريف العقل وشميته والمميز به فلا بد من التفرقة بين السليم وموقفه
(١) والمريض وتبلده وقصوره لغرض عوائق تعوقه فالعقل السليم موقفه سليم
في الاشياء كلها ينظرها من دائرة تحيط بها كلها - بينما العقل
اليليد أو بمبارة أخرى تبلد العقل فهو ما يقتضه طارىء من اعتلال
أو اختلال ولا يكاد : ينكر ذلك العاقل من نفسه .

ثم يتصدى له طوران : أحدهما - ان

يعلم قصوره - ويمتدئ مضطرب العقل - والثاني : ان يتماهى انه -

مضطرب العقل ام لا ؟ .

(١) البرهان في اصول الفقه لامام الحرمين ج ١ ص : ١٤٤ . (الجوسي)

وبالجملة لا يحكم لمن هذا حاله يتوقف العقد كحكمنا للآول
فيما تقدم - وقد صار معظم الأوائل الى ان يدرك خواص الأجسام
” وحقائقها ” من مواقف العقول فليس من الممكن ان يدرك بالعقل
الخاصية الجاذبه لتحديد في المغناطيس - والله اعلم واحكم وهنا
نترك الكلام في هذا المجال الذي سبق اليه .

(١) كما قال امام الحرمين الحارث بن اسد وتكلم فيه وفي الحقيقة انه
يكفي ما قال عن كثرة الخوض لاسيما في هذه المجاله ونتبعه
بالمائق الأول من العوائق التي تعيق العقل عن التفكير وهو
* التقليد *

(٢) وهو لغة : جمل القلادة في العنق - وتقليد الولاة هو : جمل
الولايات في اعناقهم ومنه قول لقيط الأيادي .
وقلدا أمركم لله بركم ***** حب الدراع بأمر الحرب مضطلعا .
واما التقليد في اصطلاح الفقهاء فهو الأخذ بمذهب الغير ممن
غير معرفة دليله .

(٣) والمراد بالمذهب هو : ما يصح فيه الاجتهاد خاصة
والمذهب لغة : الطريق ومكان الذهاب ثم صار عند الفقهاء حقيقة
عرفية فيما ذهب اليه امام من الأئمة من الأحكام الاجتهادية .

(١) الحارث بن اسد المحاسبي ابو عبيد الله من اكابر الصوفية

اصولي واعظ من أوائل المتكلمين من اهل السنة توفي سنة

٢٤٣ هـ ، شذارات الذهب ٢/١٠٣

(٢) تفسير اضواء البيان في يضح القرآن بالقرآن ج ٧ ص ٤٨٦ ط المدني

(٣) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل تأليف محمد عبد الرحمن الطرابلسي

المصري ج ١ ص : ٢٤ .

وطبق عند المتأخرين من أئمة المذاهب على ما به الفتوى من باب إطلاق

الشيء على جزئه الأهم نحو قوله صلى الله عليه وسلم * الحج عرفة *

لأن ذلك هو الأهم عند الفقيه العقل والله اعلم.

(١) هذا ولا يصح الاجتهاد البتة في شيء يخالف

نصاً من كتاب الله أو سنة ثابتة سالماً من المعارض ، لأن الكتاب

والسنة حجة على كل أحد كائناً ما كان ، لا تسوغ مخالفتها البتة

لأحد كائناً من كان فيجب التقطن ، لأن المذهب الذي فيه التقليد

يختص بالأمور الاجتهادية ولا يتناول ما جاء فيه نص صريح من الوحي

سالم من المعارض - اقول وبالله التوفيق : تعريف المذهب الانف

الذكر يدل على ان اسم المذهب لم يتناول مواقع النصوص الشرعية

السالمة من المعارض - وذلك امر لا خلاف فيه لأجماع العلماء

على ان المجتهد المطلق اذا اقام باجتهاده دليلاً مخالفاً لنص من

كتاب أو سنة أو اجماع ، ان دليله ذلك باطل بلا خلاف .

(٢) وانه يرد بالقادح المسمى في الأصول بفساد الاعتبار . وفساد

الاعتبار الذي هو مخالفة الدليل لنص أو اجماع من القوادح التي

لا نزاع في ابطال الدليل بها واليه الاشارة بقول صاحب مرافي

السعود في القوادح : والخلف للنص أو اجماع دعاء * فساد

الاعتبار كل من وعى ، قال الشيخ الآمين عليه رضوان الله بعد ايراده

شهاد الأصول السابق في القوادح : وما ذكرنا نعلم - انه

لا اجتهاد اصلاً ولا تقليد اصلاً في شيء يخالف نصاً من كتاب -

(١) أضواء البيان ج ٧ ص ٤٨٦ تأليف الشيخ / محمد الآمين

رحمة الله .

(٢) أضواء البيان في اوضح القرآن بالقرآن ج ٧ ص ٤٨٧ .

مستدرك داود ص ٤٨٦ ، وأخرجه السائق ص ٤٩٠ والرامي

ص ٤٩٠ والزمزمي ص ١٤٧

أو سنة أو اجماع - وإذا عرفت ذلك فاعلم أن بعض الناس من المتأخرين أجاز التقليد ولو كان فيه مخالفة نصوص الوحي كما ذكرنا أقول هالكة التوفيق الذي يشر إليه الشيخ هنا قد صرح في غير هذا الموضوع أنه : الصاوي واضرا به - وعلق أكثر المقلدين للمذهب في هذا الزمان وازمان قبله - وبعض العلماء منع التقليد مطلقا ومن ذهب إلى ذلك ابن خويهز منداد من المالكية - والشوكاني (١) في القول المنيد في أدلة الاجتهاد والتقليد - والتحقيق أن التقليد منه ما هو جائز ومنه ما ليس . بجائز ومنه ما خالف فيه المتأخرون

(١) ابن خويهز هو : متداد . اسمه : محمد أبو بكر بن خويهز - وهو محمد ابن أحمد ابن عبد الله قال ابن فرحون ورايت على كتبه بخطه محمد بن أحمد بن علي بن اسحاق كنيته أبو عبد الله - تفقه على الأبهري وله كتاب كبير في الخلاف - وكتاب في أصول الفقه ، وكتاب في أحكام القرآن ، وعنده شواهد عن مالك وله اختيارات كقوله في أصول الفقه أن العبيد لا يدخلون في خطاب الأحرار وأن خير الواحد يوجب العلم ، وفي بعض مسائل الفقه حكاية عن مالك في التيمم أنه يرفع يديه إلى السماء ولم يكن بالجيد النظر ولا قوى الفقه ، وقد قال فيه الباجي أبو الوليد : لم اسمع له في علماء العراق ذكره كان بجانب الكلام وينافر أهله حتى يومئذ ذلك إلى مناقرة أهل السنة وحكم على الكل منهم بأنهم من أهل الأهواء الذين قال مالك فيهم ما قال ، الديباج المذهب ص : ٢٦٨ .

المتقدمين من الصحابة وغيرهم من الثلاثة المفضلة -

العقل الثاني محرر العقل

ذكر أدلة التقليد وأقسامه ؟

(١)

أما التقليد الجائز الذي لا يكاد يخالف فيه أحد من المسلمين فهو تقليد العامي علما اهلا للفتيا في نازلة زلت به ، وهذا الشروع من التقليد كان شائعا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلاف فيه فقد كان العامي يسأل من شاء من الصحابة عن حكم النازلة تنزل به فيفتيه فيعمل بفتياه ، وإذا نزلت به نازلة أخرى لم يرتبط ، بالصحابي الذي أفناه أو لا يل يسأل عنها من شاء من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم - ثم يعمل بفتياه ، قال صاحب نشر البنسود شرح مرافق السعود : رجوعه لغيره في آخر - يجوز للأجماع عند الأكثر يعني : ان العامي يجوز له عند الأكثر الرجوع الى قول غير المجتهد الذي - استفتاه أولا في حكم آخر لأجماع الصحابة رضي الله عنهم على انه يشوغ للعامي السؤال لكل عالم ، ولأن لكل مسألة حكم نفسها فكلما لم يتعين الأول للاتباع في المسألة الأولى الا بعد سؤاله ، فكذا في المسألة الأخرى .

(٢)

قاله الخطاب شارح مختصر خليل ، قال القرافي : أنعمد الأجماع

(١) أضواء البيان ج ٢ ص : ٤٨٢ .

(٢)

هو محمد بن محمد الخطاب المكي بأبي عبد الله ولد بمكة ونشأ

بها وأخذ عن والده ر . د . ابن عبد الغفار . وقاضي المدينة محمد

بن أحمد السخاوي وكان حافظا محققا توفي بطرابلس الغرب سنة

٩٥٤ هـ وكانت ولادته سنة ٩٠٢ هـ الفتح المبين في طبقات الاصوليين

٧٥/٣ والاعلام ٢٨٦/٧ ط ٣ .

على أن من أسلم فله أن يقلد من شاء من العلماء من غير حجب
 واجمع الصحابة على أن من استفتى أبا بكر وعمر وقلدهما فله أن يستفتى
 أبا هريرة ومعاذ ابن جبل وغيرهما - ويعمل بقولهما بغير تكبير فمن
 الدعا رفع هذين الأجماعين فعليه الدليل . نشر المبتود ٣٠٤٨/٢

أقول وبالله التوفيق : وما ذكره القرافي من

(١) انعقاد الاجماع صحيح كما لا يخفى ، وقال ابن القيم : في
 تفصيل القول في التقليد وتقسيمه له الى ثلاثة اقسام فقال : وانقسامه
 الى ما حرم .

(٢) القول فيه والافتاء به . والى ما يجب التصير اليه ، والى ما يسوغ
 من غير ايجاب ، وذكر ان النوع الأول ينقسم الى ثلاثة اقسام
 احدها الاعراض عما انزل الله وعدم الالتفات اليه اكفاء بتقليد
 الأباء ، والثاني : تقليد من لا يعلم المقلد انه أهل لأن يؤخذ
 بقوله ، الثالث التقليد بعد قيام الدليل وظهور الحجة على خلاف
 قول المقلد ، والفرق بين هذا وبين النوع الأول ان الأول قلد
 قيل تمكنه من العلم والحجة . وهذا قلد بعد ظهور الحجة له فهو
 أولى بالذم ومحضته الله ورسوله صلى الله عليه وسلم - وقد ذم الله
 سبحانه هذه الأنواع الثلاثة من التقليد .

(٣) في غير موضع كما في قوله تعالى * وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
 قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوكان أباءهم لا يعقلون شيئا ولا
 يهتدون * .

(١) اعلام الموقعين ج ٢ ص * ١٦٨ .

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) سورة البقرة الآية :- ١٧ .

وقال جل ذكره * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير
الا قال مترفوها * .

(١) انا وجدنا آباءنا على أهدىٰ منا على آثارهم مقتدون قل ولو جئتمكم بأهدىٰ

(٢) ما وجدتم عليه آباءكم * وقال تعالى * واذا قيل لهم تعالوا الى

ما انزل الله والى الرسول قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا * .

وهذا في القرآن كثير لا يكاد يحصر - يذم الله من اعرض عما انزل

وقدح بتقليد الآباء وهنا تسأل المؤلف فقال : (لماذا ذم الله من

قلد الكفار والآباء الذين لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، ولم يذم

(٣) من قلد العلماء المهتدين بل قد امر بقوله * فسألو أهل الذكر ،

وهم أهل العلم وذلك تقليد لهم ، وهذا امر لمن لا يعلم بتقليد

من يعلم ،

(٤) ثم تولى ابن القيم الأجابه هنا على هذا السؤال فقال : انه

سبحانه ذم من اعرض عما انزل الى تقليد الآباء وهذا القدر من

التقليد هو ما اتفق السلف والأئمة الاربعة على ذمه وتحريمه واما

تقليد من بذل جهده في اتباع ما انزل وخفي عليه بعضه فقلد فيه

من هو اعلم منه فهذا محمود غير مذموم ، وما جور صاحبه غير ما زور

وقال تعالى *

(١) سورة الزخرف الآية : ٢٢

(٢) سورة المائدة الآية : ١٠٤

(٣) سورة النحل الآية ٤٣

(٤) اعلام الموقعين ج ٢ ص : ١٦٨ .

- (١) * ولا تقف ما ليس لك به علم * والتقليد ليس بعلم باتفاق اهل العلم وقال جل ذكره :
- (٢) * وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون * وقال ايضا * اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء * فامر باتباع المنزل خاصة ، والمقلد ليس له علم ان هذا هو المنزل وان كان قد تبينت له الدلالة في خلاف ، قول من قلده ، فقد علم ان تقليده في خلافه اتباع لغير المنزل . وقال تعالى * فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله ورسوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأيلا * .
- (٣) * اتبعوا ما انزل الله وما ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون * وقال ايضا * اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء * فامر باتباع المنزل خاصة ، والمقلد ليس له علم ان هذا هو المنزل وان كان قد تبينت له الدلالة في خلاف ، قول من قلده ، فقد علم ان تقليده في خلافه اتباع لغير المنزل . وقال تعالى * فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله ورسوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأيلا * .
- (٤) * اتبعوا ما انزل الله وما ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون * وقال ايضا * اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء * فامر باتباع المنزل خاصة ، والمقلد ليس له علم ان هذا هو المنزل وان كان قد تبينت له الدلالة في خلاف ، قول من قلده ، فقد علم ان تقليده في خلافه اتباع لغير المنزل . وقال تعالى * فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله ورسوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأيلا * .
- (٥) فمنعنا سبحانه من الرد الى غيره - قال القرطبي بعد صرد الآيات التقليد ليس طريقا للعلم وتحت هذا البحث قال فيه سائل الأوسى قوله * واذا قيل لهم * يعني : كفار العرب ، قال ابن عباس نزلت في اليهود وقال الطبري : الضمير في " لهم " عائد الى الناس في قوله * يا ايها الناس كلوا * وقيل هو عائد الى من في قوله * ومن الناس من يتخذ من دون الله * الآية وقوله * اتبعوا ما انزل الله * يعني : بالقول والعمل - والفياء وجدنا

- (١) سورة الاسراء الآية : ٣٦ .
- (٢) سورة الاعراف الآية : ٣٣ .
- (٣) سورة الاعراف الآية : ٣ .
- (٤) سورة النساء الآية : ٥٩ .
- (٥) تفسير القرطبي ج ٢ ص : ٢١٠ .

قال الشاعر :

فالفيتة غير مستمتب ***** ولا ذاكر الله الا قليلا

(١) الثانية قوله * أو لو كان آباؤهم * الألف للاستفهام وفتحت الواو لأنها واو المطف عطفت جملة كلام على جملة لأن غاية الفساد في الا التزام ان يقولوا : تتبع آباؤنا ولو كانوا لا يعقلون " ففروا على التزامهم هذا - ان هي : حال آبائهم ، قال القرطبي قال : علماؤنا : وقوة الفاظ هذه الآية تعطى ابطال التقليد - ونظيرها

(٢) قوله تعالى * وانذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول - قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا * وهذه الآية والتي قبلها مرتبطتان بما قبلهما وذلك ان الله سبحانه اخبر عن جهالة العرب فحسبنا تحكمت فيه بأرائها، السفيه في البحيرة - والسائيه - والوصيلة - فاحتجوا بأنه أمر وجدوا عليه آباءهم فاتبعوهم في ذلك وتركوا ما انزل الله على رسوله وأمر به في دينه . فالضمير في لهم عائدا عليهم في الآيتين جميعا - ثالثا تعلق قوم بهذه الآية في ذم - التقليد لزم الله تعالى الكفار باتباعهم لأبائهم في الباطل واقتدائهم بهم في الكفر والمعصية . وهذا في الباطل صحيح اما التقليد في الحق فاصل من أصول الدين وعصمة من عصم المسلمين يلجأ اليها الجاهل المقصر عن درك النظر - واختلف العلماء في جوازه -

(١) تفسير القرطبي ج ٢ ص : ٢١٠ ط دار الكتب المصرية

(٢) الفخر الرازي ج ٣ ص : ٨٠

فى مسائل الأصول - واما جوازه فى مسائل الفروع فصحيح الرابعة
التقليد عند العلماء حقيقته - قبول قول بلا حجة وعلى هذا فمن
قبول قول النبي صلى الله عليه وسلم من غير نظر فى معجزته يكون
مقلدا واما من نظر فيها فلا يكون مقلدا ، وقال الفخر الرازى فى
قوله تعالى ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع
الا دعاء ونداء صم بكم عي فهم لا يعقلون ﴾ اعلم انه تعالى لما
حكى عن الكفار انهم عند الدعاء الى اتباع ما انزل الله تركوا
التفكر والتدبر وأخلدوا الى التقليد ، وقالوا : ﴿ بل نسمع
ما الفينا عليه آباءنا ﴾ ضرب لهم هذا المثل .

(١) تنبيهها للسامعين لهم انما وقعوا فيها وقعوا فيه بسبب ترك
الأصغاء وقلة الاهتمام بالدين فصيروهم من هذا الوجه بمنزلة الأنعام
ومثل هذا المثل يزيد السامع معرفة بأحوال الكفار وحقر الى

- الكافر نفسه اذا سمع ذلك فيكون كسر القلب . وتضييقا لصدره
حيث صيره كالبهيمة فيكون فى ذلك نهاية الزجر والردع لمن يسمعه
عن ان يسلك مثل طريقه فى التقليد - وفيه مسائل أيضا : نعتق
الراعى بالغنم اذا صاح بها ، واما نعتق الغراب فبالغين المعجزة
وللعلماء فى هذه الآية طريقان أحدهما تصحيح المعنى بالأضمار
فى الآية - والثانى اجراء الآية على ظاهرها من غير اضمار ، اما
الذين اضمروا فذكروا وجوها الأول وهو قول الأخفش والزجاج وابن
قتيبة ، كانه قال : ومثل من يدعو الذين كفروا الى الحق كمثل
الذين ينعق فصار الناعق الذى هو : " الراعى " - بمنزلة الداعي

الى الحق وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الدعاة الى الحق
 وصار الكافر بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه التشبيه ان البهيمة
 تسمع الصوت ولا تفهم المراد وهو لا الكفار كانوا يسمعون صوت الرسول
 صلى الله عليه وسلم والفاظه - وما كانوا ينتفصون بها ومعانيها -
 لا جرم حصل وجه التشبيه ، الوجه الثاني : مثل الذين كفروا فسي
 دعائهم آلهتهم من الأوثان كمثل الناق في دعائه ما لا يسمع كالغنم
 وما جرى مجراه والبهائم لا تنتفع ، فشيء الأصنام في انها لا تنتفع
 بهذه البهائم فاذا كان لا شك ان من دعا بهيمة عد جاهلا فسن
 دعا حجرا أولى بالذم والجهل والفرق بين هذا القول وما قبله ان
 ها هنا المحذوف هو : المدعو ، وفي القول الذي قبله المحذوف
 هو الداعي القول الثالث قال ابن زيد : مثل الذين كفروا في -
 دعائهم آلهتهم كمثل الناق في دعائه عند الجبل فانه لا يسمع
 الا صدى صوته فاذا قال : يا زيد يسمع من الصدى يا زيد .

(١) فكذلك هو لا الكفار اذا دعوا هو لا الأوثان لا يسمعون الا ما تلفظوا به
 من الدعاء والنداء أقول بالله التوفيق . . بعد بحث طهيل للموضوع
 خلص الفخر : الى تساؤلات تتعلق بالمقلد فقال : * يقال للمقلد
 هل أنت تعترف بأن شرط جواز تقليد الانسان ان يعلم كونه محققا
 ام لا ؟ فان اعترفت بذلك لم تعلم جواز تقليده الا بعد ان تعترف
 كونه محققا فكيف عرفت انه محق وان عرفت بتقليد آخر لزم التسلسل
 وان عرفت بالمقلد فذلك كاف فلا حاجة الى التقليد ، وان -

قلت ليس من شرط جواز تقليده ان يعلم كونه محققا فان قد جوزت
تقليده . وان كان مخطئا فاذا انت على تقليدك لا تعلم أنك محقق
أو مخطئ ، والحق قوله في آخر بحثه بأنه يجب طلب العلم بالدليل
لا بالتقليد ، وقال : انما ذكر الله جل هذه الآية عقب الزجر عن
اتباع خطوات الشيطان تنبيها على انه لا فرق بين متابعة وسائر
الشيطان وبين متابعة التقليد وفيه اقوى دليل على وجوب النظر ،
والاستدلال وترك التمهّل على ما يقع في الخاطر من غير دليل
أو على ما يقوله الغير من غير دليل ، وقوله في الآية الكريمة *
لا يعقلون شيئا * لفظ عام وممناه الخصوص .

(١١) وقال صاحب تفسير المنار في قوله تعالى * واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله . قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا * أي واذا
قيل لمتبعي خطوات الشيطان الذين يقولون على الله بغير علم
ولا يرهان . * اتبعوا ما انزل الله اليهم ولا تتبعوا من دونه
أولئك * قالوا : لا . نحن لا نعرف ما انزل الله ، بل نتبع
ما الفينا . أي وجدنا عليه آباءنا * وهو : ما تقلدناه من ساداتنا
وكبرائنا وشيوخ علمائنا فلم يخاطب هؤلاء ببطلان ما هم عليه وتشجيعه
خطابا لهم بل حكى عنهم حكاية يبين فساد مذهبهم فيها كأنه انزلهم
منزلة من لا يفهم الخطاب ولا يعقل الحجج والدلائل كما بين ذلك
بالتمثيل - ولو كان للمقلدين قلوب يفهمون بها لكانت .

(١) هذه الحكاية بأسلوبها لتفجيرهم من التقليد كافيه فانهم في كل مله
وجيل يرفعون عن اتباع ما انزل الله استثناسا بما الفوه ما ألفوا
آباءهم عليه وحسبك بهذا شناعة اذا الماقل لا يوتر على ما أنزل
الله تقليدا حد من الناس وان كبر عقله وحسن سيره ان ما من عاقل
الا وهو : عرضه للخطأ في فكره وما من مهتد الا ويحتمل ان يضل
في بعض سيره ، فلا فقه في الدين الا بما أنزل الله ولا محصوم
الا من عصم الله ، فكيف يرغب الماقل عما انزل الله الى اتباع
الآباء مع دعواه الايمان بالتنزيل على انه لو لم يكن مؤمنا بالوحي
لوجب ان ينفره عن التقليد بقوله * اولو كان آباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون * قال وقال البيضاوي أي : لو كان آباؤهم جهلة
لا يفكرون في أمر الدين ولا يهتدون الى الحق لا يتعمههم - وهو دليل
على المنع من التقليد لمن قدر على النظر او الاجتهاد ، واما اتباع
الغير في الدين اذا علم بدليل ما أنه محق كالانبياء والمجتهدين
في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل اليه .
ونقله عنه الأوسى بغير عزو ووصله بأيه * فأسألوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون * وفيه انه لم يفرق في التقليد بين القطعي المعلوم
من الدين بالضرورة وهو : لا يجوز التقليد فيه البتة بل ...
فاحكام القضاء وسياسه الأمة هذا هو الذي يشترط فيه قدره على
النظر والاستدلال ولم يفرق بين اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما
يبلغه عن الله تعالى لمن قامت عنده الحجة على ثبوته فهو لا يكون
الا محقا حين المجتهد الذي لا يمكن العلم بأنه محق الا بالوقوف ...

(١) تفسير المنار ج ٢ ص : ٩١ ط الثالثة .

٥٠ سورة المدثرية ٤٧

على دليله وفهمه وقوله تعالى * فسألوا أهل الذكر أن كنتم
لا تعلمون *

في طلب السؤال عن امر قطعي معلوم بالضرورة وهو كون الرسل رجالا
يؤحي اليهم - لا عن رأى اجتهدى وقال الجلال وغيره :
لا يعقلون شيئا من أمور الدين ، وتعقبه الاستاذ الأمام بقوله :
عقل الشيء معرفة بدلائله وفهمه بأسبابه ونتائجه .

(١)

وقال ابن جرير الطبري : لا يعقلون
شيئا من دين الله وفرائضه وأمره ونهييه ، فيتبعوا على ماسلكوا .
من طريق هوتم بهم في أفعالهم ، ولا يهتدون لرشد ،
فهتدى بهم غيرهم ويقتدى بهم من طلب الدين وأراد الحق
والصواب ، ويقول تعالى لهؤلاء * فكيف أيها الناس تتبعون -
ما وجدتم عليه آباءكم فتركوه ما يأمركم به ربكم وأباؤكم لا يعقلون
من أمر دين الله شيئا . ولا هم مصبون حقا ، ولا متركون ،
رشداء ، وإنما يتبع المتبع ذاك المعرفة بالشيء المستعمل له
في نفسه فاما الجاهل فلا يتبعه فيما هو به جاهل الا من
لا عقل له ولا تحييز .

(٢)

اقول والله التوفيق :

المقلد اعمى يقاد وليس لديه سلاح للمقاومة وهكذا

-
- (١) تفسير ابن جرير الطبري ج ٢ ص : ٢٩ ط الباب الخلفي وأولاده
(٢) نفس المرجع السابق .

(١) مفهوم من تعريف القرطبي للتقليد حيث قال وهو : في اللغة

مأخوذ من قلاده البعير فان المرب تقول : قلدت البعير اذا جعلت في عنقه حبالا يقاد به فكأن المقلد يجعل امره كله لمستن يقوده حيث شاء وكذلك قال الشاعر :

فلدو امركم لله دركم ثبت الجبان ... يا امر الحرب مضطلما .

وقد تقدم هذا البيت في تعريفه للتقليد وقال القرطبي في اثناء كلامه على التقليد انه ليس طريقا للعلم ولا موصلا له لا في الأصول ولا في الفروع : وهو قول

(٢) جمهور العقلاء والعلماء خلافا لما يحكى عن جهال العشوية ،

والتعليمية من انه طريق الى معرفة الحق وان ذلك هو : الواجب وان النظر والبحث حرام والأحتجاج عليهم في كتب الأصول ، قال ابن عطية : اجمعت الأمة على ابطال التقليد في العقائد وذكر فيه غيره خلافا كالقاضي ابي بكر بن العربي .

(٣) قال بعض الناس يجوز التقليد في امر التوحيد

(١) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢١٠ ط دار الكتب المصرية .

(٢) العشوية : هم قوم تمسكوا بالظاهر فذهبوا الى التجسيم وغيره

وهم من الفرق الضلالة ، البرهان ج ١ / ١١٧ .

(٣) ابو بكر بن العربي هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن

أحمد المصروف بابن الصوي المعافى الأندلسي الاشبيلي الحافظ

كنيته أبو بكر هلقب بالقاضي كان اماما من ائمة المالكية أقرب

الى الاجتهاد من التقليد فقيها محدثا اصوليا مضرا ،

ولد ياشبيلية ٤٦٨ متوفي في مراكش وحمل ميتا الى فاس ،

سنة ٥٤٣ هـ ودفن بباب المحروق من فاس ، الفتح العيني في

طبعات الأصولين ج ٢ ص ٢١ ط ٢ .

- (١) وهو خطأ لقوله تعالى : * انا وجدنا آباءنا على أمة * الآية فذمهم على تقليد آباءهم وتركهم اتباع الرسل ولأنه فرض على كل مسلم تعلم امر التوحيد والقطع به .
- (٢) وذلك لا يحصل الا من جهة الكتاب والسنة فإنهم مقلدون وهذا قال ابن درياس : وقد أكثر أهل الزيغ القول على من تسبى بالكتاب والسنة انهم مقلدون وهذا خطأ منهم بل هو بهم اليق وبهذا ذمهم اخلق ان قبلوا قول ساداتهم
- (٣) فكانوا داخلين فيمن ذمهم الله بقوله * ربنا انا اطعنا ساداتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا * وقوله * انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون * ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم " فانتقمنا منهم " الآية فبين سبحانه أن الهدى فيما جاءت به رسله وليس قول أهل الأثر في عقائدهم : انا وجدنا أئمتنا وآباءنا واطعنا ساداتنا وكبرائنا بسبيل لأن هؤلاء نسبوا ذلك الى التنزيل والى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم واولئك نسبوا افكهم الى أهل الأباطيل فازدادوا بذلك في التضليل الا ترى ان الله سبحانه .
- (٤) أثبت على يوسف في القرآن حيث قال * انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعتم ملة ابائى ابراهيم واسحاق ، يعقوب ما كان لنا . الى قول رد المحترون

- (١) سورة الزخرف الآية ٢٢ .
- (٢) سورة الأحزاب الآية ٦٢ .
- (٣) سورة يوسف الآية ٣٠ . الزخرف الآية ٢٧
- (٤) سورة يوسف . ٢٨

- (١) ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس *
فلما كان آباءهم عليه الصلاة والسلام أنبياء متبعين للوحي وهو :
الدين الخالص الذي ارتضاه الله .
- (٢) كان اتباع آباءهم من صفات المدح ، قال الفخر الرازي :
ان الله امرهم ان يتبعوا ما انزل من الدلائل الباهرة فهم قالوا :
لا نتبع ذلك وانما نتبع آباءنا وأسلافنا .
- (٣) فكأنهم عارضوا الدلالة بالتقليد . واجاب الله عنهم بقوله * اولو كان
آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون * الواو في " اولو " واو
العطف دخلت عليها همزة الاستفهام للتوبيخ لأنها تقتضى الأقرار
بشيء * يكون الأقرار به فضيحة .
- (٤) كما يقتضى الأخبار عن المستفهم عنه : قال الإمام الغزالي
بعد ان عرف التقليد يمثل ما قدمنا حيث قال : حاصل تعريف
العلماء للتقليد منحصر في انه قبول القول بلا دليل لأنه قبول القول
اذا بين دليله ليس بتقليد بل هو عمل بالدليل . أقول بالله
التوفيق . معنى هذا الكلام منحصر في نقطتين : سبق الكلام
عليهما بدون تفصيل وتفصل ذلك هنا أولا ان التقليد ليس طريقا
للعلم ثانيا انه أى : التقليد - هو قبول القول بدون بيان
الحجة ولا يؤدى الى اصل العلم ولا الى فروعه . ولا يؤدى الى

مصرفه .

- (١) تفسير القرطبي ج ٢ ص ١١٢ .
(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٥ ص ٦ ط الأولى .
(٣) نفس المرجع السابق .
(٤) المستصفى للإمام الغزالي ص ٥١٦ .

الحق يقول الغزالي : وما عثرت على من خالف في هذا غير طائفة قليلة وقد بينت ان هذه الطائفة هي : الحشوية والتعليمية وخلافهما غير معتبر ولا يعتد به اقول وبالله التوفيق على أية حال البحث عن الدليل مطلوب ونحن مأمورون بأن لا نقولوا حلالا ولا حراما الا بنص من كتاب او سنة حرم ذلك واحل ذلك . ثم بدأ الغزالي يبين اوجه بطلان قول الحشوية والتعليمية . فقال : بطلان قول هذه الطائفة من اوجه الأول هو ان صدق المقلد لا يعلم ضرورة فلا بد من دليل يعلم صدق الرسول صلى الله عليه وسلم - بمعجزته وصدق كلام الله بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن صدقه - وصدق أهل الاجتماع بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن عصمتهم ومن واقع التعريف تدرك انه حيث لم تقم حجة ولم يعلم الصدق بضرورة ولا بدليل فالاتباع فيه اعتماد على الجهل - الوجه الثاني بالزامهم بالحجة بطريق الاستفسار فيقول لهم : أنتم تحيلون الخطأ على مقلدكم أم تجوزونه فإن جوزتموه فأنكم شاكون في صحة مذهبكم وان أحلتموه فيم عرفتم استحالاته بضرورة أم ينظر ههنا السؤال وامثاله التي ستأتي ان شاء الله يصيح المقلد امام أمرين احدهما مر - والاحتجاج باتباع الواد الأعظم لا دليل فيه لانه قبول قول بدليل كذلك قو لهم ان الناظر متورط في شبهات وقد كثر ضلال الناظرين فترك الحظر وطلب السلامة أولى وقد أجاب الناصيون على هذه الشبهة فقالوا :

وقد كثر ضلال المتقلدين من اليهود والنصارى - فهم تفرقون بين تقليدكم وتقليد سائر الكفار حيث قالوا " * إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * "

ثم نقول إذا وجبت المعرفة كان التقليد جهلا وضلالا فكانكم حملتم هذا خوفا من الوقوع في الشبهة كمن قتل نفسه جوعا وعطشا خيفة أن يخطئ بلقمة أو يشرب بشربة لو أكل وشرب . وكالمريض يترك العلاج رأسا خوفا من أن يخطئ * في العلاج وكمن يترك التجارة والحراثة خوفا من نزول صاعقه فيختار الفقر خوفا من الفقر .

الشبهة الثانية

الحجارة سيد الخيرية والمدعيه للتقليد

٢٣ تسكمهم بقوله تعالى * ما يجادل في آيات الله إلا الذين -

كفروا * وأنه نهى عن الجدل في القدر والنظر يفتح باب -

الجدال ، وأجاب المانعون بأن النهي عن الجدل بالباطل كما

قال تعالى * وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق * بدليل قوله

تعالى * وجادلهم بالتى هي أحسن * فاما القدر فنهاهم عن

عن الجدل فيه ، اما لأنه كان قد وقفهم على الحق بالنص -

فمنعهم عن المجارة في النص ، او كان في بدء الاسلام فاحترز عن

أن يسمعه المخالف فيقول هو لا * بعد لم تستقر قدمهم في الدين

أو لأنهم كانوا مدفوعين الى الجهاد الذى هو أهم عندهم ، - (١)

ومعارض المانعون هو لا * بقوله تعالى * ولا تقف ما ليس لك به علم * - ٢

(١) المستضى ح ٢ ص ١٨ ط شركة الطباعة الفنية المتحدة .

٢ - سورة غافر (١٠٤) ع

٢ - سورة الرعد (١٣) ع

- ١ - وقوله تعالى * وان تقولوا على الله ما لا تعلمون * وقوله جل ذكره *
- ٢ - وما شهدنا الا بما علمنا * وقوله * قل هاتوا برهانكم * هذا كله
- ٣ - نهى عن التقليد وأمر بالعلم ولذلك عظم شأن العلماء وقال تعالى
- * يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات * وقد ورد
- في الحديث .
- (١) * يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين
- وأهل الجاهلين ، ولا يحصل هذا بالتقليد بل بالعلم اقول وبالله
- التوفيق .

- (١) الحديث رواه ابن الصلاح في رحلته بجمل هذا العلم على
- انه فعل لم يسم فاعله ويقول من كل خلف عدوله * وللمعنى
- ان الخلف هو : العدولة بمعنى انه عادل كما يقال :
- شكور بمعنى : شاكرك ويكون الهاء للمبالغة والمعنى ان العلم
- يحمل عن كل خلف كامل في عدالته ، والحديث ضعيف ،
- لأنه لا يعرف الا من طريق معان بن رفاعه ولا يعرف الا
- به وهو اما معضل او مرسل ، وان كان مرسل فم طريق
- ابراهيم بن عبد الرحمن وهو لا يعرف في غير هذا
- واشهر طريقه عن معان بل كلها دائرة عليه ومعيان
- بن رفاعه السلمي هذا ضعفه ابن معين وابو حاتم الرازي -
- والجوزجاني وابن حبان - وابن عدى - ووثقه علي بن
- المديني - والحديث ضعيف بل ذهب بعضهم - الى القول
- بوضعه - والله اعلم .

١ - سورة البقرة (١٠٩)

٢ - سورة يوسف (٨١)

٣ - سورة الرافىاء (٤٩)

هذا الموقف امام التقليد صحيح ولاكن لا يدخل فيه العامي فليس
امامه سوى التقليد ولا سبيل له سواء وفتيا المقلد هي : سبيله
وهي : ايضا دليله ولا نزاع في هذا حسب ما رايت من النصوص المتعلقة

(١) بالموضوع والله اعلم . . قال الفخر الرازي في قوله تعالى ﴿ صم بكم عسى ﴾ الآية اعلم أنه تعالى لما شبههم بالبهائم زاد في -
تبيكيتهم فقال ﴿ صم بكم عسى ﴾ لأنهم صاروا بمنزلة الصم في ان الذي
سموه كأنهم لم يسموه - ومنزلة البكم في ان لا يستجيبوا لما دعو
اليه - ومنزلة العمي من حيث أنهم أعرضوا عن الدلائل فصاروا
كأنهم لم يشاهدوها - قال النحويون : صم أى : هم صم رفع
على الالزام - اما قوله ﴿ فهم لا يعقلون ﴾ فالمراد العقل الاكسابي
لأن العقل المطبوع كان حاصلا لهم . والعقل غفلان .

(٢) مطبوع وسموع ولما كان طريق اكتساب العقل المكتسب هو الاستعانة
بهذه القوى الثلاثة : فلما اعرضوا عنها فقد العقل المكتسب - ولهذا
قيل : من فقد حسا فقد علما . اقول والله التوفيق . . الكفار ومن
على شاكلتهم من ترك الوحي واخذ بالأقول بلا دليل لا يعقلون شيئا
من الدين ولا يهتدون * يعنى : الى كيفية اكتسابه نسأل الله
التوفيق والعافية .

(٣) فالذين منعهم الاقتداء بأبائهم من قبول الاهتداء ،

-
- (١) الفخر الرازي ح ٥ : ٦ ، ٧ ، ٨ ط الأولى .
(٢) تفسير الفخر الرازي ح ٥ - ٦ ، ٧ ، ٨ ط الأولى .
(٣) جامع بيان العلم وفضله لأبن عبد البر ح ١ ص ١٠٩ .

٢١ قالوا * انا بما ارسلتم به كافرون * وفي هؤلاء * ومثلهم قال الله
عز وجل * ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون *
وقال * اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت
بهم الأسباب * وقال عز وجل عاكبا لأهل الكفر وذا ما لهم * ماهذه
التمثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا ^{لدينا} ~~كانوا~~ ^{يعلمون} *
ومثل هذا في القرآن كثير من ذم تقليد الآباء والروءساء وقسود
احتج العلماء .

(١) بهذه الآية في ذم التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها
لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر احدهما وإيمان الآخر وانما وقع
التشبيه بين التقليدين بغير حجة للتقليد كما لو قلدا رجلا فكفر
وقلدا آخر فاذنب - وقلد آخر في السأله ديناه فاططأ وجهها
كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حجة لأن كل ذلك تقليد
يشبه بعضه بعضا وان اختلفت الآثام فيه .

(٢) وقال الله تعالى * وما كان الله ليضل قوما بعد اذ
هداهم حتى يبين لهم ما يتقون * قال الشيخ الأمين رضي الله
عنه بعد سرده لأدلة كثيرة وقد ثبت الاحتجاج بما قدمنا في هذا
الباب وفي ثبوته ابطال التقليد أيضا .

(٣) فاذا بطل التقليد بكل ما ذكرنا وجب التسليم للأصول التي يجب التسليم
لها وهي : الكتاب والسنة او ما كان في معناهما بدليل جامع بين ذلك .

(١) ضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ج ٢ ص ٤٩١ .

(٢) سورة التوبة الآية ١١٥ .

(٣) ضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ج ٢ ص : ٤٩١ .

(١) ثم ساق ابن عبد البر سندَه الى ان قال : حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن ابيه عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول * اني لأخاف على امتي من بعدى من اعمال ثلاثة قال - وما هي : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : " أخاف عليهم من زلة العالم ومن حكم جائر ، ومن هوى متبع * وهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال * تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله * هذا لفظ ابي عمر في جامعه ، اقول وبالله التوفيق بعد هذه النبهة التي تقدمت .

(٢) نبين نوع التقليد الذي خالف فيه المتأخرون الصحابة وغيرهم من القرون المشهود لهم بالخير - وهو : تقليد رجل واحد معين دون غيره من جميع العلماء - فان هذا النوع من التقليد لم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة ولم يقل به احد من اصحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهو : مخالف لأقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله فلم يقل أحد منهم بالجمود على قول رجل واحد معين دون غيره .

(١) كثير بن عبد الله المذكور في هذا الأسناد ضعيف وابسوه عبد الله مقبول ولكن المتنين المرويين بالأسناد المذكور كلاهما له شواهد كثيرة تدل على ان أصله صحيح .. وكثير هذا قال فيه ابن حجر : منهم من نسبته الى الكذب التقريب ٢ ص ١٣٢ / د ت ق . الدرر العقباء (٢) جامع بيان العلم وفضله ١ ص ١٠٩ . ابن عبد البر

من جميع علماء المسلمين ، فتقليد العالم المعين من بدع القسرين
الرابع ومن يدعي خلاف ذلك فعليه الدليل بأن يعين لنا رجلاً
واحداً من القرون الثلاثة الأولى التزم مذهب رجل واحد بعينه
ولن يستطيع ذلك أبداً لأنه لم يحصل - البتة .

ذكر جمل من كلام العلماء في فساد هذا النوع من التقليد
اعني : تقليد رجل واحد بعينه والتزام مذهبه وحجج القائلين
بذلك ومناقشتها - وعد ايضاح ذلك نبين ما يشهد له الدليل
ونرجحه ان شاء الله .

(١) قال ابن عبد البر في كتابه : جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي
في روايته وجملته مانعه : باب فساد التقليد ونفيه والفرق بين
التقليد والاتباع - قد ذم الله التقليد في غير موضع من كتابه
فقال * اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله * وروى عن
حذيفة وغيره قالوا * لم تعبدوهم من دون الله ولكنهم احلوا لهم
وحرموا عليهم فاتبعوهم * وقال عدى ابن حاتم : اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وفي عنقي صليب فقال لي * يا عدى .

(٢) الحق هذا الوشن من عنقك - فانتبهت اليه وهو يقرأ * يسراة من الله
ورسوله - حتى اتى على هذه الآية * اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً
من دون الله * قال : قلت : يا رسول الله انا لم نتخذهم ارباباً
من دون الله - قال : بلي

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ ص ١٠٩ .

(٢) سورة * التوبة * الآية ٣١ المعجم المفهرس لا الفاظ القرآن

ص : ١٨
لست بتد التزمه من ر ٢٤١ والسيد الكبري ١٣٦٧
والحديث له الفاظ متعددة

اليس يحلون ما حرم عليكم فتحلونه ويحرمون عليكم ما أحل الله لكم فتحرمونه ، فقلت : بلى فقال : تلك عبادتهم . وقال : أما انهم لو أمرهم ان يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ولكن أمرهم ، فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله .

(١) فأطاعوهم فكافت تلك الربوبية . وهو لا -

الذين اتخذوا احبارهم ورجالهم اربابا من دون الله حيث اطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم ، مع علمهم أنهم خالفوا دين الله فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله ، شركا - وان لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم . فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه انه خلاف للدين ، وأعتقد ما قاله

(٢) ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركا مثل هو لا ، الثاني ان يكون

اعتقادهم وايمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتا لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص ، فهو لا لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب ، ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام ان كان مجتهدا اقصد اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر وقد اتقى الله ما استطاع ، فهذا لا يؤاخذ الله بخطئه بل يشييه على اجتهاده الذي أطاع به رسوله ولكن من علم ان هذا خطأ فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٨٦ .

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٨٧ .

ثم تبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول . فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله ، لا سيما ان اتبع في ذلك هواه . ونصره باليد واللسان مع علمه انه مخالف للرسول صلى الله عليه وسلم فهذا : شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه وهذا اتفق العلماء على انه اذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه ، وانما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال ، وأن كان عاجزا عن اظهار الحق الذي يعلمه فهذا يكون كمن عرف ان دين الاسلام حق وهو بين النصارى ، فاذا فعل ما يقدر عليه من الحق لم يواخذ بما عجز عنه . وهو لا كالنجاشي وغيره وقد أنزل الله .

(١) في هو لا الآيات من كتاب الله كقوله * وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم * وقوله تعالى (* واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول .

(٢) ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق * الآية وقوله * ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون .

(٣) * واما ان كان المتبع للمجتهد

عاجزا عن معرفة الحق على التفضيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يواخذ ان أخطأ كما في القبلة وأما من قلده شخصا دون نظيره بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم ان معه -

-
- (١) السورة ٣ الآية ١٩٩ . أول عماله
 (٢) السورة ٥ الآية ٨٣ . المائدة ٨٢
 (٣) السورة ٧ الآية ١٥٩ . الرعراف

(١) الحق فهذا من اهل الجاهلية وان كان متبوعه مصيبا لم يكن علمه صالحا وان كان متبوعه مخطئا كان اثما كمن قال في القرآن برأيه فان اصاب فقد اخطأ وان اخطأ فليتوا مقمده من النار وهو لا ، من جنس مانع الزكاة الذي تقدم فيه الوعيد - ومن جنس عبدة الدينار والدرهم والقطيفة والخصيصة الذين ورد ذمهم في النص - الصحيح فان ذلك لما أحب المال منعه من عبادة الله وطاعته وصار عبدا له وكذلك هو لا فيكون فيهم شرك أصغر ولهم من الوعيد بحسب ذلك -

(٢) قال ابن جرير في معنى قوله تعالى * وتجعلون له أندادا * أي وتجعلون لمن خلق ذلك أندادا وهم الأتقاء من الرجال تطيعونهم في معاص الله .

(٣) قال ابن كثير في قوله تعالى * ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ... الآية * يذكر الله حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الدار الآخرة ، حيث جعلوا لله اندادا ، أي : أمثالا ونظرا يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه : لا اله الا هو ، ولا ضد له ، ولا ند له ، ولا شريك معه ، وفي الصحيحين عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أي : الذنوب اعظم ؟ قال : ان تجعل لله ندا وهو خلقك أقول بالله التوفيق فيما تقدم من النصوص رأينا من خلا لها أي :

(١) تفسير كتاب التوحيد ص ٨٧ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص : ٩٢ .

سورة هتكت الآية ٩
نظر ص ١٥١ / دار المشرق بيروت
١٤٢٥ هـ / ١٩٠٤ م / ١٩ / ٩٩١

الكتاب ، والسنة قوة ارتباط التقليد بالطاعة العمياء وكيف يجبر ذلك الى العبادة والشرك وتعظيم المخلوقين وجعلهم في منزلة لا تصلح ولا تليق بهم - وهم يبرون من وصل بهم الى تلك المنزلة * ان يضراً الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم - الأسباب * كنا انارينا كيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدى " اجعلتني لله ندا " وسبب ذلك القول هو : التعظيم بلا شك والله أعلم وهنا يدرك ان العبد لا يكون مؤمناً حقاً حتى -

(١) يتبع ما انزل الله وقد قال تعالى * ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم

الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة * ولا وليجة أكبر . من أن يجعل الانسان رجلاً يمينه مختاراً على كلام اللطيفة وكلام رسوله وكلام سائر الأئمة يقدمه على ذلك كله صمغ الكذب الكاذب وسنة رسوله واجماع الأئمة على كلامه فما وافقه منها قبله لموافقته لقوله * وما خالفه منها تلاف في رده وتطلب له وجوه الحيل فسان لم تكن

(٢) هذه وليجة فلا ندري ما لوليجة ؟ وقال تعالى * يوم تقلب

وجوههم في النار يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا * وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكرامتنا فاضلونا السبيلا * وهذا -

(٣) نص في بطلان التقليد - قال ابو عمرو بن الصلاح : قطع ابو عبد الله

(١) سورة التوبة الآية : ١٦ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٦٤ - ٦٧ .

(٣) اعلام الموقعين ح ٤ ص : ٢٤٩ .

الحلي امام الشافعين بما وراء النهر - والقاضي ابو المحاسن -
الرواني صاحب بحرا المذهب وغيرهما بانه لا يجوز للمقلد أن يفتي
بما هو مقلد فيه ، وذكر الشيخ ابو محمد الجويني في شرحه لرسالة
الشافعي عن شيخه ابي بكر الغفال المروزي انه يجوز لمن حفظ
كلام صاحب مذهب ونصوصه ان يفتي به وان لم يكن عارفا بغوامضه
وحقائقه وخالفه الشيخ ابو محمد وقال : لا يجوز ان يفتي بمذهب
غيره اذا لم يكن متبحرا فيه عالما بغوامضه وحقائقه كما لا يجوز للماضي
الذي جمع فتاوى المفتين ان يفتي بها واذا كان متبحرا فيه جاز
ان يفتي به - وقال ابو عمرو : من قال لا يجوز له ان يفتي بذلك

(١) معناه : لا يذكره في صورة ما يقوله من عند نفسه بل يضيفه
الى غيره ويحكيه عن امامه الذي قلده ، فعلى هذا من عددناه في
اصناف المفتين المقلدين ليسوا على الحقيقة من المفتين ولكنهم ،
قاموا مقام المفتين قال ابن القيم ما ذكره ابو عمرو حسن الا أن -
صاحب هذه المرتبة يحرم عليه ان يقول : مقف هب الشافعي كذا لما
لا يعلم نصه الذي أفتى به ، أو يكون شهرته بين أهل
المذهب شهرة لا يحتاج معها الى الوقوف على نصه كشهرة مذهبه
في الجهر بالسلمة والقنوت في الفجر - ووجوب تبيت النية للصوم
في الغرض من الليل ، ونحو ذلك فاما مجرد ما يجد في كتب
من انتسب الى مذهبه من الفروع فلا يسعه ان يضيفها الى نصه
ومذهبه بمجرد وجودها في كتبهم . فكم فيها من مسألة اختلاص

المتتبعون اليه في اضافتها الى مقتضى نصه ومذهبه . فهذا يضيف الى مذهبه اثباتها وهذا يضيف اليه نفيها - قال ابن عبد البر فلا ندري كيف يسع المفتي عند الله ان يقول : هذا مذهب الشافعي وهذا مذهب مالك - وأحمد - وأبو حنيفة - واستبعد ابن القيم علي ابي عمرو قوله : " ان لهذا المفتي ان يقول : هذا مقتضى مذهب الشافعي مثلا - فلمصر الله لا يقبل ذلك من كل من نصب نفسه للفتيا ، حتى يكون عالما بما أخذ صاحب المذهب ومداركه وقواعده ، جمعا وفرعا ، ويعلم ان ذلك الحكم مطابق لأصوله وقواعده بمقد استفراغ وسعة في معرفة ذلك فيما اذا اخبر ان هذا مقتضى مذهبه كان له حكم أمثاله ممن قال ببلوغ علمه ، ولا يكلف الله نكالا ولا وسعيا والجملة . فالمفتي مخبر عن الحكم الشرعي وهو : اما مخبر عما فهمه عن الله ورسوله ، واما مخبر عما فهمه من كتابه أو نصوص من قلدة دينه ، وهذا لون - وهذا لون . فكما لا يسع الأول ان ، يخبر عن الله ورسوله الا بما علمه ، فكذا لا يسع الثاني ان يخبر عن امامة الذي قلده دينه الا بما يعلمه وبالله التوفيق .

(١) حاصل جميع حجج المقلدين منحصر في قولهم . نحن معاشرا المقلدين

(٢) ممثلون قول الله * فسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * فامر سبحانه من لا علم له ان يسأل من هو اعلم منه ، وهذا نص قولنا .

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم من لا يعلم الى سؤال من يعلم .

(١) أضواء البيان في ايضاح تفسير القرآن بالقرآن ج ٢ ص ٥٠٠ .

(٢) سورة النحل الآية ٤٣ المعجم الفهرس لالفاظ القرآن الكريم ص ٦٣

(١) التقليد لم يكن هناك طاعة تختص بهم وقال تعالى * والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه * وتقليدهم اتباع لهم ففاعله من رضي الله عنهم وقد قال محمد بن مسعود " من كاستنا فليستسن بمن قد مات فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة " اولئك اصحاب محمد ابرهذه الامة قلها وأعقبها علما وأقلها تكلفا قوما اختارهم الله لصحبه نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه فأعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم - وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال * عليكم سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى وقال * اقتدوا بالذين من بعدى ابي بكر وعمر * واهتدوا بهدى عمار وتمسكوا بهدى ابن ام مبيد * .

(٢) وقد كتب عمر الى شريح القاضي أقض بما في كتاب الله فان لم يكن في كتاب الله فيسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بما قضى به الصالحون وقد منع عمر من بيع أمهات الأولاد وتيمع الصحابة والزم ب الطلاق الثلاث فتبعوه ايضا - واحتلم مرة فقال له عمرو بن العاص خذ ثوبا غير ثوبك .

(١) سورة التوبة الآية رقم ١٠٠ المعجم لألفاظ القرآن الكريم ص ٢٤١ .
(٢) شريح هو : ابن عبد الله النخعي الكوفي ، القاضي بواسط ثم الكوفة - ابو عبد الله صدوق يخطى * كثيرا تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة - وكان عادلا فاضلا عابدا - شديدا على أهل البدع - من الثامنة - مات سنة سبع أو ثمان وسبعين

/ ختم ع - ا ب ح ١ ص ٣٥١ .

١- مختصر المختصر للسيد ابي داود مع معالي السنة هـ ١١/٧
٢- مختصر المختصر للسيد ابي داود مع معالي السنة هـ ١١/٧
٣- مختصر المختصر للسيد ابي داود مع معالي السنة هـ ١١/٧
٤- مختصر المختصر للسيد ابي داود مع معالي السنة هـ ١١/٧
٥- مختصر المختصر للسيد ابي داود مع معالي السنة هـ ١١/٧

(١) فقال: لو فعلتھا صارت سنة . وقال أبي بن كعب وغيره من الصحابة ما استبان لك فاعمل به وما استبه عليك فكله الى عالمه ، وقد كان الصحابة يفتون ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، وهذا تقليد لهم قطعاً ان قولهم لا يكون حجة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) عليه وسلم - وقد قال تعالى * فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون * فاجب عليهم قبول ما انذروهم به اذا رجعوا اليهم وهذا تقليد منهم للعلماء وصح عن ابن الزبير انه سئل عن الجد والأخوة فقال : أما الذي قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم - لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذته خليلاً فانه أنزله ابد . وهذا ظاهر في تقليد له وجاءت الشريعة بقبول قول القائف والخاص والقاسم والمقوم للمتلقات وغيرها . . . والحاكمون بالمثل في جزاء الصيد وذلك تقليد - محض واجمعت الأمة على قبول قول المترجم - والرسول - والمعدل - والمعرف وان اختلفوا في جواز الاكثاف بواحد ، وذلك تقليد محض لهؤلاء واجمعوا على جواز شراء اللحم - والثياب - والطعام من غير سوء ال عن اسباب حلها وتحريمها اكثافاً بتقليد اربابها ولو كلف الناس كلهم الاجتهاد وان يكونوا علماء فضلاً لضاعفت مصالح العباد وتعطلت الصنائع والمتاجر وكان الناس كلهم مجتهدين - وهذا مما لا سبيل اليه شرعاً والقدر قد منع من وقوعه وقد اجمع الناس على تقليد .

(١) اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ح ٧ .

(٢) السورة التوبة الآية ١٢٢ .

٢٢ اعلام المرقوم ح ٥ / ٢٩١

٢٤ نفس المرقوم ح ٥ / ٢٩٤

الزوج للنساء اللاتي يهدين اليه زوجته وجواز وطئها تقليداً لهن
في كونها هي : زوجته - وأجمعوا على أن الأعشى يقلد في القيلة
وعلى تقليد الأمة في الطهارة وقراءة الفاتحة وما يصح به الاقتداء
وعلى تقليد الزوجة .

(١) سلمة كانت أودمية أن حيضها قد انقطع فيباح للزوج وطؤها -
بالتقليد ويباح للولي تزويجها بالتقليد في انقضاء عدتها وعلى جواز
تقليد الناس للمؤمنين في دخول الوقت ولا يجب عليهم الاجتهاد
ومعرفة ذلك بالدليل وقد قالت .

(٢) الأمة السوداء لعقبة بن الحارث أرضعت امرأتك فامرء صلى الله
عليه وسلم بفراقها ، وتقليدها فيما أخبرت به من ذلك ، وقد صرح
الأئمة بجواز التقليد فقال حفص بن غياث :

(٣) سمعت سفيان يقول إذا أرايت الرجل يعمل العمل الذي

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج ٧ ص ٥٠٤ .

(٢) عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف النوفلي المكي

صحابي - من سلمة الفتح - بقي إلى بعد الخمسين / خ - د ،

ت - س التقريب ج ٢ ص ٢٦ .

(٣) حفص بن غياث : بمجمعه مكسورة واء و مثله - ابن طلق

بن معاوية النخعي أبو عمر الكوفي القاضي - ثقة فقيه -

تغير حفظة قليلا في الآخر - من الثامنة - مات سنة

اربع ، أو خمس وتسعين وقد قارب الثمانين / ع -

التقريب ج ١ ص : ١٨٩ .

١ - عدم المؤرخ ج ٤ / ٥٧٨

٢ - في المصدر السابق

٣ - الفهرست ج ٢ / ٥٧٨

١ = قد اختلف فيه وانت ترى تحريمه فلا تنهه ، وقال محمد بن الحسين

يجوز للمعلم تقليد من هو اعلم منه ولا يجوز له تقليد من هو مثله

٢ = وقد صرح الشافعي بالتقليد . فقال : في الضيع : بعير قلته

تقليد العمر - وقال في مسألة بيع الحيوان بالبراءة من العيوب :

قلته تقليد العثمان - وقال في مسألة الجد مع الأخوة انه يقاسمهم

ثم قال : وانما قلت بقول زيد وعنه قلنا اكثر القرائض : وقال

في موضع آخر من كتابه الجديد : قلته تقليدا لعطاء - وهذا

ابو حنيفة رحمه الله .

(١) قال في مسألة الآبار ليس معه فيها الا تقليد من تقدمه من التابعين

وهذا مالك لا يخرج عن عمل أهل المدينة ويصرح في موطنه بأنه

أدرك العمل على هذا وهو الذي عليه أهل العلم ببلدنا ويقول

في غير موضع : ما رأيت احدا اقتدى به يفعله . ولو جمعنا ذلك

٣ = من كلامه لطال - وقد قال الشافعي في الصحابة : رأيهم لنا

خير من رأينا لأنفسنا ، وقد جعل الله سبحانه في فطر العباد

تقليد المتعلمين للأستاذين والمعلمين ولا تقوم مصلحة الخلق الا بـ

بهذا وذلك عام في كل علم وصناعة وقد فاوت الله سبحانه بين

قوى الأيدان كما فاوت بين الأذهان فلا يحسن في حكمته وعدله

ورحمته ان يفرض على جميع خلقه معرفة الحق بدليله ولو كان كذلك

لتساوت أقدام الخلائق في كونهم علماء - بل جعل الله سبحانه وتعالى

هذا عالما - وهذا متعلما ، وهذا متبعاً للعام موثقاً به بمنزلة

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - ٧ ص ٥٠٩ .

١ = المصنف الموقر عليه ص ٢٩٩

٢ = من كتب لهذا

٣ =

المأموم مع الأمام والمتابع مع المتبوع ، وأين حرم الله سبحانه - على
الجاهل أن يكون متبعا للعالم موثما به - مقلدا له يسير سيره
وينزل بنزوله وقد علم الله سبحانه ان النوازل والحوادث كل وقت
نازلة بالخلق فهل فرض على كل منهم فرض عين ان ياخذ - حكم
نازلته من الأدلة الشرعية بشروطها ولوازمها ، وهل ذلك في امكان
احد فضلا عن كونه مشروعا ؟ وهو لا ، اصحاب الرسول صلى الله عليه
وسلم فتحوا البلاد وكان الحديث العهد بالإسلام يسألهم فيفتونه
ولا يقولون عليك ان تطلب الدليل ومعرفة الحق في هذه الفتوى ولا يعرف
ذلك عن احد منهم البتة - وهل التقليد الا من لوازم التكليف
ولوازم الوجود ؟ فهو من لوازم الشرع والقدر ، والمنكرون له ،
مضطرون اليه ولا بد وذلك فيما تقدم بيانه من الأحكام وغيرها .
وتقول لمن يحتج على بطلانه : كل حجة أثرية ذكرناها فأنتم مقلد
لحملتها ورواتها ...

(١) اذا لم يقد دليل قطعي على صدقهم فليس بيدك الا صدق الراوى
وليس بيد الحاكم الا تقليد الشاهد وكذلك ليس بيد العامي التقليد
العالم ، فما الذى سوغ لك تقليد الراوى والشاهد ومنعنا من تقليد
العالم وهذا سمع بأذنه ما رواه . وهذا عقل بقلبه ما سمعه فادى
هذا سمعه ، وادى هذا معقوله ، وفرض على هذا تأديه ما سمعه
وعلى هذا تأديه ما عقله وعلى من لم يبلغ منزلتهما القبول منهما ثم
يقال للمانعين من التقليد انتم منعتموه خشية وقوع المقلد فى الخطأ ،
بأن يكون مقلده مخطأ فى فتواه ، ثم اوجبت عليه النظر والاستدلال -

في طلب الحق ، ولا ريب ان صوابه في تقليده للعالم اقرب ، من صوابه في اجتهاده هو لنفسه ، وهذا كمن اراد شراء سلعة لاخيرة له بها فانه اذا قلد عالما بذلك السلعة خيرا بها أميئسا ناصحا كان صوابه وحصول غرضه اقرب من اجتهاده لنفسه ، وهذا متفق عليه بين العقلاء هذا هو غاية ما يحتج به المقلدون . وقد ذكره ابن القيم رحمه الله في اعلام الموقعين وبين فساد من واحد وثمانين وجهها اقول والله التوفيق قد بيئت الكثير من امر التقليد حين بدت بشعريرة عند العلماء وارجو ان اكون - ذكرت عنه ما فيه الكفاية لطالب الحق غير المتمنت والان نبين بعض النقط التي اثارها ابن القيم حين ..

(١) شرع في بيان ابطال حجج المقلدين فقال رحمه الله : عجا لكم معاشر المقلدين الشاهدين على انفسهم مع شهادة أهل العلم بانهم ليسوا من أهله ولا معدودين في زمرة أهله كيف ابطلتم مذهبكم - بنقض دليلكم . فما للمقلد وما للاستدلال ؟ واين منصب المقلد من منصب المستدل ، وهل ما ذكرتم من الأدلة الا ثيابا - استعرتوها من صاحب الحجة ، فخطتم بها ، بين الناس ، وكنتم في ذلك متشبعين بما لم تعطوه ..

(٢) ناطقين من العلم بما شهدتم على انفسكم انكم لم تؤمنوه ، وذلك ثوب زور ليستموه ، ومنصب لستم من أهله غصبتوه ، فأخبرونا هل صرتم الى التقليد لدليل فاذكم اليه - ورهان دلكم عليه فنزلتم به من ..

(١) اعلام الموقعين ٢٠٠/٢٨٢

(٢) نفس المرجع السابق ج ٧ ص : ٥٠٨ .

الاستدلال أقرب سنزل وكنتم به عن التقليد - بمعزل ام سلكتكم سبيله
اتفاقا ، وتخميننا من غير دليل - وليس الى خروجكم عن احد هذين
القسمين ، سبيل وايهما كان فهو بفساد مذهب التقليد حاكم والرجوع
الى مذهب الحجة منه لازم ، ونحن ان خاطبناكم
بلسان الحجة ، قلتم لسننا من اهل هذه السبيل ، وان خاطبناكم بحكم
التقليد . فلا معنى لما اقتصموا من دليل والمجيب ان كل طائفة من
الطوائف وكل امة من الأمم تدعى انها على حق حاشا فرقة التقليد ،
فانهم لا يدعون ذلك ولو ادعوه لكانوا مبطلين فانهم شاهدون - على
انفسهم بأنهم لم يعتقدوا تلك الأقوال لدليل فادهم اليها ورهان
دليم عليها وانما سبيلهم محض التقليد - والمقلد لا يعرف الحق من
الباطل - واعجب من هذا ان أيعتهم نهوهم عن تقليد هم فمصوصهم
وخالفوهم وقالوا : نحن على مذاهبهم وقد دانوا بخلافهم في أصل
المذهب الذي بنوا عليه ، فانهم بنوا على الحجة ونهوا عن التقليد
وأوصوهم اذا ظهر الدليل ان يتركوا أقوالهم ويتبعوه فخالفوهم في
ذلك كله ، وقالوا : نحن من اتباعهم ، تلك أمانيتهم وما أتباعهم
الا من سلك سبب لهم واقتفى آثارهم في اصولهم وفروعهم ، واعجب
من هذا انهم مصرحون في كتبهم ببطلان التقليد وتحريمه وانه لا يحل
القول به في دين الله ولو اشترط الامام على الحاكم ان يحكم بمذهب
معين لم يضح شرطه ولا توليته ، ومنهم من صحح التولية وأبطل
الشرط وكذلك المفتي يحرم عليه الافتاء بما لا يعلم صحته باتفاق -
الناس والمقلد لا علم له بصحة القول وضاده اذ طريق ذلك سدود
عليه . ثم كل منهم يعلم انه مقلد لمتبوعه لا يفارقه قوله ويترك له . .

(١) ما خالفه من كتاب أو سنة أو قول صاحب ، أو قول من هو أعلم من متبوعه أو نظيره وهذا من أعجب المجب ، وأيضا ما نأتملم ، بالضرورة انه لم يكن في عطر الصحابه رجل واحدا اتخذ رجلا منهم يقلده في جميع اقواله ، فلم يسقط منها شيئا واسقط اقوال غيره فلم يأخذ منها شيئا ونعلم بالضرورة ان هذا لم يكن في عصر التابعين ، ولا تابع التابعين فليكن هذا المقلدون برجل واحد ، سلك سبيلهم = الوخيمة ، في القرون الغضله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما حدثت هذه البدعة في القرن الرابع المذموم على لسانه صلى الله عليه وسلم ، فالمقلدون لمتبعيهم في جميع ما قالوه يبيحون به الفروج الدماء والأحوال المحرمات - ولا يدرون أن ذلك صواب ام خطأ على خطر عظيم ، ولهم بين يدي الله موقف شديد يا أيها من قال على الله مالم يعلم انه لم يكن علوما في الدنيا

(٢) محل الفرض منه بلفظه - قال الشيخ الأمين : وعلى كل حال فانتم أيها المقلدون : تقلدون انه لا يجوز العمل بالوحي الا لخصوص المجتهدين فلم سوفتم لأنفسكم الاستدلال على التقليد بأية ؟ فسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون ؟ وأية ؟ فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ؟ الآية هل رجعتكم عن قولكم بأن الاستدلال بالوحي لا يجوز لخبر المجهل أو ارتكبتكم ما تعتقدون انه حرام من استدلالكم بالقرآن مع شدة محدكم عن رتبة الاجتهاد ، وفي هذا رد اجمالي لجميع ما استدللتم به على التقليد الذي انتم عليه ثم يقال اليسست هذه ..

(١) اعلام الموقمين ..

(٢) اضواء البيان في اوضح القرآن بالقرآن - ٧ ص ٥٠٩ ، ٥١٠

الآيات التي استدللتم بها في زعمكم من ظواهر الكتاب التي سن لكم
الصاوي وأمثلة ان العمل بها من اصول الكفر فانه لم يستثن شيئا
من ظواهر الكتاب يكون العمل به ليس من اصول الكفر فلم تجرأتكم
على شيء هو من اصول الكفر وسوغتم لأنفسكم الاستدلال بالقرآن مع
أنه لا يجوز عندكم الا للمجتهدين .

.....

رد استدلال المقلدين بإيجاز

(١) اما استدلالهم بقوله تعالى * فسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * فهو استدلال في غير محله . فان الآية لا تدل على هذا النوع من التقليد الأعني الذي هم عليه من التزام جميع اقوال رجل واحد وترك جميع ما سواها ، ولا شك ان المراد بأهل الذكر أهل الوحي الذين يعلمون ما جاء من عند الله كعلماء الكتاب والسنة . فقد امروا ان يسألوا أهل الذكر ليفتوهم بمقتضى ذلك الذكر الذي هو الوحي ومن سأل عن الوحي وأعلم به وبين له كان عمله به اتباعا للوحي لا تقليدا واتباع الوحي لا نزاع في صحته . وان كانت الآية تدل على نوع تقليد في الجملة فهي لا تدل الا على التقليد الذي قد منا انه لا خلاف فيه بين المسلمين . وهو تقليد العاني الذي تنزل به النازلة علما من العلماء وعمله بما أفاده به من غير التزام منه لجميع ما يقوله ذلك العالم ولا تركه لجميع ما يقوله غيره ، واما استدلالهم بالحديث الوارد في الرجل الذي اصابته شجة في رأسه ثم احتلم فسأل اصحابه : هل يعلمون له رخصة في التيمم ؟ فقالوا : ما نرى لك رخصة وأنت قادر على الماء فاغتسل فمات . فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : * قتلوه قتلهم الله الا سألوا ان لم يعلموا ؟ فانما شفاء العي السؤال * فهو استدلال أيضا في غير محله ، وهو حجة أيضا على المقلدين - لا لهم ..

(٢) قال في اعلام الموقعين في بيان وجه ذلك ما نصه : ان النبي صلى الله

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٥١١ .

(٢) اعلام الموقعين ج ٢ ص ٢١٥ .

عليه وسلم انما ارشد المستفتين كصاحب الشجة بالسؤال عن حكمه وسنته فقال * قتلوه قتلهم الله ، فدعا عليهم حين افتوا بغير علم . وفي هذا تحريم الافتاء بالتقليد - فانه ليس علما باتفاق الناس ، فانما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قاعله ، فهو حرام وذلك أحد أدلة التحريم - فما احتج به المقلدون هو من أكبر الحجج عليهم وكذلك سؤال أبي العسيف الذي رثى بأمره ستاجره ، لأهل العلم ،

فانه لما أخبروه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في البكر الزاني أقره على ذلك ولم ينكره ، فلم يكن سوءا لهم عن رأيهم ومذاهبهم - وأما استدلالهم بأن عمر قال في الكلاله : انى لأستحي من الله أن اخالف أبا بكر ، وان ذلك تقليد منه له فلا حجة لهم فيه أيضا ، وخلاف عمر لأبي بكر رضي الله عنهما أشهر من ان يذكر . كما خالفة في سبى أهل الردة فسيبهم أبو بكر وخالفة عمر . وبلغ خالفة الى ان ردهن حرائر الى أهلهن الا لمن ولدت لسيدها منهن ونقض حكمه ومن جعلتهن :

(٢) خولة الحنفية ام محمد بن علي وخالفة في ارض العنوة فقسمها أبو بكر ووفقها عمر وخالفة في المفاضلة في العطاء فرأى أبو بكر التسوية ورأى عمر المفاضلة وخالفة في الاستخلاف فاستخلف أبو بكر عمر على المسلمين ولم يستخلف عليهم عمر احدا ايثارا لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فعل أبي بكر رضي الله عنه ، وخالفة في الجد والأخوة ، مع ان خلاف أبي بكر الذي استحي منه عمر هو خلافه في قوله * ان يكن صوابا فمن الله

(١) اضواء البيان في ايضاح نقرآن بالقرآن ج ٧ ص ٥١١ ، ٥١٢

(٢) اعلام الموقعين ج ٢ ص ٢١٩ .

وان يكن خطأ فمضى ومن الشيطان والله منه برى* ، هو : مادون -
الولد والوالد فاستحيى عمر من مخالفة ابي بكر في اعترافه بجواز الخطأ
عليه وأنه ليس كلامه كله صواباً ما مونا عليه الخطأ هددل على ذلك ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقر عند موته أنه لم يقض في الكلام لينة

(١) بشي* وقد اعترف الله لم يفهمها قاله في اعلام الموقعين ، ومن العجب
استدلال المقلدين على تقليدهم ، باستحياء : عمر من مخالفة ابي بكر
مع انهم لم يستحيوا من مخالفة ابي بكر وعمر ، وجميع الصحابة ومخالفة
" الكتاب والسنة اذا كان ذلك لا يوافق مذهب امامهم كما هو معلوم
من عاداتهم ، وكما أوضحه الصاوى في الكلام الذى قدمناه على قوله
تعالى * ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا لا أن يشاء الله * فقد
قال الصاوى : ان من خرج من المذاهب

(٢) الأربعة فهو ضال مضل ولو وافق الصحابة والحديث الصحيح والآية

(٣) وربما اداه ذلك الى الكفر لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول
الكفر فمن هذا مذهبه ودينه وكيف يقول باستحياء عمر من مخالفة ابي بكر
بل كيف يستدل بنص من نصوص الوحي ، أو قول احد من :

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ان ابا بكر خليفة راشد امر النبي
صلى الله عليه وسلم بالأقتداء به في قوله * عليكم بسنتي وسنة الخلفاء*
الراشدين المهديين من بعدى * الحديث - فليس الأقتداء بالخلفاء
كالأقتداء بغيرهم اما استدلالهم على تقليدهم بقول عمر لابي بكر رضي الله

(١) اعلام الموقعين ج ٢ ص ٢١٩ .

(٢) تفسير الصاوى ج ١ / ٨ ص ٥

(٣) نفس المصدر السابق ج ٢ ص ٥١٤ ، ٥١٥ .

١ - سورة الكهف

٢ - اظهر ص ٤٤ التعليل

عنهما : راينا لرأيك تسع . . فيكفي في رده ما قد منا قريبا ، من مخالفة عمر لابي بكر ، مع أن القصة التي قال فيها : راينا لرأيك تسع ، رد فيها على ابي بكر بعض ما قاله ، وأيد الصحابة ما قاله عمر في رده على ابي بكر رضي الله عنهما ، لأن الحديث المذكور في وقد بزأخه - من أسد وخطفان حين قد موا على ابي بكر يسألونه الصلح فخيرهم ابو بكر بين الحرب المجلية والسلم المخزية . فقالوا : هذه المجلية قد عرفناها . فما المخزية ؟ قال : تنزع عنكم الحلقة والكراع ، ونغنم ما أصبنا لكم وتردون لنا ما أصبتم منا . ، وتدرون لنا قتلانا ، الى آخر كلامه وفيه فقام عمر بن الخطاب فقال : قد رأيت رأيا سنشير عليك ، أما ما ذكرت من الحرب المجلية والسلم المخزية فنعم ما ذكرت . . وما ذكرت من ان تدون قتلانا وتكون قتلاكم في انار ، فان قتلانا قد قاتلت فقتلت على ما أمر الله أجورها على الله ليس لها ديات ، فتتابع القوم على ما قال عمر رضي الله عنه ، فهذه القصة الثابتة هي التي في بعض الفاظها : وراينا لرأيك تسع ، وانت ترى عمر رضي الله عنه لم يقلد فيها ابا بكر رضي الله عنه ، الا فيما يعتقد صوابه فانما ظهر له انه صواب قال له فيه : نعم ما ذكرت ، وما ظهر له انه ليس بصواب رده على ابي بكر وهو قول ابي بكر يدفع ديات الشهداء ، لأن عمر يعتقد ان الشهيد في سبيل الله لا دية له لان الله يقول * ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واوقالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلوا ————— ويقتلون وعدا عليه حق في التوراه والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده

(١)

(١) سورة التوبة الآية ١١١ الموقوع / ٢١٧
 ١٢ - ذكر ما ايد القيم والاعلام

من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم * وذلك يوضح

(١) لك ان الصحابة رضي الله عنهم لا يعدلون عن الكتاب والسنة الى قول أحد وأما احتجاجهم بتقليد ابن مسعود لعمر فهو ظاهر السقوط ولو وافق عمر في بعض المسائل فهو من قبيل موافقة بعض العلماء لبعض لا اتفاق رأيهم لا لتقليد بعضهم البعض ، وقد خالف ابن مسعود عمر في مسائل كثيرة جدا كمخالفته له في ام الولد ، لأن ابن مسعود يقول فيها انها تمتنع من نصيب ولدها ومن ذلك ان ابن مسعود كان يطبق في ركوعه الى أن مات ، وعمر كان يضع يديه على ركبتيه ، وكان ابن مسعود يقول في الحرام هي يمين وعمر يقول : انه طلقه واحده . وكان ابن مسعود يحرم النكاح بين الزانين وعمر يثوبهما ، وينكح احدهما الآخر ، وكسان ابن مسعود يرى بيع الأمه طلاقها ، وعمر يرى عدم ..

(٢) ذلك وأمثال هذه كثيرة معلومة . مع ان ابن مسعود يقول انه اعلم الصحابة

- (١) اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ج ٧ ص ٥١٦ .
 (٢) عبد الله بن مسعود بن غافل التهذلي ابو عبد الرحمن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمه - وامره عمر على الكوفة ومات سنة ٣٢ هـ او التي بعدها ، تقريب التهذيب ج ١ ص ١٥٠٠ ، وانظر سيرة ابن هشام ج ١ / ٢٥٤ وطبعات خليفه خياط ٣٦ / ١٦ انساب الاشراف ج ١ ص ٢٠٤ الاستعاب ج ٢ / ٣١٦ وجوامع السيرة لابن جزم ٤٧ وتاريخ بغداد ١٤٢ / ١ والاكمال لابن ماكولا ج ٧ / ٤١٨ وصفوة الصفوة لابن الجوزي ٣٩٥ اسد الغابة ٣ / ٣٨٤ وتحفة الاشراف ٣ / ٧ وتاريخ الاسلام ٢ / ١٠٠ للذهبي وتذكرة الحنفية ١٣ / ١ معرفة القراء الكبار للذهبي ١ / ٣٣ البداية والنهاية ٧ / ٢٦٢ الاصابة ٢ / ٣٦٨ تهذيب التهذيب ٦ / ٢٧ مجمع الزوائد ٩ / ٢٨٦ وسبل الهدى والرشاد ٢ / ٤١٣ - الفكر السامي ١ / ١٨٢ ،

بكتاب الله وإنه لو كان يعلم احدا أعلم منه به لرحل اليه ، ولم ينكر عليه احد من الصحابة . وقد قدمت عنه قوله : كن عالما او متعلما ولا تكن امة . فليس ابن مسعود من أهل التقليد ، مع ان المقلدين المحتجين بتقليد ابن مسعود لعمرو لا يقلدون ابن مسعود ولا عمرو ولا غيرهما من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يأخذون بقول الله ولا رسوله وإنما يفضلون على ذلك كله تقليد أحد الأئمة أصحاب المذاهب الأربعة رحمهم الله .

- (١) وأما استدلالهم على التقليد بأن عبد الله كان يدع قوله لقول عمر ،
- (٢) وأبو موسى كان يدع قوله لقول علي ، زيد يدع قوله لقول ابي بسن كعب فهو ظاهر السقوط ايضا ، لأن من المعلوم ان الصحابة المذكورين رضي الله عنهم لا يدعون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد ، وهذا لا شك فيه ، وكان ابن عمر يدع قول عمر اذا ظهرت له السنة وكان ابن عباس يقول : يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء ، اقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر ، وأما استدلالهم على التقليد بأن معاذ رضي الله عنه صلى سبقا فصلى ما أذرك مع الامام أولا ، ثم قضي ما فاته بعد سلام الامام ، وكما نواضل ذلك يصلون ما فاتهم أولا ثم يدخلون مع الامام في الباقي .. وان النبي صلى الله عليه وسلم قال في ذلك :
 ﴿ ان معاذ قد سن لكم سنة ، فكذاك فافعلوا ﴾ ..

(٣)

- (١) نفس المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٥ - ١٧٠ ..
- (٢) هو عبد الله بن قيس بن الحليم بن حضار - يفتح التمهلة وتشديد الضاد أبي موسى الأشعري صحابي جليل مات سنة ٥٠ هـ .
- (٣) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الانصاري الخزرجي ابو عبد الرحمن - من اعيان الصحابة شهد بدرا وما بعدها وكان اليه المنتهى في ==

١ - اعلام الموقعين ص ٩/١٩٠

اتبع ذلك بقوله * فان تنازعتم في شئ* فردوه الى الله والرسول ان كنتم
شوامون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا * فالاية صريحة في
رد كل تنازع الى الله ورسوله ، والرد الى الله هو الرد الى كتابه ، والرد
الى رسوله صلى الله عليه وسلم هو الرد اليه في حياته ، والرد الى سنته
بعد وفاته صلى الله عليه وسلم اقول هالـك والتوفيق الثـاكم لا يكون الا
بكتاب الله عز وجل وسنته رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا شئ* معلوم
من الدين بالضرورة فليس فيه مجال للرأى لكونه مخصوصا في الكتاب ،
والسنة المطهرة ،

- (١) قال تعالى * وان أحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم * -
وقال ايضا * ولا يعصينك في معروف * وكذلك الاحاديث كثيرة
دالة على ان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كحديث ابن عمر :
* ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : السمع والطاعة على امر* المسلم
فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة *
(٢) وحديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :
* فسي السرية الذين أمرهم أميرهم أن
(٣) يدخلوا في النار * لو دخلوها ما خرجوا منها ابدا انما الطاعة في
المعروف * ولا يخفى ان طاعة الله وطاعة رسوله المأمور بها في الآية
لا يتحقق وجودها الا بغيره امر الله ورسوله ونهى الله ورسوله والمقلدون

(١) سورة المائدة الآية ٤٩ المعجم المفهرس لافاظ القرآن ص ٢١٣ .

(٢) نفس المصدر السابق ح ٧ ص ٥١٩ .

(٣) اخرج البخاري ح ١٣ ص ٢٠٣ فتح الباري وسلم ح ١٥ / ٦ -

وابوداود رقم ٢٦٢٥ والنسائي ح ٢ ص ١٨٧ والطيايبي ١٠٩

وأحمد ح ١ ص ٩٤ عن علي رضي الله عنه .

سورة المائدة الآية ١٢

البار ح ٤ ص ٢٢٤

مقرون على انفسهم بأنهم لا يعلمون امر الله ولا نهيه ولا أمر رسوله ولا نهيه
وقاية ما يدعون علمه هو ان الامام الذي قلده قال كذا ، معجزهم
عن التمييز بين ما هو خطأ وما هو صواب بل اكثرهم لا يميزون بين قول
الامام وبين ما الحق اتباعه بعده مما قاستوه على أصول مذهبه ، ولا شك
ان طاعة العلماء هي : اهتفا ما كانوا عليه من النظر في كتاب الله ،
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتقديمها على كل قول وعلى كل رأى كانتا
ما كان . فمن قلدهم التقليد الاعلى وترك الكتاب والسنة لأقوالهم
فهو المخالف لهم المتباعد عن طاعتهم ، كما تقدم ، واما استدلالهم
على التقليد بقوله تعالى : **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ** من المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه **﴿ قائلين : ان
تقليدناهم من جملة اتباعهم باحسان ، فقلدهم من رضي الله عنه ينص
الآية فهو ظاهر السقوط ايضا ، لأن الذين اتبعوهم باحسان هم الذين
ساروا على مثل ما كانوا عليه من العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم . فلم يكن احد منهم يقلد رجلا وترك الكتاب والسنة لقوله
فالمقلدون التقليد الاعلى ليسوا من اتبعهم البتة ، بل هم اعظم
الناس مخالفة لهم . وابعدهم عن اتباعهم ، فاتبع الناس لما لك مثلا -
ابن وهب ونظراؤه ، من يمرضون أقواله على الكتاب والسنة فيأخذون
منها ما وافقها دون غيره ، واتبع الناس لابي حنيفة **_____**
ابو يوسف ، ومحمد بن الحسين مع كثرة مخالفتها له ، لأجل الدليل**

(١١)

(١) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي
صاحب الامام ابي حنيفة وتلميذه واول من نشر مذهبه كان فقيها
علامة من حفاظ الحديث ولد بالكوفة سنة ١١٣ هـ وولي القضاء
ببغداد ايام المهدي والهادي والرشيد ومات في خلافة
وهو على القضاء وهو اول من دعي بقاضي القضاء .

من كتاب أو سنة ، واتبع اصحاب أحمد بن حنبل له البخارى وسلم
وابوداود والأشعثون لتقديمهم الدليل على قوله وقول غيره وهكذا وأما
استدلالهم على تقليدهم : بحديث في اصحابي كالنجوم بأيهم
اقتديتهم اهتديتم في فهو ظاهر السقوط ايضا ، اعلم اولا ان -
الحديث لا يصرح عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو حديث ضعيف لا يصرح
الاحتجاج به

(١) فجميع طرقه ليس فيها شيء قائم - قال في اعلام الموقعين : روى
هذا الحديث من طريق الأعمش عن ابي سفيان عن جابر ، ومن حديث
سعيد ابن المسيب عن ابن عمر ، ومن طريق حمزة الجري عن نافع
عن ابن عمر ولا يثبت شيء منها . قال ابن عبد البر : حدثنا محمد
بن ابراهيم بن سعيد ان ابا عبد الله بن مضر حدثهم ، حدثنا
محمد بن أيوب الضموت قال : قال لنا البزار ، وأما ما يروى ،
عن النبي صلى الله عليه وسلم في اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتهم ،
اهتديتم ، فهذا الكلام لا يصرح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وضعف
الحديث المذكور معروف عند أهل العلم ، مع أن المقلدين المحتجين
به يقتضون تقليد الصحابة ويجرمون الاهتداء بتلك النجوم وهو :
تناقض عجيب لأنهم تركوا نفس مادل عليه الحديث واستدلوا بالحديث
على ما لم يتعرض له الحديث ، وهو تقليدهم وتقديمهم على تقليد
الصحابة وتقديمهم ، مع ان قياسهم على الصحابة لا يصلح لعظم الفارق
وبهذا يعلم سقوط استدلالهم - بما ذكروا عن عبد الله بن مسعود . .

== الاعلام ٢٥٢/٩ - مفتاح السعادة ١٠٠/٢ اخبار القضاة

لو كيع ٢٥٤/٣ - والذم الزاهرة ١٠٧/٢ - البداية والنهاية

١٨٥/١٠ وتاريخ بغداد ٢٤٢/١٤ وابن خلكان ٣٠٣/٢ -

ومراة الجنان ٣٨٢/١ . .

(١) اعلام الموقعين ص ٢٢٢

(١) قوله * من كان سنننا منكم فليسكن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد *

(٢) والله جل وعلا يقول * أأمرين الناس بالخير وتنهون أنفسكم * وأما

استدلالهم بقوله عليه الصلاة والسلام * عليكم بسنننا وسنة الخلفاء

الراشدين الصديقين من بعدى * وقوله عليه الصلاة والسلام * اقتدوا

بالحذرين من بعدى أبي بكر وعمر * فهو حجة عليهم لا لهم ، لأن

سنة الخلفاء الراشدين التي حث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم

مقرونة بسنة ليس فيها البتة تقليداً على ولا التزام قول رجل بعينه

بل سنتهم هي : اتباع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وثقديهما على كل شيء ، لأنهم هم اتبع الناس لرسول الله صلى الله

عليه وسلم وأشدهم حرصاً على العمل بما جاء به ، فالذي يقدم آراء

الرجال على كتاب الله وسنة رسوله يستدل على ذلك بحديث * عليكم

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين * الحديث ، هو كما ترى ، وأقوال

الخلفاء رضي الله عنهم وأفعالهم كلها معروفة مدونة إلى الآن ليس

فيها تقليد أعمى ولا جمود على قول رجل واحد ، وإنما هي عمل

بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومشاورة لأصحابه فيما نزل

من التوازل ، واستنباط ما لم يكن منصوصاً من نصوص الكتاب والسنة على

أحسن الوجوه واتقنها ، وأقرها لرضى الله والاحتياط في طاعته وكانوا

إذا بلغهم شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعوا إليه ولو كان

مخالفاً لرأيهم ، فقد رجع أبو بكر إلى قول المغيرة بن شعبه . .

(١) اعلام الموقعين ٢ / ٢٢٤ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٤٤ .

١٣ الترمذي شرح أبيه العرفي ١٢٩ / ١٣٠ ص ١٢٩
١٤ بحار معالي المناوي شرح الجامع ٥٩ / ٥٩

- (١) ومحمد بن مسلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم فرض للجدة السدس .
- (٢) وكان أبو بكر يرى أنها لا ميراث لها ، وقد قال لها لما جئناك " لا أرى لك شيئا في كتاب الله ولا أعلم لك شيئا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم " وقد رجع عمر الى قول المذكورين في دية الجنين ، ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل فيها غرة عداو وليده ، ورجع عمر ايضا الى حديث عبدالرحمن ابن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر .
- (٣) ورجع عمر ايضا الى قول الضحاك بن سفيان ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب اليه ان يورث امرأه اشيم الضبابي من دية زوجها . ورجع عثمان بن عفان الى حديث فريضة بنت مالك اخت أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها بالسكنى في البيت الذي ،

-
- (١) محمد بن مسلمة بن سلمة الانصاري ، صحابي مشهور وهو أكبر من اسمه محمد بن الصحابة مات بعد الأربعين وكان من الفضلاء .
١ / ع التقريب ٢٠٨ / ٢ .
- (٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥٢٢ / ٧ .
- (٣) الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب الكلبي أبو سعيد ، صحابي معروف كان من عمال النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقات - ع . التقريب ٣٧٢ / ١ .
- (٤) هي : القريضة بالتصغير بنت مالك بن سنان - الأنصارية اخت أبي سعيد الخدري صحابية لها حديث قضى به عثمان - وهو هذا الذي معنا - وقال لها - القارعة
/ ع ، التقريب ٦١٠ / ٢ .

توفي عنها زوجها فيه حتى تنقضي عدتها . وامثال هذا أكثر من ان
تحصى ، وفق ذلك بيان واضح لأن سنة الخلفاء الراشدين ، هي
المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقديم سنته على كل شيء
فعلينا جميعاً ان نعمل بمثل ما كانوا يعملون لنكون متبعين :

لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنتهم . اما المقلد المعرض
عن سنتهم وعن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، مفضلاً
على ذلك تقليد أبي حنيفة او مالك او الشافعي او أحمد رحمهم الله
فما كان يحق له أن يستدل بحديث * عليهم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين * الحديث لأنه مقر بمقتضى تقليده ، بأنه ابعد الناس عن
العمل بحديث * عليكم بسنتي * الحديث واما استدلالهم بأن عصر
كتب الى شرح : ان اقض بما في كتاب الله فان لم يكن فسي
كتاب الله فما في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم فيما قضى به
الصالحون في حجه عليهم ايضاً لا لهم لأن فيه تقديم كتاب الله ثم سنة رسوله

(١) صلى الله عليه وسلم ، ثم العمل بما قضى به الصالحون ، وخيرهم
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان المقلدون يمثلون هذا
لما انكر أهل العلم ولكن المقلدون المحتجين بهذا يمنعون العمل
بكتاب الله وسنة رسوله والعمل بفتاوى أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم
وهو جسون الجمود على قول الأمام الذي قلده والتزموا بمذهبه ، ومن
كانت هذه حاله فلا يحق له ان يستدل بشيء من هذه الأدلة .
واما استدلالهم بان عمر رضي الله عنه منع من بيع امهات الأولاد فتيعة

(١) اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ٥٢٥/٧ .

الصحابه . والزم الطلاق الثلاث بكلمة واحدة وتبعة الصحابة . فهو ظاهر السقوط ايضا ، وقد تقدم ان موافقة الصحابة ومتابعة بعض الصحابة لبعض انما هي لا تفاقم فيما راه ، لا لأن بعضهم مقلد بعضا تقليدا اعمى ، أقول وبالله التوفيق : البحث طویل وآدلة الأطراف كثيرة وكل طرف يحتج بما يراه مقبولا لمذهبه ، والمنصف يرى من خلالها ان اصحاب التقليد محجوجون بسبب اعتمادهم في أمر دينهم ودنياهم على رجل واحد بعينه ولا يعدلون عما يقول : ولا يبحثون خطأ ما قال أم صواب . وهذا أولا جمود وثانيا تقصير وثالثا تعطيل للعقل عن التفكير وللنصوص عن استعمالها فيما وردت فيه ويتخبطون لنصوص وأثار يستدون بهما ومن جملة ما أدلوا به ، وتذرعوا به قول عمرو بن العاصي لعمر بن الخطاب لما أحتلم خذ ثوبا ١٢ غير ثوبك وكذلك استدلوا بقول أبي (ما استبان لك فاعمل به . وما اشتبه عليك فكله الى عالمه ، وقالوا ايضا ان الصحابة كانوا يفتون ورسول الله صلى الله عليه وسلم موجود وان ذلك تقليد ومن أفتي وغلط في فتواه ورد بها عليه الصلاة والسلام . وقد رد على أبي السنابل بن بعكك قوله لربيعة الأسلمية لما مات زوجها ووضعت حملها بعد ذلك بأيام * أنها لا تنقض عدتها الا بعد أربعة اشهر وعشر ليال * وقد استدل أبو السنابل على ما أفتي

(۱) هو : ابوالسنایل بنون مخففه ثم موحدہ ثم لام بن بعک بموحدہ وزن جعفر وبعک هو ابن الحارث بن عمیلہ بالفتح ، ابن السباق بن عبدالدار القرشی قبل اسمہ : عمرو قیل عبد رہ صحابی مشہور ۔

د س ق / التقريب ٢ / ٤٣١

(٢) نفس المصدر السابق ٧ / ٥٢٧ •

١- عدم الموقوفه حـ ٤٢١/٤

۲۷ = منی المصلح (۲۱)

به بعموم قوله تعالى * والذين يتوفون منكم يذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا *

(١)

وقد رد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فتواه مبينا ان

(٢)

عموم قوله * والذين يتوفون منكم * الآية مخصص بقوله * وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن * وكأنكاره على الذين اقتوا صاحب الشجة بأنهم لم يجدوا له رخصة وهو يقدر على الماء ، وقد تقدمت قصته والظاهر انهم استدلوا في فتواهم بقوله * فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا * وغفلوا عن قوله * وان كنتم مرضى * الآية وأمثال هذا كثيرة جدا - وكذلك اعتمدوا في امر تقليدهم بقوله * فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون * قائلين ان الآية أوجبت قبول انذارهم وأن ذلك تقليد وهكذا يقولون في كل آية وحديث أرادوا -

الاستدلال به ولو ذهب اتباع ما قالوه كانت الرسالة رسالة خاصة بهم وذلك غير مراد وقد أوردت في هذا البحث ما أرجو ان يكون كافيا فيه وأسهبته فيه قليلا نظرا لكونه العائق الأول من عوائق العقل عن التفكير وأيضا في صميم موضوعي ، وكذلك كل ما فيه من جواب واعتراض عليه مدعوم بكتاب او سنة . وهذا هو ديدن الكتاب والسنة علما بأن الناس اليوم - يحتاجون لما يقربهم من هذين الصليين المتبينين وهنا ننهي الكلام على هذا الفصل الأول ووالعائق الأول من العوائق التي تحول بين العقل والآخذ بنصوص الكتاب والسنة وتجعله يتبع السبل المتفرقة والمؤدية الى غير سبيل الرشاد واعاذنا الله من ظلمات الجهل .

(١) سورة النور الآية ٢٣ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ٦١٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٤ " " " " " " ص ٣٣٣ .

سورة النور الآية ٢٣

الفصل الثالث

أثر البيئة على العقل

يقول الله تعالى * والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا *

وجعل لكم السمع والبصر والافئدة لعلمكم تشكرون *

(١)

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة ان العبد يخرج من بطن امه لا يعرف شيئا ولا يعقله والله سبحانه هو الذي أوجد له الحواس السمع والبصر والفؤاد ، واذا كان العلماء الكتاب والسنة يعرفون هذا بلا شك

وشرحوه وصيته فان رجال علم النفس الاجتماعي استفادوا أيضا من هذه التعليمات السماوية واستنتجوا منها أن هناك

مؤثرات المؤثر الأول يبدو بالوراثة والتكوين الخلقي عن طريق

(٢)

الخلايا التي يتكون فيها الجنين من أبوة . يبدو بالدوافع الفطرية كالعمل الى الطعام ، والجنس والحياة الاجتماعية ، والحساسية ، بالمؤثرات المختلفة كالأحاساس بالجوع والعطش والانعكاسات ارمعنوية والتموجات الصوتية والقدرة على التكيف مع البيئة بشكل منظم والقدرة على تطوير البيئة تبعاً لحياته . ومضى الاستعدادات الفطرية الخاصة الأخرى كالاستعداد اللغوي ، أما المؤثر الثاني فيبدو بالثقافة وطريقة الحياة التي يعيش فيها الفرد والتي تؤثر في نمو الشخصية وتحديد ما عن طريق التعمود والتعليم ، والواقع ان نمو شخصية الفرد لا يتم الا عن طريق التفاعل المستمر المنتظم بين طبيعة الفرد ..

(١) سورة النحل الآية : ٧٨ .

(٢) علم الاجتماع تأليف : عبد الرحمن النحلاوي ١٠٣ .

الفطرية العامة وبين المجتمع ، وعن طريق هذا التفاعل يشمر الفرد بجسمه وحاجته الداخلية للغذاء والأمن ويعرف طريقة تحقيق ذلك فتتحول شخصيته الى شخصية ناضجة متكاملة ، ولا يمكن لملاكات الانسان واستعداداته ومقدراته ودوافعه الغريزية ان تؤدى وظيفتها في التنشئة الاجتماعية وتكون الشخصية العقلية والسلوك الانساني السليم حين ، تترك وشأنها -

* أهمية العوامل الاجتماعية والثقافية في تربية الانسان *

(١) قال تعالى * الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة * تتعرض هنا لكيفية نمو الانسان وتكهن سلكه كي ندرك ان القرآن ما ترك شيئاً الا بينه لنا وقصه علينا احسن القصص ونلاحظ في هذا الخصوص ان شخصيه الطفل في القترة الاولى تدور حول محور اللذة والألم فهو يقوم بكل تصرفاته على نحو فطري ودافعه في ذلك شعوره باللذة او بالألم فهو يقدم على الأعمال التي تلذ له ويصتنع عن الأعمال التي تؤلمه الا أنه ينتقل بعد ذلك الى مرحلة ثانية هي مرحلة الثواب والعقاب فهو يتأثر في سلوكه بالنتائج التي تترتب عليها فاذا كان العمل يلذ له ولكنه يمرضه لعقاب والديه فانه يتردد في القيام به وعلى العكس من ذلك فانه اذا كان العمل مؤلماً لكنه يجلب له ثواب والديه فانه يقوم به ثم ينتقل الى مرحلة اخرى هي : مرحلة الرضا أو سخط الناس من حوله لكنه في كل المراحل يرجع امره الى المادة والبيئة والمائلة التي هو فرد من أفرادها والتشابه

- العائلي ثابت ولا نزاع فيه وكل الدراسات التي أجريت على التشابه بين الأفراد تكشف عن بعض الشواهد الدالة على اثر العوامل العائلية في وجود هذا التشابه (١)
- ففيما يتعلق بالجدل الخالد حول مشكلة الوراثة والبيئة ليس هناك . . من يميل الى التشكك الجدى في دور الوراثة ، بل ان الجدل يدور أساسا حول الاثر النسبي لكل من الوراثة والبيئة وحول مدى ظهور التشابه والاختلاف نتيجة للتعديلات البيئية فالأشقاء والشقيقات الذين يثبتون في نفس الأسرة تكون لهم خبرات مشتركة ووراثة متشابهة والطريقة المألوفة في دراسة التشابه هي حساب معاملات الارتباط بين الخصائص لدى أزواج من الأفراد من أسرة واحدة .
- وليس هناك من عقبه تواجه الآباء والأمهات ان يبذلون الجهود لغرس المبادئ الطيبة في نفوس أبنائهم أكبر من الاعتقاد بأن أثر الوراثة يمين الخلق والسلوك والشخصية تعينا لا يمكن تبديله لهذا كان من اللازم قبل ان نشعر في التمرض لتكوين المبادئ وإقامة الشخصية ان تقدم بعض الحقائق التي تتعلق بأهمية الوراثة والبيئة احدهما بالنسبة للأخرى ، ذلك لأنه لا جدوى من ان نتبع أولئك الذين يميلون الى الخفض من شأن الوراثة في تكوين الفرد العقلي - والبدني ، والخلق ، ولا أولئك الذين كثيرا ما يغفلونها تماما هذا الى انه لا يمكن ان نحقق في هذا السبيل (٢)

-
- (١) علم الاجتماع ص ١٥٤ عبد الرحمن النحلاوي .
(٢) تطور نمو الأطفال تأليف الدكتور ابراهيم حافظ .
(٣) مشكلات نمو الأطفال تأليف : اسحاق رمزي ص ١٦ ط ٣ .
(٤) نفس المصدر السابق .

شيئا إذا وافقتا أصحاب المذهب الذى يؤكّد تأكيداً يقينياً ان كل مظاهر التنوع فى الشخصية سواء لحقت الفكر أو الخلق أو السلوك - قد تحتم قيامها فى الأطفال من قبل ، تبعاً لما قسم لهم من اختلافات أساسية فى طبائع كل منهم وقد يدفع وجود مذهبين . تختلف آراء كل منهما عن الآخر اختلافاً أساسياً بعيد المدى الى اعتقاد بأن الوراثة والبيئة قوتان تعمل كل منهما مستقلة تمام الاستقلال عن الأخرى وتتألف الواحدة منهما غيرها فى السيطرة على الثانية وليس هناك من فكرة أكثر من هذه بعضاً الى الخطأ فى تقدير الدور الذى تقوم به كل من هاتين القوتين فى نمو الفرد منذ أن يكون مضغاً فى بطن أمه ، ويكون للبيئة على الدوام أثرها فى عوامل الوراثة الكامنة فيه على أنه لا يكون لهذه البيئة أثرها إذا لم توجد فى الفرد تلك الخصائص التى تلازمه عن طريق الوراثة ، ويرى بعض علماء هذا الفن (أنه لا ينبغى من ناحية الفرد ان يتجاهل أهمية الوراثة ولا التسليم بأنها تعين مصير المرء تعيناً لا فرق منه ، ذلك لأن السيول الفريزية الوراثةية هي : الجذور التى تقوم عليها الحياة ، البدنية والعقلية والخلقية وقد ينمو بعض الناس نمواً يتفاوت فى سرعته ومداه عن نمو غيرهم ، ورغم ان جميع الناس يشتركون فى الخصائص البشرية العامة إلا أن كل فرد يستطيع ان يقبض من بيئته ما يميزه عن غيره وقد لا يستطيع بعض الناس أن يحقق فى بعض النواحي ما يحققه غيرهم أولاً يسهل عليهم ذلك غير ان أحداً لا يمكن ان يستفيد كل ما يحتاج له من فرض النمو . ومن ثم كانت المشكلة العملية هي :

ان نقيم جهودنا على استخدام الخصائص النافعة التي تملك البيئة
والتي تفرض على الانسان خطا ما يسلكه وسبيلا يتبعه وما يكتسبه
الانسان من البيئة هو : فرع من التقليد جرى حسب العادة المتبعة
في ذلك البلد .

(١) والعادة : ميل مكتسب الى أداء عمل من الأعمال بشكل آلي مثل
الكتابة وركوب الدواب ، وهي : نتيجة التعليم والكسب وتمتاز بأن
استمرار الانسان على أدائها يصل بالعمل الى الكمال والدقة وتمتاز
أيضا بقلّة الانتباه ، ومعنى ذلك هو : انتقال العمل من بورة الشعور
الى هامش الشعور ، فسائق السيارة الذي يتعلم سياقتها تكون
حركاته غير سديدة ويغفر منتبها الى كل حركة يريد ان يقوم بها فاذا
تعلم القيادة فانه يحرك يديه وقدميه دون ان يشعر ودون انتباه
وكأنه آلة تتحرك ويقتصر بعض العلماء العادة على تعلم الحركة ،
فيخرجونها بذلك من ميدان الإدراك والوجدان ، وذلك تصبح العادة
ظاهرة عضلية وتفسر العادة على هذا الأساس بأن تكرار الحركة يجعل
العضلات المتصلة بهذه الحركة

(٢) أكثر قبولا لتأديتها ، وتمتاز العادة عن الذاكرة باعتبار أن الذاكرة
ظاهرة تتصل بالخي ، ونستطيع ان نقول ان العادة ذاكرة حركية أقول
والله التوفيق اذا كان العاقل غالبا سديد التفكير محمود العمل فاننا
نرى العاقل أيضا كثيرا ما يعمل الأشياء السائدة في بيئته والتي -
لا يحمد الكثير منها نظرا لكونها من عادة وطبيعة تلك البيئة وهنا

(١) خلاصة علم النفس تأليف عبد فؤاد ط ٢ ١٩٤٨ ص ٥١ ،

٥٥ ، ٥٦ .

(٢) نفس المصدر المذكور : ١٦ .

ندرك مدى تأثير البيئة على العقل والله المستعان والهادي ، الى
السبيل الرشاد ، والواقع ان التكرار المتواصل يضيف تفهيرا ولوظيفا
على شكل العادة ، خصوصا اذا صاحب التكرار قليلا من الانتباه
والشعور والى جانب ذلك نجد بعض العادات تصل في حالة الثبات
الى درجة من الجمود حتى تنزل منزلة الطبع ولذا قيل : العادة
طبيعة ثانية ، وكثيرا ما يحاول صاحب العادة ان يعدلها ولكنه ،
لا يستطيع ، لأن العادة تمكنت من نفسه وطبعت جهازه العصبي
بطابع عميق ، كصاحب الخط الرديء الذي يجمد فلا يستطيع تحسينه
أما الأسباب التي تدفع الإنسان الى تغيير عاداته فمرجعها الى ملاءمة
نفسه بالبيئة ، فالوسط الذي نعيش فيه دائم التطور والتغير وهناك
ظروف على المرء ان يتلاءم واياها وقد شاهد العلم كله ظواهر واضحة
تدل دلالة ظاهرة على مقدار ثبات العادة والصعوبة في تعديلها
والتخلص منها وضرر العادات المتأصلة تبعا لذلك : اقول والله
التوضيح : لا ريب ان البيئة الجغرافية والاجتماعية لهما اثر ملحوظ
على العقل ففي الطقس الحار يندفع الإنسان الى الخمول وفي
الطقس البارد يندفع الى الحركة والبيئة البدوية تقف بالعقل عند
مبلغ ما وصلت اليه تلك البيئة من تحضر - والبيئة المتحضرة المليئة
بالثقافات عديدة الألوان تلقى من العقل استحابة ولا شك ان الأدب
والفنون والفكر والنظر ملكوا ذلك التصرف على الحقيقة ومرونة الخيال
وكل هذا غذاوة الحس ومكان ذلك هو : البيئة ، والبيئة عمل من
الأعمال الطبيعية يختلف باختلافها في كل قطر صوابا أو خطأ .
وتأمل قول ..

(١) الله عز وجل في بليته * وصدها ما كانت تعبد من دون الله
انها كانت من قوم كافرين * فوجودها مع الكفرة قد أثر فيها لصدتها
عن التأمل والتدبر ومن ثم تعين على الصالحين ان يبدوا فسي
اصلاحهم باصلاح البيئة التي هي المناخ الطبيعي لما خذ العقل
فان بقيت غير سالحة كان منهل العقل منها مشوا بالتلوث والقذر
وقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم . باصلاح البيئة فطهرها من
الأوثان ليبدأ العقل الاستقلال الصحيح الذي يحفظ عليه مداركه
السليمة والعقل يكاد يكون هو المميز للإنسان عن سائر الحيوانات

(٢) بعد قلبه الذي هو مهبط الهام والايحاء اليه * ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون * فاذا جمد الانسان بعقله
وانعزل عن التأثير والتأثر بالبيئة اصبح ذلك الانسان لا يلد حركة
ينتفع بها الأعقاب واذا لم يتطور كما يتطور الآخرون عشت في عصرك
غريب العقل أجنبي الشعور وحشي الثقافة واذا توقفت البيئة عن
التطور الملائم لعصور الحياة أصبحت متخلفة هامة لا تبعث في العقل
حياة والحقيقة ان البيئة مرآة للعقل وهو : مرآة لها يقابلها فكل
ماله طبع في هذه أنطبع في تلك وعلى الانسان ان يعدل ما ليس
يلام سواء كان ذلك في البيئة ام في العقل والبيئة للعقل غذاء
فاذا لم يكن هذا الغذاء سالحا للتغذية تعرض العقل للأصابة
المهلكة التي على أقل تقدير تضعف من حركته وشعوره هذا واذا
كنا ادركنا ان البيئة لها تأثير على المرء مباشرة فانه لا يفوتنا ان المؤثر
الحقيقي في البيئة والمرئ نفسه هو "المال الواحد الأحد مكور الليل على النهار

(١) سورة النمل الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الانفال الآية : ٢٢ .

ومكرر النهار على الليل وهو الذي اذا شاء تأثير اى شىء اثر ذلك الشىء فى الحال سواء فى ذلك البيئة فى العقل او العقل فى البيئة اقول والله التوفيق : ما يدلنا على تأثير البيئة دلالة واضحة ..

(١) ما ثبت فى الصحيحين من حديث الرجل الذى قتل تسعة وتسعين نفسا ..

(٢) ١= والحديث رواه ابوسعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال * كان فيمن قتلكم رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض . فدل على رآه فأتاه فقال : انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ فقال : لا فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له : انه قتل مائة نفس فهل من توبة ؟ فقال : نعم . ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء ، فانطلق حتى اذا نصف الطريق أتاه الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك فى صورة آدمي فجعلوه بينهم - أى : حكما فقال : قيسوا ما بين الأرضين الى ايتيهما كان

(١) رياض الصالحين بشروح دليل الفالحين للامام النووى ١/١٣٣ /

١٣٥/١٣٤ .

(٢) ابوسعيد سعد بن مالك بن سنان لله عبيد الانصارى ، ابوسعيد الخدرى استصغريوم ثم شهد ما بعدها له ولأبيه صحبه ، وقد روى الكثير من الأحاديث مات بالمدينة سنة ثلاث او اربع او خمس وستين وقيل اربع وسبعين / ع التقريب ١/٢٨٩ .

١= الحارثى ح ٤ ح ٢١٢

أدنى فهو له ، فقاموا فوجدوه أدنى الى الأرض التي اراد فقبضته ،
ملائكة الرحمة * هذا الحديث وان كان في باب التهمة والانابة -

الى الله عز وجل والرجوع اليه . والرسول صلى الله عليه وسلم قاله نوحيا
في التهمة ومبيناً صغر الذنب وان عظم في جنب عفو سبحانه الا أنه
كذلك له اساس قوى بتأثير البيئة وتأثيرها حيث أمر العالم الرجل
بالانتقال الى مدينة غير المدينة التي كان يقيم بها وقد بين له ان
أهل هذه المدينة أهل سوء ، وأن تلك المدينة الأخرى يسكنها ناس
طيبون فلا بد أن يتأثر بذلك الجو الجديد الطيب الذي صلح سكانه
وسلموا من فعل الخبائث . والعالم طلب من الرجل ان يفارق دار
الفساد وأصحابه الذين يعينونه عليه وهذا يفيد الانقطاع عن أصحاب
السوء مادامو على حالهم واستبدالهم بصحبة أهل الخير والعلم
والصلاح والعبادة والورع . .

- (١) ومن يقتدى به وينتفع بصحبته لتتأكد بذلك تهمة . فان كل قريب
يقتدى بقربه ، ونفعاً لبي الرجل الأمر وانطلق تائبا من زلته مفارقا
لمحلته ، قاصدا لما أمر بالرحيل اليه ، ويشهد لهذا الحديث الآخر
مثل الجليس الصالح مثل العطار ، ان لم يصحبك من
عطره أصابك من ريحه ، قال المناوي : في ضمنه ارشاد الى الأمر
(٢) بمحاله من ينتفع بمجالستهم في دينك من علم تستفيده او عمل يكون
فيه أو حسن خلق يكون فيه أو حسن خلق يكون عليه ، فان الإنسان
اذا جالس من تذكره مجالسته الأخرى فلا بد ان يقال منه بقدر ما يوفقه الله
بذلك ، وفي هذا أيضا دلاله على ان التأثير يحصل بالمقارنة والجيرة .

(١) نفس المصدر السابق ٧ / ١٢٦ .

(٢) فيض الغدير شرح الجامع الصغير ٥ / ٥٠٧ .

والسكن وجميع الاختلاط والحديث المذكور اشارة للسيوطي بالصحة
ووافقه المناوي ، وقال الحاكم انه صحيح واقره الذهبي ، وهذا
الحديث والذي قبله بين به النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته
والترغيب فيمن ينتفع بمجالسته ، قال الراغب : نهي بهذا الحديث
على أن حق الإنسان أن يتحرى بغاية جهده صاحبه الأخيار ومجالستهم
فهي قد تجعل الشرير خيرا كما أن صحبة الأشرار قد تجعل الخير
شريرا . .

(١) قال بعض الحكماء : من صحب خيرا اصاب بركته فجلس اولياء الله
لا يشقى ، وان كان كليا ككلب اصحاب الكهف ولهذا أوصوا أهل العلم
بالبعد عن مجالسة السفهاء ، قال علي كرم الله وجهه : لا تصحب
الفاجر فانه يزين لك فعله ويود لو انك مثله ، وقالوا : اياك ومجالسة
الأشرار فان طبيعتك يسرق منهم وأنت لا تدري ، وليس أعداء الجليس
جليسه بما قاله وفعله فقط بل بالنظر اليه ، والنظر في الصوريورث
في النفس أخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه فان من دامت رايته للمسروق
سر . او للمحزون حزن وليس ذلك في الإنسان فقط بل في الحيوان
فمن المشاهد ان الماء والهواء يفسدان بمجاورة الحيفة فما الظن
بالنفوس البشرية المستعدة لقبول صور الأشياء خيرا وشرها ؟
وقد قيل سمي الإنسان لأنه يأنس بما يراه خيرا او شرا ، اقول والله
التوفيق على اية حال حديث الباب الذي معنا شاهد لنا على صحة
ما قدمنا في شأن البيئة ولا يسأل عن صحته فقد اخرج الامام
(٢) البخاري قال حدثنا محمد بن سيار حدثنا محمد بن عدي عن

(١) نفس المصدر السابق ٥ / ٥٠٧ .

(٢) البخاري ٣١٣/٤ محمد علي اصبح واولاده بالأزهر - مصر .

شعبة عن قتادة عن ابي الصديق التاهي عن ابي سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال * كان في بني اسرائيل رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا * الحديث قد تقدم بتمامه وهو شاهد لما نحن فيه من تأثير البيئة - والفاظ الحديث فيها اختلاف بسيط في بعض العبارات كقوله " فناء بصدرة " وقوله " اقرب بشبر " يعنسي نحو الأرض الطيبة والغرض عندي من ايراد هذا هو ان الرجل وهو في سكرات الموت حاول وهو في اللحظات الأخيرة من الوقت الحرج أن يكون اقرب الى هذه الأرض التي فيها الجو الصالح للأسلام ، ويتأثر فيها المسلم بعمل الآخرين من اخوانه المسلمين سكان تلك البقعة ، وكان العلماء الصالحون يرغبون في قرب أهل الخير والتأسي بأفعالهم ولهذا وجبت الهجرة في بدء الأسلام الى دار الأسلام المدينة المنورة ، وما ذاك الا للتأثر بالبيئة الصالحة ولا يمكن ان يقوم الفاسد ببلد صالح وأهله صالحون ولا يتأثر بهم بل لا بد من خروجه اذا اراد الله له الاستقامة على الشر لأن البلد الطيب ينفي الخبث كما ورد عن طيبة ، قال البخاري :

(١) حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن يحيى بن سعيد قال : سمعت

أبا الحباب سعيد بن يسار يقول سمعت ابا هريرة رضى الله عنه يقول : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم * أمرت بقربة تأكل القرى ، يقولون يشرب وهي المدينة : تتقى الناس كما ينقى الكير خبث الحديد * قال في الفتح : المراد بالناس الشرار منهم وقريته اراده الشرار من الناس ظاهرة من التشبيه الواقع في الحديث ، والمراد بالنقى الأخراج

(١) فتح الباري ٤ / ٨٧ ط السلفيه .

ع = انظر التجار ح ٤ / ٢١٢

ولو كانت الرواية " تنقي بالقاف لحمل لفظ الناس على عمومه أمرت
أى : امرني ربي بالهجرة اليها أو سكناها فالأول محمول على أنه
قاله بمكة : والثاني على أنه قاله بالمدينة ، والغرض من إيراد هذا
الكلام هو : اثبات تأثير البيئه بأذن الله تعالى وبيان ان الأنسان
ضعيف يحتاج الى بيئه تعينه على فعل الخير والدوام عليه ومما
يالتوجه اليه . قال الإمام مسلم حدثنا محمد بن العلاء الهمداني -

واللفظ له ..

(١) حدثنا ابواسامة عن بريد عن ابى بردة عن ابى موسى عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال * انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل
المسك وناخ الكير ، فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع
منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ، وناخ الكير اما أن يحرق ثيابك
واما ان تجد منه ريحا خبيثه * وهذا من تأمله يجد تأثيرا ..

(٢) حقيقيا ملموسا قال صاحب اكمال الاكمال شرح صحيح مسلم : فو هذا
التمثيل حض على صحبة الملما وأهل الدين ومجانبة غلان السوء
وحصر التقسيم فى الجليسين ليس هو بمانع الخلو لأن المراد بالصالح
الصالح المتمدى نفعه للغير - والسوء السوء المتعدى ضرره للغير -
لقوله " اما أن يؤذيك أو يحرق ثيابك وإذا كان كذلك فقد يوجد
جليس لا يضر ولا ينفع ، وقرين السوء ان لم يحفظ الله العبد فلا بد من
تأثيره به ولهذا المعنى قال تعالى * قال قائل منهم انى كان ،

(١) صحيح مسلم ج ٨ / ٩ دار المعرفه بيروت

(٢) مسند القدر ج ٢ / ٢٢٢
(٢) بريد بن عبد الله بن أ. بردة بن أبى موسى الأشعرى الكوفي ثقة

يخطى " قليلا من السادسة / ع / التقريب ١ / ٩٦ .

(٣) اكمال الاكمال شرح صحيح مسلم ٧ / ٦٤ .

- لي قرين يقول انك لمن المصدقين اذا متنا وكنا ترابا وعظاما اءنا
لعديينون قال هل انتم مطلقون فاطلع فراه في سوا
الجحيم قال تالله ان كدت لتردينني ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين (١)
- وهذا يدل على شانة التأثير وان هذا الانسان لما منعه من الانجراف
في ذلك السوء الذي كان فيه صاحبه الذي رآه في سوء الجحيم الا
عناية الله سبحانه وتعالى وتوفيقه كما قال تعالى حاكيا عنه * فلولوا
نعمة ربي لكنت من المحضرين : الهالكين في النار بسبب ارتكاب السوء
في دار الدنيا ، قال القرطبي * لولا نعمة ربي * أي : عصيته
وتوفيقه بالاستمسك بعروة الاسلام والبراءة من القرين السوء ، وقوله *
لكنت من اللعاضرين * قال الفراء لكنت معك في النار محضرا ، وأحضر
لا يستعمل مطلقا الا في الشر قاله الماوردي ، وقال تعالى :
* لنبيه صلى الله عليه وسلم آمرا له باتباع المرسلين والتأسي
بأفعالهم وأقوالهم * أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * وقد
جاء في الفتح قال ابن عباس نبيكم صلى الله عليه وسلم ممن أمر أن
يقتدى بهم .
- قال ابن حجر : حاصله ان الزيادة لفظية والا فالكلام المذكور داخل
في قوله في الرواية الأولى * وهو منهم * أي داود بمن أمر نبيكم أن
يقتدى به في قوله تعالى * فبهداهم اقتده (وقد حصل الخلاف -
هل كان صلى الله عليه وسلم متعبدا بشرع من قبله حتى نزل عليه ناسخه ؟
-
- (١) صورة الصفات الآية ٥١ - ٥٢ / ٥٣ / ٥٤ / ٥٥ / ٥٦ / ٥٧ .
(٢) تفسير القرطبي ٨٤ / ١٥ ط دار الكتب العربية للطباعة والنشر .
(٣) فتح الباري ٨ / ٢٩٤ / ٢٩٥ .
(٤) عدة القاري شرح صحيح البخاري ٨ / ٥ .

فَقِيلَ : نَعَمْ وَحُجَّتْهُمْ هَذِهِ الْآيَةُ وَنَحْوُهَا ، وَقِيلَ لَا وَاجِبُوا عَنْ الْآيَةِ
بِأَنَّ الْمَرَادَ اتِّبَاعَهُمْ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ وَفَاقَهُ وَلَوْ عَلَى طَرِيقِ الْأَجْمَالِ فَيَتَّبِعُهُمْ
فِي التَّفْصِيلِ وَهَذَا هُوَ الْأَصَحُّ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ وَاخْتَارَهُ أَسَامُ
الْحَرَمِيِّ وَمِنْ تَبِعِهِ وَاخْتَارَ الْأَوَّلَ ابْنُ الْحَاجِبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
وَقَدْ نَقَلْنَا هَذِهِ الْفَائِدَةَ وَالْفَرَضَ الَّذِي جَرَّاهَا هُوَ اتِّبَاعُ أَهْلِ الْفَضْلِ
وَالتَّأْثِيرُ بِهِمْ كَمَا أَنَّ الْجَوَّ الصَّالِحَ لَا شَكَّ فِي تَأْثِيرِهِ وَمَا يَدُلُّنَا عَلَى
صَحَّةِ ذَلِكَ أَنَّ الْأَصْحَابَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَمَّا أُذِنَ لِلَّهِ لَهُمْ فِي الْهَجْرَةِ
إِلَى الْمَدِينَةِ وَجَدُوا جَوًّا صَالِحًا مَلَأَمَا لِلدَّعْوَةِ وَالْإِسْتِعْدَادِ لِلْقِتَالِ
فَدَعَوْا وَيَتَسَلَّحُونَ لِلْمَطْلَبِ الثَّانِي الَّذِي هُوَ إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ بِقُوَّةِ السِّيفِ
وَاتِّقَانِ الْمُسْتَضْمِفِينَ الْمَوْجُودِينَ فِي مَكَّةَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ لِانْقِذَانِ -
أَنْفُسِهِمْ ، وَتَدْرِكِ أَيْضًا مِنْ خِلَالِ هَذَا أَنَّ الْأَنْصَارَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
تَأَثَّرُوا بِهَذِهِ الْبَيْئَةِ الصَّالِحَةِ ، وَالْأَنْفُسَ الزَّكِيَّةَ فَاصْبَحَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ
يُقَاسِمُ الْمُهَاجِرَ مَالَهُ وَأَهْلَهُ وَتَتَنَافَسُونَ فِي ذَلِكَ وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ
فَقَالَ ﴿ يُوَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ قَالَ الْبُخَارِيُّ
حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي . .

(١) إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ أَخْبَى
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ
الرَّيْحِ فَقَالَ : سَعْدُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارَ مَالًا فَاقْسِمْ
مَالِي نِصْفَيْنِ وَلِي أَمْرَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجِبَهُمَا إِلَيْكَ سَمِعَهَا لِي أَطْلَقَهَا
فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجَهَا ، فَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ

أين سوقكم فدلوه على سوق بني قينقاع . .

(١) وهذا النوع من الاندفاع في بذل المال والأهل وإن كان الدافع الحقيقي هو قوة الأيمان وإيثار الدار الآخرة فإن البيئة كذلك لها فيه عامل التأثير حيث يجد اخوانه من حوله يتسابقون لفعل هذا النوع من الخيرات ولهذا اعجب النبي صلى الله عليه وسلم هذا التنافس والتأثر بفعل الخير والتسابق له حتى قال صلى الله عليه وسلم *
لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار* أخرجه البخاري قال في شرح العمين ليس المراد منه الانتقال عن النسب الولادي ، ومعناه لولا أن الهجرة أمر ديني وعبادة مأمور بها لانتسبت إلى داركم والفرض منه التبريز بأنه لافضلية أعلا من النصرة بعد الهجرة وبيان أنهم بلغوا من الكرامة مبلغا لولا أنه من المهاجرين لعد نفسه من الأنصار ، وهذا أيضا وإن كان في فضل الأنصار وما قاموا به من التسابق في فعل الخير فإنه كذلك يدلنا على أن الجو الضالح الديني يؤثر في سكان تلك الأرض كما هو مشاهد معسوف ونظرا لهذا وجهت الهجرة في أول الإسلام وإن كان الفرض الأول تكثير سواد المسلمين فإنه كذلك فيه التأثير إذ كان السواد الأعظم هو أهل الخير فإنه يقل شذوذ الناس عن الجادة والله أعلم ، ولا مانع أيضا من أن يكون التنافس

(٢) **نـ** من التأثير بالبيئة يدلنا على ذلك أن الأوس لما قتلوا عدو الله كعب بن الأشرف اليهودي قالت الخزرج لا بد لنا من قتل

(١) حتى من اليهود كان يسكن المدينة المنورة .

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ١٢ ص ٣٠٧ .

عدو آخر لنبينا صلى الله عليه وسلم فقاموا بقتل أبي رافع اليهودي وهذا تأثير بالبيئة الصالحة . اقول وبالله التوفيق : لا شك ان التنافس في امر الدين والتسابق الى الخيرات يعين عليه محيط الانسان وبيئته ، يدلنا على ذلك حديث البخاري الذي تقدم والمتعلق بالرجل الذي قتل تسعة وتسمين نساء - فان العالم الثاني أرشده الى قرية أهلها صالحون وامره بفراق الأولى لينضم الى جماعة مسلمة يتأثر بها وقد وقع ذلك - وحصلت نتيجته كما ظهر في آخر القصة ، ووجوب الهجرة في أول الإسلام والأمر بها وطلبها من كل من أسلم من هذا الباب وعن جرير بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث سرية الى خثعم فاعتصم ناس بالسجود فاسرع فيهم القتل ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأمر لهم بتصف العقول ، وقال : أنا يرى من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا : يا رسول الله ولم ؟ قال : لا تتراء ناراهما * -

(١) رواه ابو داود والترمذي ، قال الشوكاني في النيل : حديث جرير أخرجه ابن ماجه ورجال اسناده ثقات ، ولكن صحيح البخاري وابو حاتم وابو داود ،

(٢) والترمذي والدارقطني ارساله الى قيس بن ابي حاتم ، ورواه

(١) نيل الأوطار ج ٨ ص ٢٨ .

(٢) قيس بن أبي حازم التجلي أبو عبد الله الكوفي ، ثقة من الثامنة مخضرم ، يقال له رؤية ، وهو الذي يقال انه اجتمع له ان يروى عن العشرة ، مات بعد التسعين أو قبلها وقد جاوز المائة وتغير / ع تقريب ج ٢ ص ١٢٧ .

الطبراني أيضا موصولا ، قال الخطابي وغيره كانت الهجرة فرضا في أول الإسلام على من أسلم لقله المسلمين بالمدينة وحاجتهم الى الاجتماع ، وقوله * لا تتراعى ناراهما *

(١) يعني : لا ينبغي أن يكونا بموضع بحيث تكون نار كل واحد منهما في مقابلة الأخرى على وجه لو كانت متمكنة من الأبصار لأبصرت الأخرى وهذا فيه الحث الشديد على نجانية الكفار والأقرباب من المسلمين وذلك راجع باللازم على التأثير بالبيئة لأن أخلاقهم الحميدة وتسرب عاداتهم السليمة يؤثر في الإنسان على أية حال بخلاف مقارنته المشركين فانها عادية وضارة بالسوء كما يعدى الأجرب الصحيح والأحاديث كثيرة جدا والآيات في التخويف من أهل سوء والخوف من التأثير بأفعالهم - والترغيب في أهل الفضل وفي مجالستهم وفي باب الهجرة نصيب من ذلك كثير ، وقد جاء في مسند أبي داود من حديث سمرة ابن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
* من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله * رواه أبو داود قال الذهبي : اسناده مظلم لا تقوم بمثله حجة - اقول والله التوفيق هذا الموضوع فيه تفصيل لا ينبغي اقفاله ، لأن الهجرة أول الاسلام واجبة ومعنى الحديث منصب على هذا الوجوب كقوله تعالى

(٢) * والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولا يثنتهم من شيء حتى يهاجروا * وذلك مقصد الشرع فيه تكثير سواد المسلمين وتقوية شوكتهم

(١) نيل الأوطار ج ٨ ص ٢٨ .

(٢) سورة الانفال الآية : ٧٢ .

ل = عود (المحجور شرع سمع ان) (ورد ج ٧٧)

وهذا امر لزاما على كل مسلم آن ذاك القيام به ، أما بعد الفتح وانتشار الاسلام فلا هجرة ولكن جهاد ووعية ، ولا يفوت على هذا ان ننبه زملائي واخواني ان مقام المسلم بديار الكفر وبين الكفرة الفجرة امر مفصول وخلاف الأولى وفيه اهانة لا تخفي على من نور الله بصيرته لما يجر له ذلك المقام من التأثير بأطباعهم الخبيثة ، وقد روت ان الطبع يسرق من الطبع كما يسرق أحدكم من صاحبه ، هذا بالإضافة الى ان المأكل والمشرب وجميع ضروريات الحياة كل هذا يصعب على الانسان التأكد بصفة صحيحة من طهارته ، والمسلم مسؤول عن طيب هذا كله وأمين وكيف يطيب ببلد أهله شربهم الخمر وأكلهم الفخيز . ولا يعرفون الطهارة ولا يقيمون لها وزنا فاعتبروا يا أبناء المسلمين ، وحافظوا على دينكم واخلاكم غشوا في مطالبكم الدنيوية والأخروية وقال الشوكاني في النيل : وقد أطلق ابن التين ان الهجرة من مكة الى المدينة كانت واجبة وان من قام بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بغير عذر كان كافرا . قال الحافظ وهو اطلاق مردود ، والاية التي ذكرنا أنها قطعت الموالاة بين من هاجرو من لم يهاجر حتى يهاجر وذلك وان كان السبب الأول تكثير سواد المسلمين والقتال معهم والخوف من

(١) أن يفتن عن دينه ، فذلك التأثير بالبيئة الصالحة داخل في هذا الباب دخولا أوليا ولهذا نجد المرأة اذا زنت تجلد ولا تنفى خوفا عليها

من الضياع وفي مقدمة الضياع البيئة الفاسدة فلا تحصل الغاية المطلوبة بهذا النقي بل تحصل المضرة ، وان كان عدم التفريب غير متفق عليه ، فظاهر احاديث التفريب انه ثابت في الذكر والانثى واليه ذهب الشافعي وقال مالك لا تفريب على المرأة لأنها عورة وهو قول الأوزاعي ومروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وليس غرضي هنا بسط الخلافات الفقهية وانما الغرض بيان البيئة لأنه من أهم العوامل المانعة من تفريب المرأة الخوف عليها من الضياع وفي مقدمة ذلك الضياع تأثرها ببيئته فاسدة فتفسد هضم الغرض المطلوب بالتفريب ، وعلى أية حال نعود قليلا الى التفريب حيث هو ثابت في الأحاديث ومن تلك الأحاديث حديث العسيف الذي روى قال فيه واني سألت اهل العلم فاخبروني أن علي ابني جلد مائة (وتفريب عام) رواه الجماعة - وحديث عباد بن الصاحب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتفريب سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم * رواه الجماعة * الا البخاري والنسائي .

(١) قال الشوكاني ان التفريب المذكور في الأحاديث شرعا هو اخراج الزاني عن موضع اقامته بحيث يمد غربيا والمحسوس في وطنه لا يصدق عليه ذلك الأسم وهذا المعنى هو المعروف عند الصحابة الذين هم أعرف بمقاصد الشرع ، فقد غرب عمر من المدينة الى الشام وغرب عثمان الى مصر ، وغرب ابن عمر امته الى فدرك . اقول والله التوفيق : التفريب

(١) نيل الأوطار للشوكاني ج ٧ ص ٩٣ .

١٩١ / ٢ / ١١٢٠ / ١٩١
١٢١٦ / ٢ / ١٩١

- لا بد ان يكون في بلد لا يعرف المغرب أهله ولا عاداتهم ولا أخلاقهم لأن هذه الأوصاف هي التي تتمثل فيها الغربة وعدم الانسجام لأن معرفة عادة البلد وأهله وأخلاقهم يؤدي ذلك للانسجام معهم وهذا يفوت المطلوب من التغريب وربما أدى الى العكس والله أعلم
- والإنسان من الصعب عليه ترك العادة التي ورثها من بيئته وتأثر بها واعتادها لذلك لا يحسن التغريب الا في مكان يجهل الانسان ما فيه من عادة ولا فرصة له توءله للاندماج مع ذلك المجتمع (١)
- الا بعد وقت طويل قال القرطبي في قوله * مالك من ولا يتهم من شيء حتى يهاجروا * ختم السورة بذكر الموالاة ليعلم كل فريق وليه الذي يستعين به قال ابن عباس * اولياء بعض * في الحيراث فكانوا يتوارثون بالهجرة وكان لا يرث من آمن ولم يهاجر من هاجر فنسخ ذلك بقوله * واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وقيل ليس هنا نسخ وانما معناه في النصرة والمعونة والمراد عندي من ايراد هذه النصوص هو : بيان قوة وتأثير اللبف المسلم بعضه ببعض حتى وصل الى هذه الدرجة التي من اختصاص ذوي الأرحام بفضل الله ثم بتأثير البيئة الصالحة هذا واذا كنت بينت ان للبيئة أثرها في الأشخاص والاتجاه والدين والتأسي .

(١) تفسير القرطبي ج ٨ ص ٥٦ .

(٢) سورة الانفال الآية : ٧٢ .

(٣) علم الاجتماع ومدارسه الدكتور مصطفى الخشاب - دار القومية

للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨ .

بكل أنواعه وأوردت على ذلك ما يشهد له من نصوص الكتاب والسنة فيجدر بي أيضا بيان أهمية البيئة ، فهنا يتعلق بحياة الإنسان نفعا وضرا وموثرات البيئة الطبيعية وتقصده بالطبيعية كل ما يتعلق بالمنطقة التي يعيش فيها الإنسان من حيث التكوين والموقع الجغرافي وما يحيط به من ظروف طبيعية ومناخية وما يشتمل عليه باطن أرضها من مواد أولية فقد لعبت هذه العوامل دورا هاما وأساسيا في الحياة الاجتماعية وقيامها وشكلها إلى حد ما وفقا لمقتضاياتها لاسيما في حالة الفطرة حيث هي : جزء لا يتجزأ من البيئة . التي يعيش فيها ولا يجد بدامن الخضوع لأحكامها ولكنه استطاع ان ينفصل عنها نسبيا كلما تطور وارتقى ولهذا الموضوع أمثلة كثيرة نقتصر منها على البعض ، أولا : كانت الناحية الاقتصادية أكثر نواحي الاجتماع الإنساني خضوعا لمقتضيات البيئة لأن طبيعة الأرض هي التي تحد نوع الإنتاج للفرد وذلك له سبيله فحيث المناجم يزاول الناس الصناعة وحيث أودية الأنهار يتجهون إلى الزراعة وحيث المروج يوثرون رعي الأنعام ولل مناخ تأثير مباشر على الشؤون الاقتصادية المتعلقة بالإنتاج ،

فالانتاج الزراعي يتوقف على حالة الجو

(١) لأن كل نوع من النبات يتطلب مناخا خاصا ، ويتوقف الانتاج الصناعي كذلك على حالة الجو لأن لكل صناعة جوا يلائمها ، ولل مناخ تأثير مباشر على حركة نقل البضائع ولا يمكننا ان نقلل من شأن الموقع الجغرافي للبيئة ومبلغ اثره في الناحية الاقتصادية فالبلاد الساحلية

(١) علم الاجتماع ومدارسه الدكتور مصطفى الخشاب ١٣٨ .

يتجه سكانها الى التجارة والصناعة وزيادة حركة النقل ، ويحفزهم موقع بلادهم على النشاط والأقدام ، بينما البلاد الأخرى ليست كذلك ، وكانت الناحية السياسية كذلك من أهم نواحي الاجتماع الأنساني خصوصا الأحكام البيئية لأنها هي التي تحدد حجم الدولة فالجبال والبحار والصحارى ..

(١) تمنع من التوسع في التقدم ، اما السهول والأودية فتتيح الفسرس للفزرو والتوسع الداخلى ولذلك كانت هذه السهول ميدان الصراع بين الأجناس منذ القدم ، وللجو تأثير كبير على الوضع السياسي فالبلاد الحارة مصابة بالكسل والخمول ورغم وفرة الخيرات فـ لا تقل الناحية الأخلاقية عن الناحية الاقتصادية والسياسية فيها بلغ تأثيرها بظروف البيئة للمناخ تأثير كبير على الحياة الوجدانية وعواطفها وغرائزها .. واثرت البيئة كذلك في مختلف شئون العمران وأهمها التوزيع السكاني فنلاحظ ان الأودية والسهول استهوت الأجناس القديمة ولذلك تمتاز بكثافتها السكانية ، وخضع نظام الاسرة كذلك لمؤثرات البيئة ان نلاحظ - في البلاد الحارة التبكير بالزواج بينما سكان المناطق الباردة والمعتدلة لا يلجؤون اليه الا في سن متأخر نسبيا . وتأثرت مستويات الصحة العامة بظروف البيئة فالبلاد الحارة مصابة بانتشار الأمراض والأوبئة ، وكذلك أثرت البيئة في القدرة على التفكير والأبداع الفني وأثرت في الوان التسليه والهوايه ويبدو ان المؤثرات البيئية التي أشورتا اليها أستهوت طائفة من المفكرين

(١) علم الاجتماع ومدارسه ج ١ عرض ١٥٥ ، ١٥٦ .

الاجتماعيين فبالنظر في تقديرها وذهبوا الى ان البيئة الطبيعية هي التي تكسب الجماعات خصائصها ومقوماتها الذاتية وهي التي تقرر ما تكون عليه حالة الجماعة سياسيا واقتصاديا واخلاقيا واسرياسيا ولا تستطيع الجماعة الا فلات من مقتضياتها ولا ترى منسندوحة من الخضوع أسيرة لأحكامها ويذهب الى هذا الرأي العلامة ابن خلدون فيقرر ان البيئة الجغرافية هي : السبب المباشر في اختلاف البشر جسميا وعقليا ونفسيا وخلقا وهيوه - واثراكا وهي التي تميز المجتمعات في تقاليدها وعاداتها وشؤونها السياسية

(١) والدينية والاقتصادية والعائليه وعلى كل حال لا بد من

(٢) تقدير البيئة وأن لها ما تفرضه من جبريه على نظم المجتمع وخاصة شؤون التشريع والعادات والتقاليد ونظم الاقتصاد والمستوى الحضارى والنزوع الى الحرب أو السلم - ونسب الى البيئة الجغرافية

(٣) الفضل في تثبيت دعائم الحكم الديمقراطي في المدن القديمة هذا وقد احتل موضوع البيئة مكان الصدارة في المناقشات التي اشيرت حول العوامل المؤثرة في حياة المجتمعات ولا سيما بعد ظهور " دارون " لأنه قرر ان البيئة عامل هام جدا مسن العوامل المؤثرة في بقى النوع وتطور وتحمس الكيرون من اتباعه وذهب الى ان تبين أمة وأخرى

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨ ، ١٠٢ المطبعة الشرقية ١٣٢٧هـ.

(٢) نفس المصدر السابق ص ٤٨ ، ١٠٢ .

(٣) علم الاجتماع ومدارسه ص ١٥٧ .

سواء في التفكير أم في شئون الاجتماع يرجع الى ما خضعت له كل أمة من موهنات البيئة كانت البيئة هي المعلم الأول للإنسان القديم هدته وأرشدته الى ما ينبغي عمله حين كان الإنسان قطعة من الأرض التي يعيش عليها ، ولكن تطور الفرد ثقافيا واجتماعيا جعله ينفصل شيئا فشيئا من اسره البيئة ، والدراسات الانسانية في جعلتها تؤيد تناقض أثرها في حياة الإنسان الحديث وأصبح هذا الأثر يتناسب تناسبا عكسيا مع درجة ثقافته وبلغ نصيبه من الحضارة ، اقول وبالله التوفيق : هذه النظرة اهتمت جهد الفرد وما أعطاه الله من المواهب والعقل الذي يميز به بين النافع والضار وهذه النظرة جعلته قطعة من الأرض التي يعيش عليها كأن البيئة هي التي ترشده وتهديه الى سواء السبيل وليس كذلك فان الإنسان بعقله وإدراكه ذلل الله له كل شيء وأنه سبحانه وخلق لا يعرف شيئا كما قال :

(١) * والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا *
وعلمه الله كل شيء ما يحتاجه فالإنسان اذن يؤثر بدوره في البيئة كما يتأثر بها وقد استطاعت المجتمعات بفضل الله ثم بفضل ما توصلت اليه من وسائل الاختراع والكشف أن تغير بعض ظروف البيئة وتقهر سلطانها وتذل صغواتها وتشكلها حسب رغبتها ، فشقت الاتفاق

(٢) وجففت الأنهار والبحيرات وعمرت الصحارى واستحدثت وسائل المطر الصناعي وغيرت مجاري الأنهار ومضايها وما الى ذلك من الأمور التي تدل على تدخل اجابي من داخل المجتمعات لتكيف البيئات التي

(١) سورة : النحل الآية : ٧٨ .

(٢) نفس المصدر السابق ج ١ ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ .

يعيش فيها ومع التسليم بأن البيئة من العناصر الفعالة في قيام الحياة الاجتماعية وفي تعجيل أو تأخير تطورها غير أنها لا تعتبر عاملا حاسما . لأن تطور الحياة الاجتماعية يسير بخطى سريعة جدا بينما تطور الوسط الجغرافي لا يكاد يتزحزح عن أوضاعه منذ آلاف السنين .

.....

البيئة الاجتماعية

يرجع الفضل الى البيئة الاجتماعية في تنشئة الفرد وتوجيهه
والأشراف على سلوكه وتلقينه ما وصلت اليه من ثقافة أى : انها
لا تقتصر على ان توفر له حاجياته الضرورية ولكنها تؤدى له أخطر
وأهم وظيفة وهي : نقل التراث الاجتماعي والثقافي ويدون ذلك واضحا
في حالات الطفولة لأن الطفل يولد وهو عبارة عن كتلة من الغرائز
والاستعدادات ووظيفة البيئة الاجتماعية * مثله في الأسرة * ان
تعلم لغاتها وتاريخها وعاداتها وعرفها وتقاليدها ومعاييرها ففى
الأخلاق والأذواق والآداب العامة ومظاهر السلوك الخاص والعام
وما الى ذلك من الأمور حتى تخلق منه كائنا اجتماعيا يستجيب لمؤثرات
البيئة ويخضع لأحكامها ونظمها فالأسرة في ضوء هذا الاعتبار هي
الوسيط الأول بين الفرد والمجتمع الذى يعيش فيه ، وهي نقطة
تحول في تاريخ الحضارة ونمى عن البيان ان الفرد في مراحل
نشأته الأولى يكون مرتبطا بقيود البيئة الاجتماعية وحائقا على بعض
أوضاعها وضيق ذرعا بما تفرضه عليه

(١) عليه وذلك كله لأنه لم يالفها بعد ، ومن تأثير البيئة على العقل

(٢) ما كان سائدا في العرب من أكل الربا يقول تعالى * يا أيها الذين

آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون *

(١) سيرة الرسول ص ٢٠٧ ، القرآن ح ٢ = ٢٧١ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٣٠ ، ١٣٢ .

والآية صريحة الدلالة على ان بعض المسلمين كانوا يتعاطون الربا
يأكلونه اضعافا مضاعفة وانه كان عند العرب عملا تجاريا حلالا كالبيع

(١) فظل هذا المفهوم مستقرا بعد الاسلام في أذهان المسلمين الذين
تعودوه وهذا مع ان النفس تشمئز منه الا أن البيئة اثرت على العقل
هنا حتى هان على الانسان عمل هذه الأشياء وارتكابها فحصلت
السيطرة على العمليات التجارية ، حتى لا يوجد احد يأنف عن هذا
وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم :

(٢) * انما البيع مثل الربا * وهنا نجد ان المرابين كانوا
يستغلون اعسار المدينين فيضاعفون رباهم وانه كان لذلك عواقب
شديدة الضرر في هوء لا * وقد نزلت الآية لمعالجة الموقف بـ
الاسلوب القوي المناسب مع شدة ضروره ولتكون في الوقت نفسه
تشريعا قويا مستمر المدى في المجتمع الاسلامي ليحول دون ذلك
الضرر وتلك العقواقب والمؤثرات البيئية التي اثرت فيها البيئة على
العقل حتى منعه من حسن التصرف والتسامح نظرا للمؤثرات التي
حواله قال تعالى * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من
الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله *

(٣) وان تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون * اقول وبالله
التوضيح ..

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٧١ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٧٥ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٧٨ - ٢٨٠ .

هذا الصنف من الناس كان يضيف الى هذه الأعمال الشنيعة عملاً آخر هو اشد منها بشاعة ومرارة علماً بأنه سائد في البيئة الشيعية الذى هون على النفس ارتكابه الا وهو : وآذ البنات : قتلهم من احياء - فان الكثير منهم كان تأثير البيئة حافزاً له على دفن ابنته حية لأن الضغط الجماعي من الصعب الذى لا يمكن لأى أحد الخروج عليه الا بتوفيق الله وان كانت هناك حوافز اخرى كخوف الغاقبه والعار - والسببي وما الى ذلك ولكن هذا كله راجع باللازم الى تأثير البيئة على عقلية الأشخاص ..

(١) والله اعلم - وعلى ايه حال قد بينت الآية السبب الرئيسى للقتل في قوله * ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيراً *
وهنا ننهي هذا البحث وتبدأ " بالارهاب الفكرى " .

.....

(١) سورة الاسراء الآية : ٣١ المصحف المفهرس ص ٢٣٤ .

(١)

ان مجال الدراسة الذى يعرف باسم التاريخ الفكرى ليس امرا هينا محدود الجوانب فقد يندرج تحت هذا العنوان مدى فسيح من الموضوعات الفعلية من آثار الفلاسفة المعنيين في التجديد الى التعبير عن الخرافات الشائعة مثل التشاؤم الشديد من العدد (١٣) وقد تعرض مؤرخوا الفكر لأفكار الفلاسفة كما تعرضوا للآراء التى يعتنقها رجل الشارع ومهتهم الأساسية هي : محاولة تعرف العلاقات بين آراء الفلاسفة والمثقفين ، والمفكرين وطريقة المعيش الواقعية للملايين الذين يحملون على عواتقهم واجبات المدينة * وهي : مهمة تفسيق اساسا بين تاريخ الفكر وبين تلك النظم القديمة الثابتة مثل تاريخ الفلسفة او تاريخ العلم أو تاريخ الأدب ، ومؤرخو الفكر تهمة الأفكار ان وجدها سواء كانت أفكار همجية أم معقولة تأملا رقيقا أم تحيزا عاما ولكنه يهتم بهذه الثمار من نشاط الانسان العقلى من حيث تأثيرها في وجود الانسان كله أو تأثرها بهذا الوجود ، ومن ثم فهو لا يتعرض فقط للأفكار الموجودة التى تولد غيرها من الآراء المجردة فهو لا يتعرض مثلا لتلك النظرة السياسية المجردة التى تعرف بالعقد الاجتماعى كأنها ناحية من نواحي التفكير المشروع فحسب انما هو يعالج حتى أشد الأفكار تجريدا عندما تتسرب هذه الأفكار الى رؤس الأفراد العاديين وقلوبهم فهو يفسر ما كان يعني : العقد الاجتماعى لا وللك الشوار فى القرن

الثامن عشر الذين قر في نفوسهم أن حكاهم قد خرقوه ولعمري انها لمهمة شاقة ان مؤرخ الفكر يحاول ان يستنبط مجموعه مركبة من العلاقات بين ما كتبه قلبه من الأفراد وما يقوم به فعلا كثير من الأفراد ومن اليسير عليه على الأقل في الخمسة والعشرين قرنا الماضية من تاريخ المجتمع الغربي ان يكتشف وان يحلل ما كتبه

(١) الألفية وما قالته وقد لا يبلغ هذا السجل حد الكمال ولكنه يصل

الى درجة نادرة من الأجادة حتى فيما يتعلق باليونان والرومان وذلك بفضل الجهد الذي بذلته أجيال متعاقبة من الباحثين

غير ان مهمة مؤرخوا الفكر ظلت شاقة حتى امدة الطبع

والتعليم العام بالصحف والمجلات والرسائل وما اليها بسجل

لما فكر فيه وأحسن به عامة الناس فقد يستطيع المؤرخ أن يصف

في وضوح رأى الناس على اختلاف طوائفهم غير ان مؤرخ الفكر

لا بد أن يبذل جهدا في رسم صورة متكاملة يجمعها من تشتت

المصادر للطريقة التي كانت تسرى بها الافكار في صفوف الجماهير

ان كان يتحتم عليه ان لا يحصر نفسه في تحليل الافكار في صورة

(٢) أفكار أخرى ونستطيع ان نقول ان من المعقول ان نحصر تاريخ

الفكر فيما يقوم به المثقفون من افعال وأقوال وكتابات واتجاه

الفكر الاسلامي منذ نهاية القرن التاسع عشر

(١) افكار ورجال قصة الفكر الغربي ص ١٥ ترجمه محمود محمود .

(٢) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص :

بعد وفاة جمال الدين الافغاني وبعد ان توفر الشيخ محمد عبده على ما سماه الإصلاح الديني وبعد ان ظهر مصطفى كامل (كزعيم لحركة المقاومة السياسية اتجه الفكر الاسلامي المقام وللإستعمار الغربي هنا في رقعة الشرق الأدنى الى تعبئة الروح والإصلاح الديني عن طريق عرض الإسلام عرضا واضحا والعمل على جعله أساسا في التربية الوطنية وسبيل ذلك اصلاح الأزهر واهيائه الكتب القديمة وقد مثلت المدرسة السلفية التي قادتها مجلس

- (١) المنار هذه التعبئة بعد وفاة الشيخ محمد عبده وفي هذه الاثناء قام ما يعرف بـ (التجديد والمجددين او ما يصح ان يطلق عليه اسم الفكر الاسلامي وحسبنا^١ تشير الى شيء من الارهاب الفكرى
- (٢) كما سجله القرآن عن قصة فرعون المتناثرة في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى ﴿ ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين ﴾ فانظر اليها القارىء الى مدى طغيانه وتفريقة الناس ولا شك أن ذلك يؤثر على الفكر فلا يسمح مع هذا الاستبداد لمفكر ان يعلن رأيه والجدال بين العقلاء يبعث على التفكير فينتهي الى الحق وقد قال تعالى حاكيا عن عمل فرعون الشنيع وطشه الشديد وارهابه المتواصل ﴿ سنقتل أبناءهم وتستحي نساءهم

(١) منطق ابن خلدون د - على الورد ص ١٩٧ .

(٢) سورة الاحزاب الآية : ١٣٠ سورة العنكبوت الآية ٢٤

وانا فوقهم قاهرون *

(١)

فلما ان نفهم أن وصية موسى لقومه كانت تشجيعا لهم على استقبال ما ينتظرهم من تنكيل أو ان نفهم انها كانت تصبيرا لهم على مسا حل بهم منه بالفعل وهي الوصية اللائقة بنهي كل اعتماده على الله وكل عون له من الله الاستعانة بالله والصبر على البلاء ثم التثبيت والتشريع بالخلاص فهذه الأرض لله وما فرعون وقومه الا نزلاء والله يورثها من عباده من يشاء ثم ان العاقبة مضمونه ومكفولة لمن يتقي الله ويخشاه ولا يخشى احدا سواه * والعاقبة للمتقين * ولن يكون من المتقين من يطوى جوانحه على خالجه من خشية لغير الله كائنا ما كان وكائنة قوته ما كانت ان القلب الذي تساوره مثل هذه الخالجة قلب لا يخلو من شرك بالله ولن تجتمع التقوى مع الشرك في قلب بشر ... وعضي موسى عليه السلام نهجه يذكرهم بالله ويعلق رجاءهم به ويلوح لهم بالأمل في هلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض مع التحذير من الفتنة بالاستخلاف * عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون * فليس هو استخلاف محاباه وليس هو جزافا بلا غاية وليس هو خلودا بلا موت ولا توقيت انه استخلاف للأختبار * فينظر كيف تعملون * والفريرى يعلم ما سيكون ولكنها سنة الله وعدله الا يحاسب البشر حتى يقع منهم في العيان ما هو مكشوف من الغيب لعلم الله ..

(٢)

لقد مضى فرعون وملوه اذن في جبروتهم ونفذ فرعون وعيده وتهديده

(١) سورة الأعراف الآية : ١٣٧ .

(٢) في ظلال القرآن ج ٩ - ٣٩ - ٣٠ .

بقتل الرجال واستحياء النساء ولقد مضى موسى وقومه يحتملون

العذاب هرجون الفرج يصبرون على البلاء وعندئذ أخذت القوى

الكبرى تتدخل بين المتجبرين والصابرين * ولقد اخذنا آل فرعون (١)

بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون * فهي اشارة التحذير (٢)

الأول الجذب والقحط ، الثمرات والسنين تطلق على سنى الجذب

والقحط وهي في أرض كأرض مصر المخصبة المثمرة تبدو ظاهرة تلفت

النظر وتهز القلب وتثير القلق وتدعو الى اليقظة والتفكير ومحاسبة

النفس على الخطايا اتقاء للبلايا وهكذا اخذ الله آل فرعون

بالسنين لعلهم يذكرون - انها اللصة الموقظة لو أن في القلب

حياة وحساسية ولكن آل فرعون لم يتدبروا ولم يتذكروا وكانت الوثنية

وخرافتها قد أقسدت فطرتهم وقطعت صلتهم بنواميس الحياة الصحيحة

فكانوا اذا اصابتهم الحسنة نسيوها الى حسن حكمهم واذا اصابتهم

السيئة نسيوها الى نحس موسى * فاذا جائتهم الحسنة قالوا

لنا هذه وان تصبهم السيئة يطيروا بموسى ومن معه * ومضى

آل فرعون في عتوهم تأخذهم العزة بالاثم ويزيدهم الابتلاء شعاسا (٣)

وعنادا * وقالوا مهما تأتينا به من أية لتسحرنا بها فسا نحن

لك بمؤمنين *

(١) في ظلال القرآن ج ٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ط (١) سيد قطب .

(٢) واحيانا يراد بالسنين الحول والعام والسنين جمع سنة ومنه

قوله * اللهم اجعلهم سنين كسنى يوسف *

(٣) الفخر الرازى ج ٢ = ١٤ - ١١٤ .

فهو الجموح الذى لا ترضية بينة ولا يلينه اقتناع ولا يبريد أن ينظر
ولا أن يتدبر لأنه يعلن الأصرار على التكذيب قبل أن يعرض عليه
الدليل قطعاً للطريق على الدليل وهى حالة نفسه تصيب الجبارين
حين يدمغهم الحق ، وحينئذ تتدخل القوة الكبرى بوسائلها
الجبارة * فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد .. الى آخر الآية *
للأنذار والانهلاك ولقد جمع السياق هنا تلك الآيات المفصلة والمعجزات
الفاصلة التى جاءتهم واحدة وهم فى كل مرة يطلبون موسى وهى
تحت ضغط البلية ان يدعو ربه لينقذهم منها ويوعده ان يرسلوا
معه بني اسرائيل اذا نجاهم منها * ولما وقع عليهم الرجز قالوا :
يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنوءمنن
لك ولنرسلن معك بني اسرائيل * وفى كل مرة ينقضون عهدهم
فيودون الى ما كانوا فيه * فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم
بالنوء اذا هم ينتكئون * جمع سياق الآيات كأنما جاءت مرة واحدة
وكانت نهايتها كذلك واحدة * فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين * وهى
طريقة من طرق العرض الفني للقصة القرآنية يجمع فيها البدايات
(١) لتمامها والنهايات لتمامها ذلك ان القلب المقلق المطموس يتلقى
التجاريب المنوعة وكأنها واحدة لأنه لم يستشعرها ولم يميزها ولم
يتبينها فأما كيف وقعت هذه الآيات فليس لنا وراء هذه النصوص
شيء ونقف عند حدود النص الا اذا جاء عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم نص بين تفاصيل هذه الآيات والحوادث فتذكرة لزيادة الفائدة

(١) فى ظلال القرآن ج ٩ ص ٣٧ ، ط (١) .

وايضاح المعنى وعند كل آية كان آل فرعون يؤخذون ويفزعون
فيذلون الوعد ويقطعون العهد ثم يبتغون وكان العذاب يرفع عنهم
* الى اجل هم بالغوه * اجل موقت يتحقق معه عدل الله الذي
لا يقع معه الهلاك الا بعد الانذار فلما ان جاء الاجل وانتهت العدة
تحقق النذير وتم التدبير * فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم
كذبوا بأياتنا وكانوا عنها غافلين * والسياق هنا يقتصر في حادث

(١) الاغراق ولا يفصل خطواته كما يفصلها في مواضع اخرى من السور ذلك

ان الجو هنا هو جو الأخذ الحاسم بعد الامهال الطويل فلا داعي
اذن الى طول العرض والتفصيل ان الحسم السريع هنا اوقع في النفس
وارهب للحس * فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم * ضربة واحدة
فاذا هم هالكون ومن التعالى والتطاول والاستكبار الى الهوى في
الاعماق والأغوار * جزاء وفاقا * وهكذا نجد نتيجة الأرباب هي :
الدمار واذا فرعون الطاغية وقومه مغرقون واذا كل ما كانوا يصنعون

(٢) للحياة وما كانوا يقيمون من ابنية فخمة قائمة على عمد واركان اذا

هذا كله مدمر محطم في ومضة عين أو في بضعة كلمات هذه هي
عاقبة المكذبين والمنكرين والمستكبرين في الأرض بغير الحق وانظر
الى موقف فرعون من السحرة وهو يمثل الأرباب الفكري في شدة
وخطرة واستكبار في الأرض بغير الحق واذا نظرنا الى قوله تعالى
* قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليهم يرمد
أن يخرجكم من ارضكم بسحرة فماذا تأمرون *

(١) الفخر الرازي ج ١٤ ص ٢١٤ .

(٢) في ظلال القرآن ج ٩ ص ٢١ .

علمنا أن هذه القصة تنحج بالحركة والحوار وتزخر بالأنفعالات والسمات
وتتخللها التوجيهات إلى مكان المبر في السياق ويقف عرضها عند
مشهد الميثاق في ظل الجبل ذلك المشهد المرهوب الذي ترجف
له القلوب وفي هذا الموقف يهتف للقوم بالتقوى والخوف والحذر من
وقوع الهوى وتحقق النذر * خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلمكم
تتقون * انه مشهد اللقاء الأول بين الحق والباطل وبين الأيمان
والكفر وبين الاستقامة والانحراف (يافرعون) لم يقل له يا موسى
ولكن ناداه بلقبه في أدب واعتزاز ناداه ليقرره حقيقة امره * انى رسول
من رب المالعين * رب الجميع الذى يهيم على الجميع * حقيقة
على الا أقول على الله الا الحق * فانا ملزم ومأخوذ بقول الحق وحده
لا أقول على الله سواه ويحدد النص هنا غاية رساله موسى عليه السلام
انها اطلاق بني اسرائيل من رق فرعون وملائه اطلاقهم مع موسى
ليأخذهم بالرسالة التى ارسله الله اليهم بها وليست رساله الى غير
بني اسرائيل من البشر انما هي لهم خاصة كما يدل عليه النص هنا
والى هنا يبدو موقف فرعون طبيعيا ومعقولا رجل يأتي اليه فيناديه
بلقبه مجردا يخبره انه رسول من رب المالعين صادق وانه يحمل بينة
تدل على صدقه وانه يطالب اطلاق بني اسرائيل له فيطلب فرعون هذه
البينة التى أشار الرجل اليها قال * ان كنت جئت بايه فأت بها ان
كنت من الصادقين * ويفاجئنا السياق بما فوجئ به فرعون فكأننا
نشهد الواقعة للمرة الأولى .. * فألقى عصاه فاذا هي ثعبان ميسر
ونزع ييده فاذا هي بيضاء للناظرين * تلك اذن هي البينة وهي
المعجزة وهي مصداق الدعوى التى جاء بها موسى - وهنا تتدخل
حاشية السوء واصحاب النفوذ الذين يشهرون نفوذهم بتزيين الضلال

٢١ سورة البقرة الآية ٦٣

٢٤ سورة الاعراف ١٠٥ - ١١٧ - ١١٨

والمصد عن سبيل الله وعن الهدى .

(١)

* قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم * فماذا تفعلون لا تقا* هذا الخطر العظيم وهكذا يبلغون من نفوس القوم بهذا التبهل فيشير فريق منهم على فريق * قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم * ليقف السحر في وجهه السحر ويتقي القوم هذا الشر ويقف السياق عند هذا المشهد ويسدل الستار على القوم يتآمرون وقد أرجاوا موسى وأخاه الى أجل حتى يجمعوا له السحرة من المدائن كما أشار المفسدون المضللون ولا يذكر السياق أنهم ارسلوا الى السحرة ولا أنهم جمعهم انما يرفع الستار مرة اخرى على مشهد السحرة مجموعين يحاورون فرعون يحاورهم فيما سيكون * وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين؟ قال : نعم وانكم لمن المقربين * انهم محترفون والأجر هو هدف الاحتراف وهذا فرعون يجمعهم من المدائن ليواجه بهم موسى ونفهم من السياق انهم كانوا عالمين بالعمل الذي جمعوا له فهم يستوثقون من أجورهم عليه وها هو ذا فرعون يعدهم الأجر ويعدهم الى جواره قريبا ومنزلة زيادة في الأغراء وتشجيعا على الأجادة وهو وهم لا يعلمون ان الموقف ليس موقف الاحتراف والمهارة والتضليل انما هو موقف المعجزة والرسالة والاتصال بالقوة الغالية التي لا يقف لها السحرة ولا المتجبرون ولقد اطمأن السحرة على الأجر واشترأبت اعتاقهم الى القربى من فرعون واستمدت نفوسهم للحيلة فها هم اولا يتوجهون الى موسى بالتحدي

✳ قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقيين قال :
القوا ✳ ويبدو التحدى واضحا في تجبرهم لموسى وتبدو كذلك
ثقتهم في سحرهم وقدرتهم على الغلبة وفي الجانب الآخر تتجلى
ثقة موسى بالنهاية واستهانته بالتحدي ✳ قال : القوا ✳ فهذه الكلمة
الواحدة تبدو فيها قلة المبالاة وتلقي الظل النفسى الكامن وراءها
ولكن السياق يفاجئنا بما فوجئ به موسى هذه المفاجأة لم ينص عليها
هنا وانما جاءت في سورة " طه " فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا
لا تخف أنك انت الأعلى (وبينما نحن في ظلال الاستهانة وعدم
العناية ان بنا أمام مظهر السحر البارع الذى يرهب وخيف واذا هي
المفاجأة التى يخبئها السياق ليكشف عنها بكل قوتها ✳ فلما القوا
سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ✳ وحسبنا أن يشهد
القرآن لذلك السحر بأنه عظيم لندرك أى سحر كان وحسبنا ان نعلم
انه سحر (اعين الناس) وأثار الرهبة في القلوب " واسترهبوهم "
لنصور أى سحر كان . ولفظه " استرهب " ذاتها لفظه مصورة
فهم لم يرهبوا الناس فحسب انما استجاشوا وجدان الرهبة قسرا
وساقوهم اليه سوفا ، ثم مفاجأة اخرى فكل هذا السحر وكل هذا
الاسترهاب يتضائل في لحظة وينطوى في وضعة ✳ واوحينا الى موسى
ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون فوق الحق وظل ما كانوا
يعملون ✳ انه الباطل يتنفش وسحر العيون ولا شك ان فرعون
كان مجدا في الكيد والأرهاب مجتهدا في اقصى الأساليب يدل على
ذلك قوله تعالى في سورة " طه " فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى
وحمل السياق في هذا التعبير كل ما قاله فرعون وما اشار به الملأ
من قومه وما دار بينه وبين السحرة من تشجيع وتحسيس ووعد بالمكافأة

وما فكر فيه وما دبر هو واستشاروه يحمله في جملة * فتولى فرعون
فجمع كيدته ثم أتى * وتصور تلك الآية الواحدة القصيرة ثلاث
حركات متواليات زهاب فرعون وجمع الكيد والأتیان به ورأى موسى عليه
السلام قبل الدخول في المبراه ان يبذل لهم النصيحة وان يحذرهم
عاقبة الكذب والافتراء على الله لعلمهم يثبون الى الهدى ويدعون
التحدى بالسحر والسحر افتراء فقال لهم موسى * هللكم لا تفخروا .
على الله كذبا فسيحتكم بعذاب وقد خاب من افترى * والكلمة الصادقة
تلس بعض القلوب وتقذف الحق فيها . ويدوان الذي كان فقد تأثير
بعض السحرة بالكلمة المخلصة فتجلجج في الأمر واخذ المصورون على
المباراة يجادلونهم همسا خيفة ان يسمعهم موسى * فتنازعوا امرهم
بينهم واسروا النجوى * وجعل بعضهم يحسن بعضا وراحو يهيجون
في المترددين الخوف من موسى وهارون الذين يريدون الاستيلاء على
مصر وتغير عقائد أهلها مما يوجب مواجهتهما يدا واحدة بلا تردد
ولا نزاع . واليوم هو يوم المعركة الفاصلة والذي يغلب فيها الفالح
الناجح قالوا * ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم
بسحرهما هذها بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدكم ثم أيتوا صفا وقد
أفلح اليوم من أستعلى * وهكذا تنزل الكلمة الصادقة الواحدة الصادرة
من عقيدة كالقذيفة في معسكر المبطلين وصفوقهم فتزعزع أعتقادهم فنى
أنفسهم وفي قدرتهم وفي ما هم عليه من عقيدته وفكره ويحتاج الى مثل
هذا التحمس والتشجيع - وموسى واخوه رجلان اثنتان والسحرة
كثيرون ووراءهم فرعون وملكه وجنوده وجيوشه وماله ولكن موسى وهارون كان
معهما ربهما " يسمع هيرى " ولعل هذا هو الذى يفسر لنا تصرف
فرعون الطاغية المتجبر وموقف السحرة ومن ورائهم فرعون فمن هو موسى

ومن هو هارون من أول الأمر حتى يتحداهما فرعون ويقتل تحديهما
 يجمع كيدهم ثم يأتي وحشر السحرة ويجمع الناس ويجلس هو والملا
 من قومه ليشهدوا العبارة ؟ وكيف قيل فرعون ان يجادله موسى
 ويظاوله ؟ وموسى فرد من بني اسرائيل المستبعدة المستندلين تحت
 قهرة انها الهيبة التي القاها الله على موسى وهارون وهو معهما
 " يسمع ويرى " وهي كذلك التي جعلت جملة واحدة توقع الارتباك
 في صفوف السحرة المدبرين فتحوهم الى التناجي سرا والى تجسيم
 الخطر واستثارة الهم والدعوة الى التجمع والترايط والثبات ثم
 اقدموا وقالوا * يا موسى اما ان تلقي واما ان اكون اول من القى *
 وهي دعوة العيدان الى النزال . يبدو فيها التماسك واطهر
 النصفة والتحدى " قال : بل القوا " فقبل التحدى وترك لهم
 فرصة البدء واستبقى لنفسه الكلمة الأخيرة ولكن ماذا كان ؟ انه
 لسحر عظيم فيما يبدو وحركة مفاجئة ما جت بها السحرة حتى موسى
 * فاذا احبالهم وعصيم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاجس
 في نفسه خيفة موسى * والتعبير يثنى يعظمة ذلك السحر وضخامته
 حتى ليجس في نفسه خيفة موسى ومعه ربه يسمع ويرى " وهو لا
 يوجس في نفسه الخوف الا لامر جليل ينسيه لحظة انه الأقوى
 حتى يذكره ربه بأنه معه القوة الكبرى * قلنا لا تخف انك انت
 الأعلى * فمعك الحق ومعهم الباطل معك العقيدة ومعهم الحرفة
 معك الايمان بصدق ما انت عليه ومعهم الأجر على العبارة ومغانم
 الحياة انت متصل بالقوة الكبرى وهم يخدمون مخلوقا بشريا فانما مهما
 يمكن طاعة جبارا * لا تخف ^{الله} واللق ما في يمينك * بهذا التنكير للتضخيم

١- سورة طه الايات ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩

* تلقف ما صنعوا * فهو سحر من تدبير ساحر وعمله والساحر لا يفلح أنى ذهب وفي أى طريق سار لأنه يتبع تخيلا ويمنع تخيلا ولا يعتمد على حقيقة ثابتة باقية شأنه شأن كل مجتل امام القائم على الحق المعتمد على الصدق وقد يبدو باطله ضخما فخما مخيفا لمن يغفل عن قوة الحق الكامنة الهائلة التي لا تتبخر ولا تتطاوّل ولا تتظاهر ولكنها تدمغ الباطل في النهاية فاذا هو زاهق وتلقفه فتطورة فاذا هو يتواري * والقي موسى عصاه * ووقعت المفاجأة الكبرى والسياق يصور ضخامة المفاجأة بوقعها في نفوس السحرة الذين جاءوا للمباراة فهم أحرص الناس على الفوز فيها والذين كانوا منذ اللحظة الأولى يحس بعضهم بعضا ويدفع بعضهم بعضا والذين بلغت بهم البراعة في فهمهم الى حد ان يوجس في نفسه خيفة موسى ويخيل اليه - وهو الرسول - ان حبالهم وعصيتهم حيات تسمى يصور السياق وقع المفاجأة في نفوسهم في صورة تحول كامل في مشاعرهم ووجدانهم لا يسمعون الكلام للتعبير عنه ولا يكفي النطق للأفشاء به * فالقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب موسى وهارون * انها اللمسة تصادف العصب الحساس فينتفض الجسم كله وينبعث النور ويشرق الظلام انها لمسة الايمان للقلب البشرى تحوله في لحظة من الكفر الى الايمان ولكن انى للطفاة ان يدركوا هذا السحر اللطيف أنى لهم ان يدركوا كيف تتقلب القلوب ؟ وهم قد نسوا لطول ما طفوا وبغوا ورأوا الاتباع ينقادون لاشارة منهم نسوا أن الله هو مقلب القلوب وأنها حين تتصل به وتستمد منه وتشرق بنوره لا يكون لأحد عليها سلطان * قال أمتم له قبل أن أذن لكم * غوله الطاغية الذي لا يدرك انهم هم أنفسهم لا يملكون وقد لمس الايمان أنفسهم أن يدفعوه عنها

والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلب كيف يشاء * أنه لكبيركم
الذى علمكم السحر * فذلك سر الاستسلام في نظرة لا أنه الايمان
الذى دب في قلوبهم من حيث لا يحتسبون ولا أنها يد الرحمن
تكشف عن بصائرهم غشاوة الضلال ثم التهديد والغليظ بالعذاب
الغليظ الذى يعتمد عليه الطغاة وسلطونه على الجسوم والأبـسـدان
حين يمجزون عن قهر القلوب والأرواح * فلا قطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولا صلبنكم في جذوع النخل * ثم الاستعلاء بالقوة الغاشمة
قوة الوحوش في الغلبة القوة التى تمزق الأحشاء والأوصال ولا تفرق
بين انسان يقرع بالحجة وحيوان يقرع بالنبات * ولتعلمن اينما اشد
عذابا وابقى * ولكنه قد كان فات الأوان كانت اللسنة الايمانية
قد وصلت الذرة الصغيرة بصدرها الهائل فاذا هي قوية قهيسة
واذا القوى الأرضية كلها ضئيلة ضئيلة واذا الحياة الأرضية كلها
زهيدة زهيدة وكانت قد تفتحت لهذه القلوب آفاق مشرقة وضيئة
لا تسالي ان تنظر بعدها الى الأرض وما بها من عرض زائل ولا الى
حياة الأرض وما فيها من متاع تافه * قالوا لن توثر على ماجئنا
من البينات والذى فطرنا فاقض ما انت قاض انما تفض هذه الحياة
الدنيا أنا أمننا ليغفر لنا خطايا وما اكرهتنا عليه من السحر
والله خير وابقى * انها لسة من الايمان في القلوب التى كانت منذ
لحظة تعنوا لفرعون وتعد القربى منه مغنما يتسابق اليه المتسابقون
فان هي بعد لحظة تواجهه في قوة وترخص ملكه وزخرفته وجاهه
وسلطانه * قالوا لن توثر على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا *
فهى علينا اعز وأعلى وهو جل شأنه أكبر وأعلى * فأقض ما انت قاض *

ودونك وما تملك لنا في الأرض * انما تقضي هذه الحياة الدنيا * فسلطانك مقيد بها ومالك من سلطان علينا في غيرها وما أقصر الحياة الدنيا وما أهون الحياة الدنيا وما تملك لنا من عذاب أيسر من أن يخشاه قلب يتصل بالله ويأمل في الحياة الخالدة ابدا * انا آمنة بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر * فما كنت تكلفنا به فلا نطك عصيانك بايماننا بربنا يغفر لنا " والله خير وأبقى " خير قسمة وجوار وأبقى مغنما وجزاء ان كنت تهددنا بمن هو أشد وأبقى وألهم السحرة الذين آمنوا بربهم ان يققوا من الطاغية موقف المعلم المستلمي * انه من يأت ربه مجرما فانه له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا * فلا هو ميت يستريح ولا هو حي يتمتع انما هو العذاب الذي لا ينتهي الى موت ولا ينتهي الى حياة وفي الجانب الآخر الدرجات العلى جنات للأقامة نديمة بما يجرى تحت غرفاتها من انها ، وذلك جزاء من تذكى " ونظهر من الآثام وهزات القلوب المؤمنة بتهديد الطغيان الجائر وواجهته بكلمة الايمان القوية وباستعلاء الايمان الواثق وبتحذير الايمان الناصح ورجاء الايمان العميق ومضى هذا المشهد في تاريخ البشرية اعلانا لحرية القلب البشرى باستعلائه على قيود الارض وسلطان الارض وعلى الطمع في المثوبة والخوف من السلطان وما يملك القلب البشرى ان يجهر بهذا الاعلان القوى الا في ظلال الايمان وهنا يسدل الستار ليرفع على مشهد آخر وحلقة أخرى من القصة الجديدة انه مشهد انتصار الحق والايمان في واقع الحياة المشهود بعد انتصارهما في عالم الفكرة والعقيدة فلقد مضى السياق بانتصار آية العصا على السحر وانتصار العقيدة في قلوب السحرة على الاحتراف وانتصار الايمان في قلوبهم على الرعب والرهب والتهديد والوعيد ، فالآن ينتصر الحق على الباطل

والهدى على الضلال والايان على الطغيان في الواقع المشهود
والنصر الأخير مرتبط بالنصر الأول فما يتحقق النصر في عالم الواقع
الا بعد تمامة في عالم الضمير وما يستعلى اصحاب الحق في الظاهر
الا بعد ان يستعملوا بالحق في الباطن ان للحق والايان حقيقة متى
تجست في المشاعر اخذت طريقها فاستعلت ليراها الناس في صورتها
الواقعية فأما اذا ظل الايمان مظهرها لم يتجسم في القلب والحق
شعارا لا ينفع من الضمير فان الطغيان والباطل قد يغلبان لأنهما
يملكان قوة مادية حقيقية لا مقابل لها ولا كفاء في مظهر الحق
والايان ويجب ان تحقق حقيقة الايمان في النفس وحقيقة الحق في
القلب فتصبحان أقوى من حقيقة القوى المادية التي يستعلى بها
الباطل ويوصل بها الطغيان وهذا هو الذي كان في موقف موسى
عليه السلام من السحرة والسحر وفي موقف السحرة من فرعون وملئه
ومن ثم انتصر الحق على الباطل في الأرض كما يعرض هذا المشهد
في سياق السورة * وأوحينا الى موسى ان اسر يعيادى فأضرب
لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون
بجنوده فغشيهم في اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى *

ولا يذكر السياق هنا ما الذي كان بعد مواجهة الايمان للطغيان
في موقف السحرة مع فرعون ولا كيف تصرف معهم بعدما أعتصموا بأيمانهم
مستقبلين التهديد والوعيد بقلب المؤمن المتعلق بربه المستهيمن
بحياة الأرض وما فيها ومن فيها انما يعقب بهذا المشهد مشهد
الانتصار الكامل ليتصل النصر القلبي بالنصر الواقعي وتتجلى رعاية الله
 لعبادة المؤمنين كاملة حاسمة " ولنفس الفرض لا يطيل هنا فسى
مشهد الخروج والوقوف أمام البحر كما يطيل في سور أخرى بل ييسار

بعرض مشهد النصر بلا مقدمات كبيرة لأن مقدماته كانت في الضمائر والقلوب وان هو الا الايحاء لموسى ان يخرج بعباد الله بنى اسرائيل ليلا فيضرب لهم طريقا في البحر يبسا بدون تفصيل ولا تطويل لقد تولت يد القدرة ادارة المعركة بين الايمان والطغيان فلم يتكلف اصحاب الايمان فيها شيئا سوى اتباع الوحي والسرى ليلا ذلك ان القوتين لم تكونا متكافئتين ولا متقاربتين في عالم الواقع موسى وقومه ضماف مجردون من القوة وفرعون وجنده يملكون القوة كلها فلا سبيل الى غوض معركة مادية أصلا هنا تولت يد القدرة ادارة المعركة ولكن بعد ان اكتملت حقيقة الايمان في نفوس الذين لا يملكون قوه سواها بعد ان استعلن الايمان في وجه الطغيان لا يخشاه ولا يرجوه لا يهرب وعنده ولا يرغب في شيء ما في يده " يقول الطغيان " * فلاقطمن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلينكم في جذوع النخل * فيقول الايمان * فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا * عندما بلغت المعركة بين الايمان والطغيان في عالم القلب الى هذا الحد تولت يد القدرة راية الحق لترفعها عالية وتنكس راية الباطل بلا جهد من أهل الايمان وعبرة أخرى انه حين كان بنو اسرائيل يهودون ضريبة الذل لفرعون وهو يقتل ابناهم ويستحي نساءهم لم تتدخل يد القدرة لادارة المعركة فهم لم يكونوا يهودون هذه الضريبة الا ذلا واستكانة وخوفا فأما حين استعلن الايمان في قلوب الذين آمنوا بموسى واستمدوا لاحتمال التعذيب وهم مرفوعوا الرؤوس يجهرون بكلمة الايمان في وجه فرعون ومن تلجلج ودون تتحرج ودون اتقاء للتعذيب فأما عند ذلك فقد تدخلت يد القدرة لادارة المعركة

والإعلان النصر الذي تم قيل ذلك في الأرواح والقلوب هذه هي
المبرة التي يبرزها السياق بذلك الأجمال وتتابع المشهدين بلا
عائق من التفاصيل يستيقظ أصحاب الدعوات ويمرّفوا متى يرتقبون
النصر من عند الله وهم مجردون من عدة الأرض والطفاة يملكون المال
والجند والسلاح وفي ظلال النصر والتجاة يتوجه الخطاب إلى
الناجين بالتذكير والتحذير كي لا ينسوا ولا يبطروا ولا يتجردوا من
السلاح الوحيد الذي كان لهم في المعركة فضعنوا به النصر والنجاح
* يا بني إسرائيل قد انجيناكم من عدوكم ووعدناكم جانب الطهور
الأيمن ونزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطفؤ
فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى واني لفغار
لن تاب وآمن وعمل صالح ثم اهتدى * لقد جاوزوا منطقة الخطر
وانطلقوا ناجين ناحية الطور وتركوا وراءهم فرعون وجنده غرقى وانجاؤهم
من عدوهم واقع قريب يذكره اللحظة فلم يمض عليه كثير ولكنه اعلان
التسجيل والتذكير بالنعمه المشهوره ليعرفوها ويشكروها قال تعالى
محذرا من الطغيان والفساد في الأرض واقتحام المنهيات وتناس
النعم * ولا تطفؤا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد
هوى * ولقد هوى فرعون منذ قليل هوى عن عرشه وهوى في الماء
والهوى الى اسفل يقابل الطغيان والتعالى والتعبير يشف هسذه
المقابلات في اللفظ والظل على طريقة التناسق القرآني : اقول والله
التوفيق . الفرض من ايراد هذه القصة وما وقع فيها من محاوره بين
الطاغية الكبير فرعون - وموسى - انه السلام هو ابراز ما فيها من ارهاب
فكرى عظيم تضمنته هذه القصة وكان هذا العدو مستمرا عليه وقد راينا

قيل قليل كيف مات هذا الطاغية وهو متماد على ارهابه الشديد لم يردعه ما رأى من الآيات البينات حتى غشيه من اليم ما غشيه وكانت اللحظة التي لاينفع فيها الندم وهذه القصة واقعية بالفرض المراد من ابراز الأرهاب ونتيجة الأرهابيين وقصة موسى هي اكثر قصصه البرسليين ورودا في القرآن وهي تعرض في حلقات وناسب موضوع السورة التي تعرض فيها وجوها وظلها وقد وردت حلقات منها حتى الآن في سورة البقرة والمائدة والأعراف ويونس والأسراء والكهف وذلك غير الاشارات اليها في سور أخرى وما جاء فيها في المائدة كان حلقة واحدة : حلقة وقوف بنى اسرائيل امام الأرض المقدسة لا يدخلون لأن فيها قوما جبارين وفي سورة الكهف كانت كذلك حلقة واحدة حلقة لقاء موسى للمهدى الصالح وصحبته فترة فأما في البقرة والأعراف ويونس وطه فقد وردت منها حلقات كثيرة ولكن هذه الحلقات يختلف في سورة عنها في الأخرى تختلف الحلقات المعروضة كما يختلف الجانب الذى تعرض فيه تنسيقا له مع اتجاه السورة التى يعرض فيها في البقرة سبقها قصة آدم وتكريمه بالملاء الأعلى وعهد الله اليه بخلافة الأرض ونعمته عليه بما غفر له فجاءت قصة موسى وبنى اسرائيل تذكيرا لبنى اسرائيل بنعمه الله عليهم وعهده اليهم وانجائهم من قرعون وطله واستقائهم وتفجير الينابيع لهم واطعامهم المن والسلوى وذكرت مواعدة موسى وعيادتهم العجل من بعده ثم غفرانه لهم وعهده اليهم تحت الجبل ثم عدوانهم في السيت وقصة البقرة وفي الأعراف سبقها الأندار وعواقب المكذبين بالآيات قيل موسى عليه السلام فجاءت قصة موسى عليه السلام تعرض ابتداء من حلقة الرسالة وتعرض فيها آيات اليه والمصا والطوفان والجراد والقمل ..

(١) والضفادع والدم وتعرض حلقه السحرة بالتفصيل وخاتمة فرعون وملأه
المكذبين ثم ما كان من بنى اسرائيل بعد ذلك من اتخاذ العجل
في غيبة موسى وتنتهي القصة باعلان فيها وراثته ورحمة وهداياته
للذين يتبعون الرسول النبي الأمي وفي يونس سبقتها عرض مصراع
المكذبين فجاءت قصة موسى من حلقه الرسالة وعرض مشهد السحرة
ومصرع فرعون وقومه بالتفصيل اما هنا في " طه " فقد سبقها مطلع
السورة يشف عن رحمة الله ورعايته لمن يصطفهم لحمل الرسالة وتبليغ
دعوته فجاءت القصة مظلمة بهذا الظل تبدأ بمشهد المناجيات
وتتضمن رعاية الله لموسى وتثبيته وتأييده وتشير الى سبق هذه الرعاية
للمرسالة فقد كانت ترافقه في طفولته فتحرسه * وألقيت عليك محبة مني
ولتصنع على عيني * اقول وبالله التوفيق في هذا التعبير ما يشير
الى العناية التي كان موسى محاطا بها من قبل الله عز وجل من صفره
وطفولته بين يدي فرعون حتى فارقه خوفا على نفسه عندما اشتد طلب
فرعون له وقد هداه الله الطريق السوي بعد خروجه واستجابته
لدعائه * رب اهدني سوا السبيل * كما وقفه الله في صحبتته
الرجل الصالح ومجاهرته بعد ان اخبرته ابتائه انه قوى أمين لأنهما
شاهدا ذلك عندما قام لهما بسقي الغنم * ان خير من استأجرت
القوى الأمين * وهكذا يعقد الله الخير بنواهي اهل الخير المخلصين
في أعمالهم ما كان لله دام واتصل وما ~~تلك~~ كان لغيره انقطع وانفصل
والواقع ان الانسان اذا خاف الله واتقاه اعطاه الله هيمه فيكون عليه

الوقار والهيبة سبب ذلك الدرع المستقر في قلبه ..

(١) وقد جاء في كتاب الزهد للأمام أحمد ان فرعون كان لا يأتي الخلاه
خلال اربعين يوما الا مرة فأختلف عليه ذلك عندما دخل عليه موسى
عليه السلام فتتردد على بيت الخلاه اربعين مرة وفطن لذلك وازعجه
والإنسان حين يصل به البطر الى درجة الاقتراس والأرهاب نجده
لا يقوم وزنا لمعرض الإنسان وماله وكرامته لأنه لا يرى حرمة لهذا كله
لكونه شريس الأخلاق يتميز غيظا وحقدا رهيب الفكر سرف فسي
الأجرام لا يرى لغيره حرمة امثال فرعون ومن على شاكلته الى يومنا
هذا من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ان هذا المنصب الذي
حصل عليه هذا الطاغية وصل اليه بأشنع انواع الأرهاب الفكرى قتل
الوالد وما ولد وهذا لاشك من أعظم الفساد في الأرض * انه كان من
المفسدين *

(٢) يقتل ابنائهم ويستحيى نساءهم * اقول هالله التوفيق . اذا نظرنا
الى الزاوية الاسلاميه المقابلة لهذا العمل وعلما ان فرعون كان يقتل
الولد حرصا منه على نفسه وخوفا من أن يتربى في أحضان أهله
فيكون فيه عداوة له وجدنا في المقابل ان الاسلام يربي الفرد
تربيه تجعله يبذل كل ما عنده في سبيل الله وفي صالح عبادة
ان مضمرات هذا الدين وكوامنه لم تنته بعد ..

(٣) ان في استطاعته ان يوجد عالما جديدا يحيا فيه الفقراء اغنياء

(١) كتاب الزهد للأمام أحمد ص : ٦٦ .

(٢) الفكر القانوني الاسلامي .

(٣) الصراع بين الفكر الاسلامي والفكرة القانونية ص ١٠٧ ط (٢) الندوى .

المحررة

لا يقوم فيه المجتمع البشرى على سواه الباطون بل يقوم على مساواة
الأرواح ومن حكمة الله البالغة ان كل انسان يدافع عن موقفه ولا يرضى
بأى وصمة فيه وان كان على خطأ بواح وارهاب فكري منقطع النظير
فان ذلك كله لا يجعله يعدل من خط سيره في حب الغلبة والجاه
والانتصار * قال فرعون ما اوريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل
الرشاد * اننى لا أقول لكم الا ما أراه صوابا ..

(١) واعتقده نافعا وانه هو الصواب والرشد بلا شك ولا جدال وهل يرى
الطفافة الا الرشد والخير والصواب ؟ وهل يسمحون بأن يظلم
أحد انهم قد يخطئون ؟ وهل يجوز لأحد ان يرى الى جوار رأيهم
رأيا والا فلم كانوا طفاه ؟ ولكن الرجل المؤمن يجد من ايمانه
غير هذا هجد ان عليه واجبا ان يحذر وينصح ويهدى من السرى
ما يراه يرى من الواجب عليه ان يقف الى جوار الحق الذى يمتقده
كائنا ما كان رأى الطفاه ثم هو يطرق قلوبهم بأيقاع آخر لعلها تحس
وتستيقظ وترتمش وتلين يطرق قلوبهم بلفتها على مصراع الأحزاب
قيلهم وهي شاهدة بئس الله في اخذ المكذبين والطفاه * وقال الذى
آمن يا قوم انى اخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد
وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد * ولكل حزب
كان يوم ولكن الرجل المؤمن يجمعها في يوم واحد * مثل يوم الأحزاب
فهو اليوم الذى تجلى فيه ..

(٢) بئس الله وهو يوم واحد في طبيعته على تفرق الأحزاب * وما الله يريد

(١) في ظلال القرآن ، بتصرف : ٢٤ / ٧٠ .

(٢) نفس المرجع السابق ح ٢٤ / ٧٠ - ٦١ .

ظلمنا للمباد * انما يأخذهم بذنوبهم يصلح من حولهم ومن بعدهم
بأخذهم بأيام الله يوم القيامة يوم التنادى * ها قوم اني اخاف عليكم
يوم التنادى يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضل الله
فما له من هادى * فالتنادى واقع من صور شتى وتسميته (يوم التنادى)
تلقى عليه ظل التصايح وتناوح الأصوات من هنا ومن هناك وهو صورة
يوم زحام وخصام ويتفق ذلك مع قول الرجل المؤمن * يوم تولون مدبرين
ما لكم من الله من عاصم * أقول ما الله التوفيق : هكذا نرى الأرهاب
الفكرى والظنمى ومقاومة الحق بالباطل والوقوف في وجه الدعسوة
الاسلامية يصير اصحابه الى محو لوحة الذل والهوان وجدير بالعاقل
ان يتمتع بهذه الأحداث التي مرت آنفا مصرف من خلالها ان العمل
محصور ومحسوب على صاحبه وان الله سبحانه بالمرصاد لجميع الأعمال
ما تقدم منها وما تأخر * وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون *
فقد مرت قرون كثيرة ولم يخل قرن من مقسدين اربابيين ولكن كان ذلك
يختلف من شخص الى آخر ومن قوم الى آخرين فبعضهم مثلا كان
ارهابه محصورا في حب الجاه والمال والاستخفاف بالغير فبعضهم كان
ارهابه يتعلق بالفواحش ما ظهر منها وما بطن ومن أشد انواع الأرهاب
الذى يتعلق بالأعمال ما قص علينا القرآن الكريم ما كان يقوم به " فرعون "
الذى كان يقتل المواليد لا لشيء الا أنهم ولدوا وخوفا من ان يكون من
ضمنهم من يحكر صفوه في الحياة فيما بعد فبالله من ارباب منقطع النظر
وقد رأينا كيف كانت عاقبة المكذبين : فليحذر الذين يخالفون عن أمره
ان يصيبهم مثل ما اصاب الذين من قبلهم . كعاد وثمود والأحزاب

وهذا قليل من كثير فان الله سبحانه وتعالى يهمل ولا يهمل * ولا يحق
المكر السيء الا بأهله * اقول والله التوفيق : المعركة بين الحق
والباطل ..

(١) كانت ولا تزال وستظل مستمرة ولكن أيضا لا تزال طائفة من صوره
لا يضرها من خالقها . والذين اختارهم الله للهدى اذا رأوا الحق
بادروا اليه معلنين ان هذه هي طريقهم لا يهمهم ما سينالهم من
ارهاب وتنكيل فسحرة موسى عليه السلام عندما وصلوا تمجلوا الأجرة
من فرعون والمودة وواعدهم فرعون بذلك وأن يكونوا من المقربين اليه
ولكن عندما رأوا العصا تتلفف ما يافكون وهم اصحاب هذه الخبيرة
تركوا فرعون وما بحوزته من زينة الحياة الدنيا واختاروا حزب الله
وغروا لله سجدا ولم يؤثروا شيئا بعد ما رأوا البينات ولم يهمهم ارهابه
ولا ما توعدهم به من التقطيع والتقتيل وهكذا انضم الحق الى الحق
* وخسر هنالك المبطلون * اما السحرة فقد لحق بهم من الارهاب
والتنكيل ما كان السبب في موتهم واصبحوا من المفلحين والله وحده
هو الذى يعلم من حال الناس ما يصلح ومن يستحق الضلال ومن
يستحق الهدى وقصر القرآن علينا هذه المحاورة بأوجز عبارته وأبلغها
كما رأينا فيما مر من الآيات القرآنية اقول والله التوفيق : الظاهر ان الله
سبحانه وتعالى انما انزل على فرعون وطلته هذه المضار التي تقسدم
ذكرها من الطوفان والجراد وغيرها لأجل ان يرجعوا عن طريقة الفساد
والفساد اللذين دأبوا عليهما لان الشدة ترقق القلب وترجع الإنسان
الى فطرته السليمة التي ولد عليها والإنسان حين يشتد به الخوف

لا يلجأ الا الى الله كما قال تعالى عن المشركين حين تركبون البحر صهيح البحر فانهم يتوجهون بالدعاء الى الله والتضرع الى الله وحده لا شريك له * فاذا ركبوا في الغلك يدعو الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون * ونوا اسرائيل كانوا يطلبون من موسى ان يدعو الله يرفع عنهم البلاء حين ينزل ويتعهدوا بهلتزموا بتنفيذ المطالب كلها ولكن اذا رفع البلاء رجعوا لما كانوا فيه علما بأنهم كانوا يروا في أنفسهم انهم ان رفع عنهم البلاء يتركون ذلك

(١) التمرد والعناد ويرجعون الى الانقياد والعبودية وذلك لأن أحسوا الشدة ترقق القلب وتغيب فيما عند الله والدليل عليه قوله تعالى * واذا سقم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه * وقوله تعالى * واذا سمعوا الشرا فذادوا دعاء عريض * : هذه الآية تدل

على انه تعالى فعل ذلك ارادة منه ان يتذكروا لا أن يقيموا على ما هم عليه من الكفر وعلى اية حال فقد جاء آل فرعون النذر فلم يعتبروا ولم يزدجروا بل تمادوا في طغيانهم يعمهون واستمروا في اربابهم وعنادهم الشديدين حتى انتقم الله منهم لعباده المؤمنين وجعلهم عمة لمن يبعدهم وهكذا يكون مصير النفس الشريرة الرهيبة بخلاف أصحاب الأنفس الزكية الذين يهتدون وجه الله ويصبرون على القتل والتعذيب ابتغاء مرضات الله وثقة بالله كما وقع لموسى عليه السلام واصحابه اقول قوله تعالى * سنقتل ابنائهم ونستحي نساءهم وانا فوقهم قاهرون * في هذه الآية سائل الأولى ..

(٢) قرأنا فاع (سنقتل بفتح النون والتخفيف والهاقون بضم النون والتشديد

(١) الفخر الرازي ح ١٢ / ٢١٥ .

(٢) سورة الاعراف الآية ١٢٧ .

على التكبر يعني : أبناء بني اسرائيل ومن آمن بموسى عليه السلام
السؤال الثانية أن موسى عليه السلام انما يمكنه الأفساد بواسطة
الرهط والشيعه فنحن نسعى في تقبيل رهطه وذلك بأن تقتل أبناء
بني اسرائيل ونستحيي نساءهم ثم بين انه قادر على ذلك بقوله * وانا
فوقهم قاهرون * والمقصود ترك موسى وقومه لا من عجز وخوف ولو
اراد به البطش لقدر عليه كانه يوهم قومه أنه انما لم يحبسه ولم
يمنعه لعدم التفاته اليه ولعدم خوفه منه واختلف المفسرون فمنهم من
قال كان يفعل ذلك كما فعله ابتداء عند ولاده موسى ومنهم من قال
بل منع منه واتفق المفسرون على أن هذا التهديد وقع في غير الزمن
الأول ثم حكى تعالى عن موسى عليه السلام انه قال لقومه * استمعينوا
بالله واصبروا * وهذا يدل على ان الذى قاله الملا لفرعون والذى
قاله لهم قد عرفه موسى عليه

السلام ووصل اليه فعند ذلك قال لقومه * استمعينوا بالله واصبروا (١)

ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * فهنا امرهم
بشيئين وشرهم بشيئين اما للذان امر موسى عليه السلام بهما فالأول
الاستعانة بالله والثاني الصبر على بلاء الله وانما امرهم أولاً بالاستعانة
بالله وذلك لأن من عرف انه لا مدبر في العالم الا الله تعالى أنشرح
صدره بنور معرفة الله وحينئذ يسهل عليه أنواع البلاء ولأنه يرى عند
نزول البلاء انه انما حصل بقضاء الله وقدره واستعداد به بمشاهدة
قضاء الله خفف عليه انواع البلاء واما للذان بشرهما فالأول قوله
* ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده * وهذا اطماع من موسى
عليه السلام قومه في ان يرثهم الله تعالى الأرض أرض فرعون بعد أهلاكه

~~الكتاب الثاني في بيان الخلف بعد السلف والثاني~~
~~في بيان الخلف بعد السلف والثاني~~

وذلك معنى الأثر وهو جعل الشيء للخلف بعد السلف والثاني
قوله * والعاقبة للمتقين * فقول المراد امر الآخر فقط وقيل المراد
امر الدنيا فقط وهو : الفتح والظفر والنصر على الأعداء وقيل المراد
مجموع الأمور وقوله * والعاقبة للمتقين * اشارة الى ان كل من اتقى

الله وخافه فالله يعينه في الدنيا والآخرة ولقد مضى موسى وقومه
(١) يتحملون العذاب وينتظرون الفرج ويرجون من الله العلى القدير ويصبرون
على البلاء حتى جاء الفرج وفي هذه الفترة كان الحكم للشهوة وكانت
السيادة للضلال وكان الحق للقوة وظل هذا الظلام كثيفا كما نفا في
هذا الجو المشحون بالباطل الى ان ارسل الله نبيه محمدا صلى الله

عليه وسلم وأمره ان يبشر الناس بالاسلام كافة وانزل عليه القرآن الكريم هدى
ونورا ورحمة فأخذ يتلو الكتاب ويدعو الى الحرية والسلام والمساواة ويسفه
آراء الوثنية والشرك والبهتان ويحارب استغلال الانسان لأخيه الانسان
بأمريكل ما هو حق وخير وعدل وينادى بحق العامل والفقير والمحروم
والرقيق والمرأه يحرم السلب والنهب والصوصيه والربا وأكل

أموال الناس بالباطل والفساد ويؤاخى بين الناس ويحب بين
(٢) الناس التآخي والمعونة يحطم المصبيات والحمية الجاهليه الأولى
يلفئ الفوارق بين الشعوب والجماعات والى هنا ننهي هذه النبذة
من الأرهاب الفكرى ونتيجته وما آل اليه الأرهابيون وعرفنا كيف كانت
النتيجة وعلى من دارت الدائرة وهذا المبدأ لا يتغير فى زمان
ولا مكان * والعاقبة للمتقين *

(١) فى ظلال القرآن ح ٩ / ٣٧ ط (١) .

(٢) نفس المرجع السابق .

العصل الخامس: دَعْرَةُ الْقَرَّارِ وَالسَّيِّدَةِ لِلنَّظَرِ وَالنُّكُلِ

الآيات الأرضية

قوله تعالى ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فابــــــسوا الظالمون الا كفورا﴾ . (١)

ظاهر هذه الآية أنها سبقت للبحث وذلك ظاهر من السياق قبلها حيث قال تعالى ... مخبرا عن قوله الكفار ﴿وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا انا لمموتون خلقا جديدا﴾

(٢) قال الفخر الرازي عند الكلام على هذه الآية : اعلم انه تعالى كما اجاب عن شبهات منكري النبوة عاد الى حكاية شبهة منكري الحشر والنشر لينجيب عنها وتلك الشبهة هي ان الانسان بعد ان يصير رفاتا وربما يبعث ان يعود وهو بعينه واجاب الله عنه بأن من قدر على خلق السموات والأرض لم يبعد أن يقدر على اعادتهم بأعيانهم وفي قوله ﴿قادر على ان يخلق مثلهم﴾ قولان الأول قادر على أن يخلقهم ثانيا فمبر عن خلقهم ثانيا بلفظ المثل كما يقول المتكلمون أن الاعادة مثل الابتداء القول الثاني : انه سبحانه قادر على ان يخلق عبدا آخرين يوحدونه ويقررون بكامل حكمته وقدرته ويتركون ذكر هذه الشبهات الفاسدة وعلى هذا التفسير فهو كقوله تعالى ﴿يات بخلق جديد﴾ وقوله ﴿يستبدل قوما غيركم﴾

(٣) قال الواحدي: والقول الراجح هو الأول لأنه أشبه بما قبله ولما بين الله تعالى

(١) سورة الأسراء الآية ٩٠ .

(٢) الفخر الرازي ج ٤ ص ٦٢/٢١ ط (١) .

(٣) نفس المصدر السابق .

بالدليل المذكور ان البحث والقيامه أمر ممكن الوجود في نفسه أردفه
بأن لوقوعه ودخوله في الوجود وقتا معلوما عند الله وهو قوله تعالى
* وجعل لهم آجلا لا ريب فيه * ثم قال تعالى * فإني الظالمون
الأكفورا * أي : بعد هذه الدلائل الظاهرة أبوالا الكفر والتفوق
والجهود وقوله تعالى * ان في خلق السموات

(١) والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس . .

(٢) وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وهب
فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض
لآيات لقوم يعقلون *

(٣) هذا بيان آخر لوجوده سبحانه وتعالى بعد ذكر قدرته قال في الفخر
اعلم انه سبحانه وتعالى لما حكم بالفردانية والوحدانية ذكر ثمانية أنواع
من الدلائل التي يمكن ان يستدل بها على وجوده سبحانه وأعلى
توحيده هراثة عن الأضداد والأنداد - ثانيا : قبل الخوض في تلك
الدلائل وشرحها لابد من بيان مسائل المسألة الأولى هي : ان الناس
أختلفوا في أن الخلق هو المخلوق أو غيره ؟ فقال عالم من الناس
الخلق هو المخلوق واحتجوا عليه بالآية والمعقول اما الآية فهي هذه
الآية وذلك لأن^{له} تعالى قال * ان في خلق السموات والأرض واختلاف
الليل والنهار - الى قوله لآيات لقوم يعقلون * ومعلوم ان الآيات

(١) سورة البقرة الآية : ١٢٦ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٦٤ .

(٣) تفسير الفخر الرازي ج ٤ ص : ٢٠١ .

ليست الا في المخلوق لأن المخلوق هو الذي يدل على الصانع فدللت
هذه الايات على أن الخلق هو المخلوق واما المعقول فقد احتجوا
عليه بأمور : احدها أن الخلق عبارة عن اخراج الشيء عن العدم الى
الوجود فهذا الاخراج لو كان أمرا مغايرا للقدرة والأثر فهو ما أن
يكون قديما أو حديثا فان كان قديما فقد حصل في الأزل سمي
الأخراج من العدم الى الوجود والأخراج من العدم الى الوجود
سبق بالعدم - والأزل هو نفي السبوقية فلو حصل الأخراج فسي
الازل لزم اجتماع النقيضين وهو محال وان كان محدثا فلا بد له أيضا
من مخرج يخرج من العدم الى الوجود فلا يدل من اخراج آخر
والكلام فيه كما في الأول ويلزم التسلسل واحتج القائلون بان الخلق
غير المخلوق بوجوه : أولا : ان قالوا لا نزاع في ان الله تعالى
موصوف بأنه خالق قبل ان يخلق الأشياء والخالق هو الموصوف بالخلق
فلو كان الخلق هو المخلوق لزم كونه تعالى موصوفا بالمخلوقات التي
منها الشياطين وذلك لا يقوله عاقل - وثانيا : انا اذ رأينا حادثا
حدث بعد أن لم يكن قلنا : لسم وجد هذا

(١) الشمسي* بعد ان لم يكن فاذا قيل لنا أن الله خلقه وأوجده قلنا
ذلك وقلنا انه حق وصواب ولو قيل : انه وجد بنفسه لقلنا أنه خطأ
وكفر ومتناقض فلما صح حدوثه بعد ما لم يكن بأن الله تعالى خلقه
ولم يصح تعليل حدوثه بحدوثه بنفسه علمنا ان خلق الله اياه مغاير
لوجوده في نفسه فالخلق غير المخلوق - وثالثهما أننا نعرف افعال
العباد ونعرف الله تعالى وقدرته مع أننا لا نعرف ان المؤمن شرفي افعال

العباد هو : قدرة الله أم هو قدرة العبد والمعلوم غير ما هو معلوم
فمؤثرية قادرية القادر في وقوع المقدور مغايرة لنفس تلك القدرة
ولنفس ذلك المقدور - ثم ان هذه المغايرة يستحيل أن تكون سلبية
لأنه نقض المؤثرية التي هي عدمية فهذه المؤثرية صفة ثبوتية زائدة
على ذات المؤثر وذات الأثر وهو : المطلوب - ورابعها : ان
النحاه قالوا : اذا قلنا خلق الله العالم فالعالم ليس هو المصدر
بل هو المفعول به وذلك يدل على ان خلق العالم غير العالم -
 وخامسها : أنه يصح أن يقال : خلق السواد وخلق البياض وخلق
الجوهر وخلق العرض فمفهوم الخلق امر واحد في الكل مغاير لهذه
الماهيات المختلفة - بدليل أنه يصح تقسيم الخالق الى خالقية
الجوهر وخالقية العرض ومورد التقسيم مشترك بين الأقسام فثبتت
ان الخلق غير المخلوق فهذا جملته ما في هذه المسألة = المسألة
الثانية قال ابو مسلم رحمه الله : اصل الخلق في كلام العرب التقدير
وصار ذلك اسما لأفعال الله تعالى لما كان جميعها صوابا قال تعالى
﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ ويقول الناس في كل أمر محكم
هو معمول على تقديره المسألة الثالثة : دلت هذه الآية على أنه
لا بد من الاستدلال على وجود الصانع بالدلائل العقلية وان التقليد
ليس طريقا البتة الى تحصيل هذا الغرض -

المسألة الرابعة : ذكر ابن جرير

(١) في سبب نزول هذه الآية عن عطاء انه عليه السلام عند قدومه المدينة
نزل عليه ﴿ والهكم الله واحد ﴾ فقال كفار قريش كيف يسع الناس

فَقُلْ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) الفخر الرازي ج ٤ ص : ٢٠٢ .

آله واحد فأنزل الله تعالى * ان في خلق السموات والأرض * وعن
 سعيد بن مسروق قال سألت قريش اليهود فقالوا : حدثونا عما جاءكم
 به موسى من الآيات فحدثوهم بالعصا والهدى البيضاء وسألوا النصارى
 عن ذلك فحدثوهم بابرا* الأكمة والأبرص وأحياه الموتى فقالت قريش
 عند ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يجعل لنا الصفا
 ذهباً فنزداد وإيقينا وقوه على عدونا فسأل ربه ذلك فأوحى الله تعالى
 اليه ان يعطيهم ولكن اذا كذبوا بعد ذلك عذبهم عذاباً لا أعذبه
 احداً من العالمين فقال عليه الصلاة والسلام : نرني وقومي ادعوهم
 يوماً فيوماً فأنزل الله تعالى هذه الآية مبينا لهم انهم ان كانوا
 يريدون ان يجعل الله لهم الصفا ذهباً ليزدادوا يقيناً فخلق السموات
 والأرض وسائر ما ذكر أعظم وأعلم ان الكلام في هذه الأنواع الثمانية
 من الدلائل على أقسام فالقسم الأول مذكور في قوله تعالى * الذى
 جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء* ثم قال الغفر الرازى : ولندكر
 هنا نمطاً آخر من الكلام : روى ان عمر بن الحسام كان يقرأ كتاب
 المجسطى على عمر الأبهري فقال بعض الفقهاء يوماً ما الذى تقرؤنه
 فقال : أفسر آية من القرآن وهى قوله تعالى * أفلم ينظروا الى
 السماء فوقهم كيف بنيناها * فانا افسر كيف بنيناها ولقد صدق
 الأبهري فيما قال فان كل من كان أكثر توغلاً في بحار مخلوقات الله
 تعالى كان أكثر علماً بجلال الله تعالى وعظمته فنقول الكلام في احوال
 السموات على الوجه المختصر الذى يلحق بهذا الموضع مرتب فى
 فصول الفصل الأول فى ترتيب الأفلاك - الفصل الثانى فى معرفته
 الأفلاك - الفصل الثالث فى مقادير الحركات - الفصل الرابع فى كيفية
 الاستدلال بهذا الأول على وجود الصانع .

أقول وبالله التوفيق : بعدما قدما نبداً في التعليق

على ما مر من اختلاف بين الخلق والمخلوق وأرى ان الخلق
غير المخلوق اذا الخلق هو التأثير وفرق بين المصدر وبين المفعول
فالخلق مصدر والمخلوق مفعول ولا بد من التغاير بينهما وما يقال

من ان الخلق هو عين المخلوق غير صواب ان الخلق قائم بذات الخالق
وليس المخلوق قائم بذاته بل هو اثر قدرته ونوءد هنا في المسألة
الثانية : التغاير بين الخلق والمخلوق ان التقدير غير المقدر

وحول المسألة الثالثة المتقدمة اقول قد يكتفي المؤمن على وجود الله
بالدلائل السمعية ان الدلائل العقلية لا يتساوى فيها ادراك كسل
الناس وهي متفاوتة في الجلاء والخفاء وقد سبق بي ان تناولت

التقليد وعيجه هيئت انه من بين العوائق التي تعوق العقل عن
التأمل والتدبر فالمطلوب أولاً الدلائل السمعية ثم الدلائل العقلية
لتفهم ما جاء به الشرع على ان يكون السمع هو ستند العقل وفيما
يتعلق بالمسألة الرابعة اقول : لو صح ما ذكر من سبب نزول الآية

فالمنى ان الله ينقلهم من الكسل والتواكل الى النظر والبحث
والاستدلال بالآيات على وجود الله بعد التعليق على المسألة الرابعة
والمعلق بسبب نزول الآية الكريمة نتابع كلام العلماء على هذه الآية

من سورة الأسراء التي استفتحنا الكلام فيها بما قاله الفخر الرازي
فنقول والله نستعين ان الآية تمالج موضوع البعث وتقريبه للحياة
بالأمثلة الواضحة المرئية لأن الممين لا تعرف شيئاً اعظم من السموات
والأرض وأحياء الأرض بالمطر وأخضرار ما على وجهها من نبات بعد ان
كانت لانبات فيها ثم اصفراره بعد ذلك وأضحلاله ليكفي من نظر
فيه يتدبر على قدرة الله التي لا يمجزها شيء " وانه تعالى قادر على

النشأة الأخيرة كقدرته على النشأة الأولى ولوضوح هذا وكثرة أدلته
المرّة كان حكم المنكرين له الكفر والحياد بالله تعالى ..

(١) قال الشوكاني : فجاء سبحانه بحجة تدفعهم وتردهم عن الجحود
فقال جل وعلا * أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والأرض قادر
على ان يخلق مثلهم *

(٢) لأنهم ليسوا بأشد خلقا منهم كما قال * أنتم أشد خلقا أم

السماء * أي من هو قادر على خلق هذا فهو على اعاده ما هو
دون منه اقدر - وقيل قادر على افنائهم وايجاد غيرهم وعلى القول
الأول يكون الخلق بمعنى الأعادة وهذا القول هو على الحقيقة وجمله
وجمل لهم اجلا لا ريب فيه * عطف على * أو لم يروا والمعنى : قد

علموا بدليل المقل ان من قدر على خلق السموات قادر على احياء الموتى والاجل
الذي لا ريب فيه هو : الموت او القيامة ويحتمل ان تكون الواو للاستئناف

وقيل في الكلام تقديم وتأخير وقوله * فابى الظالمون الا كفورا *
أبى المشركون الا جحودا وفيه وضع الظاهر موضع المضمحل عليهم
بالظلم ومجاوزه الحد ثم لما وقع من هو لا * الكفار طلب اجراء الانهار
والعميون في اراضيهم لتتسع مما يشرب بين الله سبحانه أنهم لا يفقهون
ولا يقنعون بل ييقنون على بخلهم وشحهم بقوله تعالى * قل لو انتم
تملكون خزائن رحمة ربي اذا لا مسكنكم خشية الأنفاق وكان الانسان قتورا *

(١) فتح القدير للأمام الشوكاني ج ٣ ص ٢٦٠ .

(٢) سورة الاسراء الآية ٩٩ .

(٣) سورة الاسراء الآية ١٠٠ .

سورة الماعنات الآية ٤٨

أى : بخيلا . قال أهل اللغة : أنفق - وأصرم - وأعدم وأقتر بمعنى
 قل ماله فيكون المعنى : لأستكنم خشيته قلة المال وايضا يقال قتر
 على عياله يقتروقترا قترا وقتورا = ضيق عليه في النفقة ويجوز ان يراد
 وكان الإنسان قتورا أى : قليل المال والظاهر ان المراد المبالغة في
 وصفه بالشح لأن الإنسان ليس بقليل المال على العموم بل بعضهم
 كثير المال إلا أن يراد^أ جميع النوع الانساني قليل المال بالنسبة إلى

(١)

غزائن الله تعالى وما عنده وأختلف في هذه الآية على قولين
 أحدهما انها نزلت في المشركين خاصة وه قال الحسن والثاني انها
 عامة وهو قول الجمهور حكاه الماوردي أقول وبعد تقرير الآية للبعث
 واثباته بالأدلة العقلية والنقلية لم يبق لمنكريه أدنى شبهة يجهنون
 اليها كيف وقد قال تعالى ..

(٢) * أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والأرض ولم يمي بخلقهن
 بقادر على ان يحي الموتى * وقال جل وعلا :

* أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر
 على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئا
 ان يقول له كن فيكون * قال ابن كثير يوم القيامة يعيد ابدانهم
 وينشئهم نشأة أخرى كما بدأهم وقوله * وجعل لهم أجلا لا ريب فيه *
 أى : جعل لأعادتهم وقيامهم من قبورهم أجلا مضروبا ومدة محدودة

هل =

- (١) الشوكاني فتح القدير ٣ ص / ٢٦٠
 (٢) سورة الاسراء الآية : ١٠٠ سورة الاحقاف الآية ٢٢
 (٣) الشوكاني تفسير فتح القدير ٣ / ٢٦٠
 ٢٢ سورة يس الآية ٨٤

لا بد من انقضاءها كما قال تعالى * وما نؤخره الى أجل معدود *
ومن خلال ما قاله العالمان الجليلان ابن كثير والشوكاني في الآية
الكريمة من سورة الأسراء يتضح لنا ان الآية تسوق الأدلة وتعرضها
عرضا واضحا وتقربها لكل عقل سليم حتى لا تبقى شبهة يتذرع بها
جاحد للبحث وقدره الله عليه فان الآيات الأرضية والسمائية فيهما
من الأدلة على تحقيق هذا البحث ما يكفى عن الخوض فيه وقد فصلته
الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تفصيلا شافيا يظهر من التفصيل
المنصوص ان الناس متفاوتون فيه تفاوتا كبيرا جدا ومتباينون تباينا
عظيما فبعضهم يحشر على وجهه أعظمى وأصم وأبكم .

(١) كما قال تعالى * ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم

عيا وكما وصا مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا * وقد أخرج
البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس قال قيل يا رسول الله : كيف يحشر الناس
على وجوههم ؟ قال : الذى أمشاهم على أرجلهم قادر ان يمشيهم
على وجوههم * أقول وهذا أيضا فيه دلالة على ان الناس يتجوسون

من قبورهم وهم على اصناف متفاوتة ويتضح ذلك فيما رواه الإمام أحمد

قال : ^{٤٤} ح ١٦٩٥ / ١٦٥ ط الحكيمة الرازي للطباعة

(٢) حدثنا الوليد بن جميع القرشي عن ابيه عن ابي الطفيل عامر بن واثلة

(٣) عن حذيفة بن أسيد قال : قام ابو ذر فقال : يا بنى غفار قولوا

(١) سورة الحديد الآية ٥٦ سورة الزمر الآية ٩٧

(٢) عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جحش الليثي أبو الطفيل وريما

سني عمرا ولد عام أحد رأى النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن

ابى بكر فمن بعده وعمرى أن مات سنة عشر ومائة على الصحيح وهو

آخر من مات من الصحابة قاله مسلم وغيره التقريب ح ١ ص ٣٨٩ / ٤٠

(٣) حذيفة بن أسيد بفتح الهمزة الفخاري أبو سريجة بمهملتين مفتوحه ==

١ البخاري في صحيح البخاري ح ٤٩٢ / ٨

مسلم ح ٢١٦١

١ - ولا تحلفوا فان الصادق المصدوق حدثني ان الناس يحشرون على ثلاثة
 أفواج فوج راكبين طاعمين كاسين وفوج يمشون ويسعون وفوج تسحبهم
 الطائفة على وجوههم وتحشرونهم الى النار فقال قائل هذان قســد
 عرفناهما فما بال الذين يمشون ويسعون ؟ قال * يلقي الله عز وجل
 الأثمة على الظهر حتى لا يبقى ظهر حتى ان الرجل ليكون له الحديقة
 المعجبة فيعطيهها بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها * أقول والله
 التوفيق : حديث القرآن عن البحث وخطابه العقل دعوه صريحه السى
 ايقاط العقل وحفزه على التأمل والاستدلال ووقوفه عند حده أمام
 القضايا الغيبية علما بأن العقل محدود والغيب غير محدود فعلى
 العاقل أن يفكر طليقا فيما هو مشاهد وعليه أن يقف عند حده فيما هو
 غائب عن المدارك والعقول وطريق معرفة ذلك هو السمع والنقل عن
 الشارع فيما صحت نسبته اليه وضح مضمونه وما تضمنه ذلك النص
 الشرعي وجديرنا هنا ان نلقي الضوء على الآيات الأرضية حسب
 الترتيب الذي عرضته الآية الكريمة علينا ونستشف المعاني القيمه منها
 والمعبر الكامنة فيها من قوله عز وجل :

(١) * ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل
 والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من
 السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
 وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون *
 أقول والله التوفيق بعد صرد الآية الكريمة نبدأ بما بدأت به من

== الأولى منهما صحابي من اصحاب الشجرة - مسك

سنة اثنتين وأربعين / ٤٢٠ التقريب ح ١ ص ١٥٦ .

(١) سورة : البقرة الآية : ١٦٤ .

١ - الكلامك الله كبره ٢ / ٧١

الغات النظر الى خلق السموات والأرض وفيه بحوث نفرضها فيما يلي
 (١) فمن ذلك قوله * وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اغتاب وزرع
 ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
 في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون * فقوله : لقوم يعقلون
 دعوة الى العقل للتأمل والنظر فان ذلك يحدث له روعة ويفتح عليه
 روعة من الفكر يجول به في مصنوعات الله واقرب شيء الى العقل ما تقع
 عليه الحواس من معالم ارضية تتفق في ظاهر الامر في الدقة والفداء
 والجم والتخلف في ثمارها في الطعم واللون ولا يكون ذلك الا متن
 تدبير خالق حكيم ومدير عليم (يسقى بماء واحد والاكل مختلف
 وفي هذا رد على الفلاسفة الحقاق القائلين : بأن الواحد لا يصدر
 عنه الا أثر واحد ونسوا أن الواحد المختار يفعل ما يشاء ويحكم
 ما يريد يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ويطيل الليل
 في بقعة والنهار في بقعة أخرى ويجعلها متعادلين في بقعة ثالثة
 ليتناسب ذلك مع موقع البقعة وفيه من اختلاف الحرارة والبرودة والظلمة
 وللنور ما يحملنا على التأمل في هذا النظام المحكم المشــــــــــــــــار
 اليه بقوله تعالى : * وأيه لهم الليل نسلخ منه النهار
 (٢) فاذا هم مظلومون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم
 والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها
 ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون *
 وعلى أية حال فاختلاف الليل والنهار وتعاقب النور والظلام وتوالي

(١) سورة الرعد الآية : ٤

(٢) سورة يس الآية : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩

الأشراق والعتمة ذلك الفجر وذلك الغروب كم أहतزت مشاعر وكم وجفت لها قلوب وكم كانت أعجبة الأعاجيب ثم فقد الإنسان وهلتها وروعتهها مع التكرار الا القلب المؤمن الذي يتجدد في حسه هذه المشاهد ويظل ابدا يذكر يد الله فيها فيتلقاها في كل مرة بروعه الخلق الا يتمعجب الإنسان اذا نظر الى ارتفاع القطب تسعين درجة فيكون هناك معدل النهار مطبقا على الأفق من وتصير الحركة رحيبة ومعدل طلوع الغروب أصلا ويكون النصف الشمالي من تلك البروج أبدى الظهور والنصف الجنوبي أبدى الخفاء ويصير نصف السنة ليلا ونصفها نهسارا فيالها من حكمة باهره وقدره قادره لا ينتفع بها الا اولوا الألباب قال تعالى * يأيها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء فأخرج

(١) به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون * فالذي

جعل الأرض فراشا مهيذا وسخر لنا كل ما على وجهها واعد لها اعدادا تاما لتكون سكنا مريحا وملجأ واقيا كالفرش والناس ينسون هذا الفراش الذي مهد الله لهم لطول ما ألفوه ينسون هذا التوافق الذي جعله الله في الأرض ليمهد لهم وسائل العيش وما سخره لهم فيها من وسائل الراحة والمتاع ولولا هذا التوافق ما قامت حياتهم على هذا الكوكب في مثل هذا اليسر والطمأنينة ولو فقد عنصر واحد من عناصر الحياة في هذا الكوكب ما قام هو لاء الأناس في غير البيئة التي تكفل لهم الحياة ولو نقص عنصر واحد من عناصر الهواء عن

قدرة المرسوم لشق على الناس ان يلتقطوا أنفاسهم حتى لو قدرت لهم الحياة وإذا نظرنا الى السبب الثالث وهو : كون بعضها بحرًا وبعضها سهيلًا وبعضها جبلًا وتركب بعضه هذه الاقسام من بعض فتختلف احوالها اختلافًا شديدًا دل ذلك على قدره الله وحكمته قال تعالى ﴿ وكأى من أية فى السموات والأرض يمدون عليها ﴾

- (١) وهم عنها ممرضون ﴿ ان وحدة الألوهية هي القاعدة الكبيرة التى يقوم عليها التصور الأيماني فلم يكن هناك جدل حول الاعتقاد بوجود آله تختلف التصورات حول ذاته وحول صفاته وحول علاقته بالخلق ولكنها لا تنفي وجوده ولم يقع ان نسيت الفطرة هذه الحقيقة حقيقة وجود آله الا فى هذه الأيام الأخيرة يقول سيد قطب : حين نبئت نابتة منقطعة عن أصل الفطرة تنكرو وجود الله وهي : نابتة شاذة لا جذور لها فى أصل هذا الوجود ومن ثم فصيرها حتما الى الفناء والاندثار من هذا الوجود هذا الوجود الذى لا يطبق تكوينه ولا تطبيق فطرته بقاء هذا الصنف من الخلائق المقطوعة الجذور وهذه الطريقة فى تبين الحواس والمشاعر جديره بأن تفتح العين والقلب على عجائب هذه الكون المعجائب التى تفقدنا الألفة حدتها وغرابتها واخاآتها للقلب والحواس وهي دعوة للإنسان ان يرتاد هذا الكون كالذى يراه أول مرة مفتوح العين متوقفاً الحس حسي القلب وكـم فى هذه المشاهد المكرره من عجيب وكم فيها من غريب وكم أختلجت العيون والقلوب وهي تطلع عليها أول مره ثم القتها

(١) سورة يوسف الآية : ١٠٥ .

(٢) فى ظلال القرآن ج ٢ ص : ٤٩ ، ٥٠ ط (٢) .

فقدت هزة المفاجأة ودهشة المباغة وزوعه النظرة الأولى الى هذا
المهرجان العجيب تلك السموات والأرض هذه الأبعاد الهائلة
والأجرام الضخمة والأفاق السحورة والعوالم المجهولة هذا التناسق
في مواقعها وجريانها في تلك الفضاء الهائل الذي يدير الرؤس هذه
الأسرار الذي تصوص للنفس وتلتفت في رداء المجهول هذه السموات
والأرض وما فيهما تكفى في الدلالة على وجود خالق مدبر حكيم مختار
وقيل أن ادخل في بحث كروية الأرض وما قاله العلماء في هذا الموضوع
من قديم وحديث أود أن أقول أن الإسلام لا يخالف حقيقة فكل (١)
حقيقة ثابتة فالإسلام لا يمانع فيها لأنه دين الحق والقرآن حق
وما جاء فيه حق علمه من علمه وجهله من جهله فاذا اكتشف العلم
الحديث شيئا لا تعرفه فلا ينبغي ان تنفيه بحجة أنا لا نعرفه يقول
أحمد زكي في كتابه : ثورة الإسلام منذ تبين للمستشرقين الأمريكيين
ان من بين المبادئ الإسلامية العليا وبين المثاليات الأدبية
وشائج قوية لذلك ازادات عنايتهم بدراسة تلك المبادئ وتدريبها
وهم ان يصنعون ذلك يؤدون للناس خدمة مزدوجة يسيل خدمة
انسانية رفيعة قوامها التقريب الروحي والفكري بين نحو مائتي مليون
من البشر شرقا ومثل عددهم غربا واذا كان عدد من المستشرقين
القدامى لا يزال مفرما بتدريس الخرافات والبدع التي الصقت بالإسلام
في عصور الجاهلية والانحطاط كأنها من اركان الإسلام فثم غيرهم
من المستنيرين يعنى : بروح من الإسلام الحقيقية ومبادئه العليا فيعمل
على درسها وتدريسها متضافرا مع المثقفين من أبناء الإسلام أنفسهم
الذين اخذوا في العهد الأخير يضلعون بأعباء

التدريب الإسلامي والعربي في الجامعات والمعاهد وأعطى الدكتور
مبادئ إسلامية وذكر في المبدأ الأول تحرى الحقيقة وترك التقاليد
الوهمية لأن التقليد الأعمى بالتقاليد الوهمية
يقضي بطبيعة الحال على حركة البحث
عن الحقيقة في كل مكان وجعلنا نشيح بوجوهنا عن مصادر النور
(١) الممنوعة أو قد تكفي الضئيل منها في حين أن من الواجبات المقدسة
على المسلمين البحث عنها في جميع مظانها والاستضاء بنورها أينما
كان مصدره إذا ان الإسلام جاء مكلا وصافلا للعقائد السابقة
وجاء داعيا إلى الاهتمام بكل معرفة جديدة لا قاضيا على أى خير
سابق أقول والله التوفيق ما قدمته تمهيدا لما سأدخل فيه بحول الله
تعالى من أقوال العلماء المعاصرين حول دوران الأرض وعدمه وهذا
الموضوع اختلف فيه انظار العلماء اختلفا بينا وتضاربت اقوالهم
فضيلة الشيخ بن باز لا يقول به بل يقول ان القول به كفر ويقول
بالحرف ان الأرض قاره ساكنة ارساها الله بالجيال وجعلها اوتادا
لها فمن زعم خلاف ذلك يقول الشيخ بن باز وقال ان الشمس
ثابتة لا جارية فقد كذب الله وكذابه الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه " يقول الشيخ في فتواه : وكل من قال هذا القول
فقد قال كفرا وضلالا لأنه كذب الله ورسوله وقد اثار ما قاله الشيخ
ضجة كبيرة جدا لأن حركة الأرض وحركة الشمس كل في فلك يسبح
بقدره الله وتدبيره من المسلم به اليوم ولا محذور فيه واصبح كأنه

(١) المسلمون وعلم الفلك ص ٢٢ محمد محمود الصواف .

شيء معروف لدى العامة والخاصة وقد قام / محمد محمود الصواف
بالرد على ما قاله الشيخ واستبعده كما تناول المودودي الموضوع وقال
ان الشيخ كان يحسن به ان لا يخوض في هذا الموضوع لأن الذي ورد
في كتاب الله تعالى في بعض آياته عن الأمور الكونية لم يرد ليعلم
الإنسان علم الطبيعة وإنما ورد ليلفت نظر الإنسان الى ما في آيات
الله الكونية من دلائل قاطعة وحجج دافعة على توحيد الله تعالى
والبعث بعد الموت وقد راعت الحكمة الإلهية في تحقيق هذه
المصلحة أن يشاهد الإنسان آيات الله في الكون ويتلقى فيها دروسا
وعبرا في أضواء ما وصل اليه علمه بأمور الكون ومع ان الذي جاء في
القرآن من آياته التي تشير الى الأمور الكونية

(١) لا يخالف الواقع ولا تعارضه الحقيقة الكونية ولن يكون ذلك ابدا الا
ان القرآن لم ينهج لذكره اسلها يصطدم مع علوم الإنسان في عصر
من العصور اصطداما صريحا يحول بين الإنسان وبين ايمانه بالله
تعالى وكتابه ولاجل ذلك لم يصرح القرآن بصورة قاطعة في أية
من آياته بدوران الأرض وثبوت الشمس او ثبوت الأرض وجريان الشمس
حولها اما اقوله تعالى ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك بقدير
العزیز العليم ﴾ فليس معناه ان الشمس تدور حول الأرض بل معناه
ان الشمس سارية الى مقرها الذي لا يعلمه الإنسان وهذا المدلول
لا يعارضه علم البيئة في العصر الحاضر وكذلك ان القرآن لم يصرح
في آية من آياته بكون الأرض ثابتة ساكنة وكون الشمس دائرة حولها
وان الإنسان في القرون الماضية كان يفسر الرواس والأوتاد في نطاق

معرفة وحسب علمه بالأمور الكونية آن ذلك محقق له أن يفسرها
 في ضوء ما اكتشفه من الأمور الكونية وأن الله تعالى لم يجعل إيماننا
 وعقيدتنا مربوطان بعلم عصر من العصور بحيث إذا تغير هذا العلم
 وتبدل اضطر الإنسان إلى أمرين إما أن يؤمن بالله تعالى
 وينتسب ~~سسر~~ صحة العلم أو يكفر بالله تعالى ويؤمن بصحة العلم
 فإذا كان الإنسان القديم مسلماً صحيح الإسلام على رغم قوله بثبوت
 الأرض كذلك لا شك في صحة إسلام الإنسان الحاضر على اعتقاد بدوران
 الأرض يقول الشيخ المودودي في آخر كلامه : وأنا أوافق رأي
 فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف . أقول وبالله التوفيق : القرآن
 كلام الله وهو الحق الثابت إلى يوم القيامة وقد بينه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ... قال تعالى :

(١)

* وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم * وتجدر

(٢)

الإشارة هنا إلى أن الصواف الذي أنضم له رأى المودودي يرى كل
 منهما حركة الأرض وكذلك الشيخ الطنطاوي يقول بالعرف : ودوران
 الأرض مشاهد مقطوع به كان معلوماً علماً نظرياً بالأدلة العقلية فصار
 معلوماً ضرورياً بالحس ومشاهدة الأرض من المركبات الفضائية وعرض
 الصور التي التقطت لها بالرائي : أي : التليفزيون " وصار القول
 بدوران الأرض من البدهيات التي لا نزاع فيها اليوم بين الناس أما
 الآيات التي يرى فيها منكروا الدوران دليلاً لهم كقوله تعالى :

* والقي في الأرض رواسي أن تمتد بهم * فليس فيها دليل لأن ما

(٣)

(١) نفس المصدر السابق ص : ١٩ .

(٢) سورة النحل الآية : ٤٤ .

(٣) سورة لقمان الآية : ١٠ .

عند العرب بمعنى : مال وهو : باب معروف والميلان : حركسة
اضطرابية والسير : حركة انتقالية فإذا نفى الله عليها الميلان فلا يفهم
منه نفى الحركة الانتقالية بل ربما كان في الآية " إشارة " الى سيرها
لأن الآية دلت على أن الجبال مثل الثقل للأرض ليلا تميد أى :
تضطرب في سيرها كالزورق اذا كان فارغا وضعوا فيه الحجارة
أو أكياس الرمل ليلا يضطربه الموج فيضطرب أقول والله التوفيق :
بعض العلماء يقول انه ليس من دليل على الحركة ولا عدمها ومعنى :
الدليل القطعى وعلى مدعى عكس هذا أن يأتي بالدليل وما ساقه
بعض المشايخ واعتبره دليلا ليس فيه ما يعتبر نصا في المسألة او دليلا
نصريحا على دعواه وهذا رأى المودودى والطنطاوى والصواف وعلى
العكس منهم فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز وقد قدما رأى الجميع
وحججهم وما لاشك فيه ان الأدلة اليوم على حركة الأرض ظاهرة
دائمة لمشاهدة العين اياها فعلا يوجد بعض البلدان الآن تذهب
الناس اليه وتابى منه ويقولون ان الشمس تغيب عنه ستة أشهر فقد
وجدت من أخبرني بذلك بطريقة التواقر المقطوع بصحته فلو كانت

(١) الأرض لا تدور لظهرت عليها الشمس مرة واحدة والله اعلم بقول عبد الرزاق نوفل

في كتابه : الله والعلم الحديث الأرض كوكب من الكواكب التى تدور
حول الشمس وتتبعها في سيرها اينما سارت وهي : الكوكب الخامس
من حيث الحجم والثالث من حيث القرب من بين الكواكب التسعة

- (١) التي تشكون منها المجموعة الشمسية والأرض تكاد تكون كره إلا أنها منبعجة قليلا عند خط الاستواء ويقول عبد اللطيف أبو الوفاء ان السماء تدور لا الأرض ولا يشعر الإنسان بحركة الأرض لأنها تدور به وكل ما حوله وتحت رجليه فلا يتغير أفقه ولا الأماكن التي كانت تحيط به فسهولة دورانها مع تساوى الدورة وانتقال كل شئ بها يجمعل حركة الأرض غيو محسوسة اما الأشياء التي تدور بها معنا فيترأى لنا انها تغير مركزها على الدوام كما لو كنا في مركب يسير محاذيا للساحل فان تحركه بنا وكل ما عليه وشبوت الساحل يجعلنا نتوهم ان الساحل هو المتحرك والمركب ثابت فهذا الناموس عينه هو : الذى جعلنا نرى الأجرام الفلكية متحركة بدون ان نشعر بحركتها الأرض فيتقرر عندنا بمرأى الظاهر ان الحركة لتلك الأجرام اقول وبالله التوفيق : كل هذه المعلومات المتعلقة بالأرض ودورانها وما يشغله الماء منها وطبقاتها وعمرها ودرجات حرارتها اصبح اليوم لكثرة الأدلة عليه والبراهين شبه القطعية من العلم به عند الكثير وليس اكشافه جديدا فقد سبق اليه علماء الاسلام وعلم الفلك كان من اول العلوم التي لقت انظار علماء المسلمين في المشرق وجلبت اهتمامهم وعنايتهم بها ولم يكن الاهتمام بعلم الفلك مقصورا على العلماء المختصين فقط بل ان الكثير من خلفاء المسلمين والاندلس في المغرب وبعض السلاطين السلاجقة وأمثالهم من المنحدرين من سلالة جنكيزخان اصبحوا شديدي الشغف والتعلق بهذا العلم
- (٢)

- (١) الفلك العام ص ١٦ ترجمة الدكتور حلى عبد الرحمن مكتبة النهضة المصرية .
- (٢) المسلمون وعلم الفلك ٢٩ / ٣٧ .

ولقد ظهرت المراصد الفلكية في الإمبراطورية الإسلامية المترامية الأطراف واكتسبت مراصد بغداد والقاهرة وقرطبة وطليطلة وسمرقند شهرة فائقة بقي أثرها مئات السنين وكانت نتائج أبحاثها هي المرجع والمعتمد عند علماء الأفلاك في القديم والحديث ويرجع تاريخ مدرسة الفلك في بغداد إلى خلافة أبي جعفر المنصور العباسي وهو الخليفة الثاني وقد كان هو نفسه عالما في الفلك ولوعا في علم السماء ويتضح لنا من هذا الاستعراض البسيط أن علماء المسلمين أول من اشتغل بعلم الفلك بعد اليونانيين الأقدمين وأول من ألف فيه الكتب والمصنفات الطوال وأول من أهتم اهتماما كبيرا بأنشاء المراصد الفلكية في العالم فهم السابقون في كل علم وخير والحمد لله وهذا يفرضه عليهم واجبتهم الديني والتفكر في خلق هذه الكواكب العجيبة التي خلقها الله (في ستة أيام ثم ستوى على العرش يفتشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العلمين) ولا شك أن الاكتشاف من ذكر السموات والأرض في كتاب الله العزيز يدل على عظم شأنهما وأن له سبحانه وتعالى فيهما أسراراً عظيمة وحكما بالغة فلا تصل الأفهام والمقول إلى معرفة ذلك إلا بتفكير دائم

- (١) وقد تكلمت على بعض عجائب صنعه فيما يتعلق بالأرض أشياء كلامي على الآيات الأرضية والآن ننتقل إلى باقي هذه الآيات الكونية لنرى عجائب صنعه في خلق السموات هذا الغطاء المبسوط بغير عمد وقد سمي الله سبحانه السموات بالسماء تدل على عظم شأنها : سما . وسقفا .

(١) الفخر الرازي ج ٢ ص : ١٠٦ ط (١) .

سورة الماعن الرابع

- (١) محفوظا ، وسبعا طبيا بقا وسبعا شدادا ثم ذكر عاقبة امرها * واذا
 السماء فرجت * واذا السماء كسحت * يوم تمور السماء مورا - فكانت
 وردة كالدخان * وذكر مبدأها في آيتين فقال * ثم استوى السى
 السماء وهي دخان * وقال جل ذكره * أولم ير الذين كفروا ان
 السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما * فهذا الاستقصاء الشديد
 في كيفية حدوثهما وفنائهما يدل على انه سبحانه خلقهما لحكمة
 بالغة كما بين ذلك سبحانه بقوله * وما خلقنا السماء والأرض وما
 بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا * أقول وماله التوفيق : والسماء
 مع هذا قبلة الدعاء فالأيدي ترفع اليها والأوجه تتوجه نحوها وهي
 منزل الأنوار ومحل الصفاء والأضواء والطهارة والمصطفى عن الخسل
 والفساد وقد قدم الله ذكر السموات على الأرض في الآية المذكورة
 الكونية التي نحن بصدد الكلام عليها فقال جل ذكره * ان فسى
 خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى فسى
 البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأهني به
 الأرض بعد موتها هبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
 المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم

يعقلون * ويعرض البعض من العلماء
 تفضيل السماء على الأرض وذلك من أوجه الأول ان الله زينها بسبعة
 أشياء : المصابيح * ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح *

(١) الفخر الرازي ح ٢ ص : ١٠٦ ط (١) .

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٤ .

١ = سورة فصلت الآية ١١

٢ = سورة الانشراح الآية ٢

٣ = سورة داود الآية ٥٧

والقمر - وجعل القمر فيهن نورا * والشمس * وجعل الشمس سراجا *
 والعرش العظيم * والقلم - ن والقلم * والكرسى * وسج
 كرسيه السموات والأرض * واللوح * في لوح محفوظ * اقول والله
 التوضيح : هذه الأشياء التي تقدمت ذكرها الفخر الرازي في تفسيره
 لهذه الآية التي تقدمت آنفاً وتلدى على هذه ملاحظات . أولا :
 ان مسألة تفضيل السماء على الأرض أو العكس لا ينبغي الجزم بشئ
 فيه الا بدليل قطعي وليس عندنا لأن كل ما في الأمر هو ذكر
 السماء ولا شك أن الأرض كذلك ذكرت كثيراً في القرآن العظيم قال
 تعالى * والأرض بعد ذلك راحا أخرج منها ماءها ومرعاها
 والجال أرساها متاعاً لكم ولا ثعامكم * وقال جل ذكره * وهو الذي
 سم الأرض * وقال تعالى * والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة
 والنخل ذات الأكمام * والزينة التي زين الله بها السماء وجعلها
 المفسر من ميزات الفضل فان الأرض كذلك زينت بأثر الطر وما يحدث
 من أخضرار ومياه جارية وعشب ونخل الى غير ذلك من زينة الأرض
 واما الكرسي واللوح - والقلم - فلا يصرف على وجه التحقيق هل في
 السماء أم هم محيطون بهذا الكون - كما قال تعالى * وسج كرسيه
 السموات والأرض * وكذلك القمر فلو كان في السماء لما كان للقول
 بالوصول اليه معنى : وذلك يجعلنا نتأكد من عدم وجوده في السماء
 لأن السماء تطلق في اللغة على كل عال كما قال تعالى * أصلها
 ثابت وفرعها في السماء * أي : في جهة السماء ومع هذا التعليق
 البسيط نتابع الكلام على هذه الآية الكونية لنرى تصرف المالك فسي
 ملكه وكثرة ما سخر للعباد من وسائل الحياة على وجه هذه الأرض من
 جرى الفلك في الماء حيث الدواب وتصريف الرياح ولا شك ان من منحه الله

١ = سور القلم
 ٢ = سور البقرة
 ٣ = سور المائدة

الأنتفاع بحقله يتأكد عند أول وهله ان هذا التصريف والتسخير في
الفلك والبحار والرياح لا يقدر عليه الا من لا يعجزه شيء في الأرض ولا
في السماء وان هذه الأشياء لا بد لها من خالق يتصرف فيها ويدبر
أمرها وان ذلك هو : الله الملك الخلاق الطيب .

(١) يقول ابن جرير الطبري : في الكلام على سبب نزول الآية

التي هي : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل

الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم أنزلها عليه احتجاجا

له على أهل الشرك به من عبدة الأوثان وذلك ان الله تعالى لما

أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وآلهم آله واحد لا آله الا هو ﴾

الرحمن الرحيم ﴿ فتلا ذلك على اصحابه وسمع به المشركون من عبدة

الأوثان قال المشركون : وما الحجة والبرهان على

ما تقولون ونحن ننكر ذلك فانزل الله ﴿ ان في خلق السموات

والأرض واختلاف الليل والنهار ﴿ الآية . احتجاجا لنبيه صلى الله

عليه وسلم على الذين قالوا ما ذكرنا عنهم فهذا يعلمون انه آله

واحد وانه آله كل شيء وخالق كل شيء وقال آخرون بل نزلت هذه

الآية على النبي صلى الله عليه وسلم ليعلمهم فيها ان لهم في خلق

السموات والأرض وسائر ما ذكر مع ذلك آية بينة على وحدانية الله

وانه لا شريك له في ملكه لمن عقل وتدبر ذلك يفهم صحيح وقد

كثرت الأقوال في سبب نزول الآية وعلى آية حال الصواب من القول

في ذلك ان الله تعالى نه عباده على الدلالة على وحدانيته وتفرد

(١) تفسير ابن جرير الطبري ج ٢ ص : ٦١ ط (٢) .

(٢) نفس المصدر السابق ج ٢ ص : ٦٤ ، ٦٥ ط (٣) .

بالألوهية دون كل ما سواه من الأشياء بهذه الآية وجائز ان تكون
نزلت فيما قاله عطاء وفيما قاله سعيد بن جبير وابو الضحى ويرى
ابن جرير أن لا خبر ~~منه~~ الصحيح قول أحد الفريقين .

ومعنى خلق الله الأشياء :
ابتداعه وإيجادها أيها بعد ان لم تكن موجودة واختلاف الليل والنهار
يعني : تعاقبهما وإنما الاختلاف في هذا الموضع هو : الأتصال
من خلوف كل واحد منهما الآخر كما قال تعالى * ~~وهو~~

(١) الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد ان يذكر أو اراد شكورا *
بمعنى ان كل واحد منهما يخلف مكان صاحبه اذا ذهب هذا الليل
جاء النهار بعده - واذا ذهب النهار جاء الليل خلفه ومن ذلك
قيل خلف فلان فلانا فى أهله بسوء ومنه قول زهير : -

بها العيون والأرام يسمين خلفه * * * وأطلوها ينهضن من كل مجثم .
والليل جمع ليلة نظير التمر جمع ثمرة وقد يجمع ليال فيزيدون فسق
جمعها طالم يكن فى واحدتها - واما النهار فان العرب لا تكسب
تجمعه لأنه بمنزلة الضوء وقد سمع فى جمعه : النهار - ولو قيل فسق
جمع قليله " أنهرة " كان قياسا ..

(٢) وأية السموات ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها ودل
ذلك على القدرة وخرق المادة وقد اوردت بعض أدلته ما تقدم
ومن هذه الآيات الباهرة التى نحن بصددها : الفلك التى
تجرى فى البحر بما ينفع الناس قال القرطبي : الفلك : السفن

(١) سورة الفرقان الآية : ٦٢ .

(٢) تفسير القرطبي ج ٢ ص : ١٩٤ .

وافراده وجمعه بلفظ واحد ويذكر فيوئث وليست الحركات في المفرد
تلك بأعيانها في الجمع بل كأنه بنى الجمع بناء آخر يدل على ذلك
توسط التثنية في قولهم فلان والفلك المفرد مذكر قال تعالى ﴿ في
الفلك المشحون ﴾ فجاء به مذكرا وقال " والفلك التي تجري فتسى
البحر فجاء به موثقا ويحتمل واحدا وجمعا قال تعالى ﴿ حتى اذا

كتم في الفلك وجريين بهم بريح طيبة ﴾ فجمع فكأنه يذهب بهما
اذا كانت واحدة الى المركب فيذكر والى السفينة فيوئث وقيل واحدة
فلك أسعثل أسد وأسد وخشب وخشب وأصله من الدوران ومنه فلك
السما التي تدور عليه النجوم وسميت السفينة فلكا لأنها تدور بالماء
أ سهل دوران ووجه الآية في الفلك تسخير الله اياها حتى تجري
على وجه الماء ووقوفها فوقه مع ثقلها وأول من عملها : نوح عليه
السلام وقد استدل القرطبي بهذه الآية على جواز ركوب البحر
مطلقا لتجارة او عبادة كالحج والجهاد ومن السنه حديث أبي هريرة
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء - الحديث - وحديث
أنس بن مالك في قصة أم هانئ أخرجهما الأئمة مالك وغيره . أقول
والله التوفيق : الحديث الذي اشار القرطبي الى جزء منه هنا
جاء بتمامه في كثير من كتب السنه وهذا نص من أبي
هريرة رضي الله عنه . قال : سأل رجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله . انا نركب البحر ونحمل معنا

(١)

(١) القرطبي ج ٢ ص ١٦٤ دار الكتب المصرية ط ١٣٧٢ هـ .

١ - سورة يونس الآية ٢٤

٢ - المحرط ص ١٧٧ والسائد في المرام ص ١١١ - ١

٣ - صحيح البخاري ص ٤٩٩ ط دار المعرفه بيروت

القليل من الماء فان توضحنا به عطشنا أفتوضأ بماء البحر ففسال
رسول الله صلى الله عليه وسلم * وهو الظهور ماوه (الكل ميتة) رواه
الخسة وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح الحديث أخرجه
أيضا ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما وابن الجارودى فى المنتقى
والحاكم فى المستدرک والدارقطنى والبيهقى فى سننهما ..

(١) وابن أبى شيبة وحكى الترمذى عن البخارى تصحيحه وتمحيه ابن عبد
البر بأنه لو كان صحيحا عنده لأخرجه فى صحيحه ورده الحافظ
وابن دقيق العيد بأنه لم يلتزم الاستماع ثم حكم ابن عبد البر مع
ذلك بصحته لتلقى العلماء له بالقبول فردّه من حيث الأسناد وقبله
من حيث المعنى . أقول والله التوفيق الحديث صحيح مقبول عند
العلماء مع ان فيه علل كثيرة منها الجهالة سعيد بن سلمة - والمغيرة
بن أبى بردة المذكورين فى أسناده لأنه لم يرو عن الأول الا صفوان
بن سليم ولم يرو عن الثاني الا سعيد ابن سلمة وفيه أيضا اختلاف
فى اسم سعيد بن سلمة وعلل أيضا بالأرسال لأن يحيى بن سعيد
أرسله والأضطراب وقد لخص الحافظ ما قيل فيه فقال ما حاصله
ومداره على صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة عن المغيرة بن أبى
بردة عن أبى هريرة قال الشافعى : فى اسناد هذا الحديث من
لا أعرفه ، قال البيهقى : يحتمل انه يريد سعيد بن سلمة أو
المغيرة أو كليهما ولم ينفرد به سعيد عن المغيرة فقد روى عنه
يحيى بن سعيد الأنصارى الا أنه اختلف عليه فيه والمراد عندى

هنا اعطاء نبذة عن هذا الحديث لكونه عن في الموضوع وليس فيه خروجاً عن المطلب الذي نحن فيه فان العلماء ذكروه في هذه الآية عند الكلام على تفسيرها كما بينت قريباً عن القرطبي في استنتاجه لجواز ركوب البحر مطلقاً من الآية وعند ما أوردت الحديث كما فعل المفسرون كان ضرورياً اظهارها فيه من ناحيتي السند والمن وقد حاولت عدم الأسهاب والله الموفق والهادي الى سبيل الرشاد

(١) وقد ذكر القرطبي بصيغة التمريض انه روى متعركوب البحر عن عمر رضي الله عنه

وكذلك عمر بن عبد العزيز - والقرآن والسنة يردان هذا القول ولو كان ركوبه يكره اولا يجوز لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه الذين قالوا له انا نركب البحر ومعروف في الأصول انه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة وهذه الآية وما كان مثلها نص في الغرض واليه المرجع فيه وقد تواءم ما روى عن العمرين في ذلك بأن ذلك محمول على الاحتياط وترك التقرير في طلب الدنيا والاستكثار منها وأما في أدلة الفرائض فلا وما يدل على جواز ركوبه من جهة المعنى ان الله سبحانه ضرب البحر وسط الأرض وجعل الخلق في المدوتين وقسم المنافع بين الجهتين فلا يوصل الى جلبها الا بشق البحر لها فسهل الله سبيله بالغفك قال ابن العربي : قال ابو عمر وقد كان مالك يكره للمرأة الركوب للحج في البحر ..

(١) تفسير القرطبي ج ٢ = ١٩٥ / ١٩٦ .

(٢) المدوة = شاطئ الوادي .

وهو للجهاد لذلك اكره القرآن والسنة يرد ان قوله لأن بعض اصحابنا من أهل البصرة قال : انما كره مالك ذلك لأن السفن بالبحر من صغار وان النساء لا يقدرن على الاستتار عند الخلاء فيها لضيقها وتزاحم الناس فيها وكان الطريق من المدينة الى مكة في البحر ممكنا فلذلك كره مالك ذلك وأما السفن الكبار نحو سفن أهل البصرة فليس بذلك بأس قال والأصل ان الحج على كل من استطاع اليه سبيلا من الأحرار البالغين نساء كانوا أو رجالا اذا كان الأغلب من الطريق الأمن ولم يخص بحرا من بر قال ابو عبد الله : قلت : دل الكتاب والسنة والمعنى على اباحة ركوبه للمعنيين جميعا العبادة والتجارة فهي الحجة وفيها الأسوة الا أن الناس في ركوب البحر تختلف أحوالهم قرب راكب يسهل عليه ذلك ولا يشق وآخر يشق ويضيق عليه كصاحب العيد المفرط ومن لم يقدر معه على اداء فرائض الصلاة

(١) ونحوها من الفرائض فالأول ذلك له جائز - والثاني يحرم عليه ويمنع منه ولا خلاف بين أهل العلم ان البحر اذا هاج وارتج لم يجز ركوبه لأحد بوجه من لوجه في حين ارتجاجه ولا في الزمن الذي الاغلب فيه عدم السلامة وانما يجوز عندهم ركوبه في زمن تكون السلامة فيه الأغلب فان الذين يركبونه حال السلامة وينجون لا حصر لهم والذين يهلكون فيه معصرون وأرى انه لا داعي للخلاف في ركوبه بمد ان تقدمت الناس وتقلبت على أخطاره قوله تعالى في هذه الآية * بما ينفع الناس * أي : بالذي ينفعهم من التجارات وسائر المسارب

التي تصلح بها أحوالهم ويروكوب البحر تكتسب الأرباح وينتفع من
يحمل اليه العتاع أيضا هذا قول أبي عبد الله القرطبي

تفسيره ، وقال ابن جرير الطبري في تفسيره
(١) قوله تعالى : * بما ينفع الناس * فجعل المعنى

ما ينفع الناس في البحر قال في روح المعاني في الكلام على تفسير
جرى الفلك في البحر ومختلف جرياتها شرقا وغربا على حسب تسليك
المقادير الإلهية لها في هاتيك المسالك وقال في قوله تعالى * بما
ينفع الناس * وهو : انزال المطر ونشر ما كان دفيناً في الأرض
بالأحياء وفي ذلك النفع التام والفضل العام أقول والله التوفيق
بعد ان بينت أقوال العلماء في هذه الآية بقي على بيان كيفية
الاستدلال بجريان الفلك في البحر على وجود الله وهي كما قال :
الفخر الرازي من أوجه :

(٢) أحدها : ان السفن وان كانت من تركيب الناس الا أنه تعالى هو
الذي خلق الآلات التي بها يمكن تركيب السفن فلولا خلقه لها لما
أمكن ذلك وكذلك بفضل الله سخر الرياح فصارت عوناً لنا على تحريكها
ليتكامل النفع بها . وثانياً قوى سبحانه قلوب الناس لركوبها ولو خاف
الإنسان وضعف قلبه ما ركبها . عندئذ فلا توجد فيها المصلحة
الحاصلة الآن للمباد وقوام أمر منافعهم وتجارتهم . وثالثاً انه خص
كل طرف من أطراف العالم بشيء معين واحوج الكل الى الكل فصار
ذلك داعياً يدعوهم الى اقتحامهم هذه الأخطار في هذه الأسفار

(١) تفسير الطبري ج ٢ ص : ٦٤ ط (٣) .

(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٤ ص : ٢٢٢ .

ولولا أنه سبحانه خص كل طرف بشيء وأحوج الكسوف إليه
 لما ركبوا هذه السفن فالحامل ينتفع به لأنه يريح والمحمول إليه
 (١) ينتفع بما حمل إليه . رابعا : تسخير الله للبحر لحمل الفلك مع
 قوة سلطان البحر إذا هاج وعظم الهول فيه إذا أرسل الله الرياح
 فأضطربت أمواجه وتقلبت مياهه أقول والله التوفيق يكفينا هنا ما في
 البحار من الحيوانات العظيمة ثم إن الله تعالى يحفظ السفن عنها
 ويخلصها إلى شواطئ النجات والسلامة وكذلك ما في البحار من
 هذا الأمر العجيب وهو قوله تعالى :

(٢) * مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان * وقال : هذا عذب
 فوات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج) ثم إن الله تعالى بقدرته يحفظ
 البعض عن الاختلاط ببعض وكل ذلك مما يرشد العقول السليمة
 إلى الاقتدار الشديد إلى مدير يدير أمرها وقادر يحفظها ويرى
 الفخر الرازي على أن قوله تعالى * بما ينفع الناس * دال على إباحة
 ركوبها وعلى إباحة الاكتساب والتجارة والانتفاع بالذات ومعنى ذلك
 عنده أنه وصف للسفينة ومعد أن قدمت الكلام على جرى الفلك في
 البحر وسيرها بما ينفع الناس وبينت أقوال العلماء المفسرين في هذا
 الموضوع ننتقل إلى النقطة الأخرى وهي : انزال المطر من السماء
 لنرى عجائب أخرى تجبر صاحب العقل السليم على الخوف من الحي
 القيوم الذي خلق الكون على هذا النظام الدقيق المحكم الذي
 لا يقدر قدره وصدق الله العظيم * وما قدروا الله حق قدره * قوله

(١) الفخر الرازي ج ٤ ص ٢٢٢ ط (١) .

(٢) سورة الرحمن الآية : ١٨ .

تعالى * وما انزل الله من السماء من ماء فأحيي به الأرض بمقدار
موتها * أعلم ان دلالة المطر وانزالة على قدره الله ووجوده تعالى
من وجوه احدها ان تلك الأجسام وما قام بها من صفات الرقصة
والرطوبة والمعدومة لا يقدر أحد على خلقها الا الله تعالى .

(١) قال تعالى : * قل ارايتم ان أصبح ماؤكم

غورا فمن يأتكم بماء معين * وثانياً انه تعالى جعله سبباً لحياء
الإنسان وتوقف سيل الحياة مع عدم وجوده قال تعالى * وجعلنا من
الماء كل شيء * وقال تعالى مذكراً

(٢) عباده بنعمة انزال المطر * أفرايتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه

من المزن ام نحن المنزلون * والماء كما انه سبب لحياء الإنسان
سبب لرزقه كذلك قال تعالى * وفي السماء رزقكم وما توعدون * ثالثاً
ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأودية
العظام تبقى معلقة في جو السماء وذلك من الآيات العظام . رابعاً
ان نزولها عند التضرع واحتياج الخلق اليه مقدر بمقدار النقع وذلك
من الآيات العظام أيضاً مع انه يؤمر بالتوجه الى البلاد الميتة قال
تعالى * فسقاه الى بلد ميت * وما تكسي به الأرض من زينه بمقدار
نزول المطر أية اخرى قال جل ذكره * فاذا انزلنا عليها الماء

(٣) اهتزت ورمت وانبتت من كل زوج بهيج * يقول السيد قطب كل

هذه مشاهد لوعاد الإنسان تأملها لما يوحى القرآن للقلب المؤمن

(١) سورة الملك الآية : ٣٠ .

(٢) الفخر الرازي ح ٤ ص ٢٢٢ ط (١) .

(٣) في ظلال القرآن ح ٢ ص ٥١ ط (١) .

بمعين مفتوحة وقلب واع لرجف كيانه من عظمه القدره ورحمتها هذه الحياة التي تدب في الأرض من أين جاءت ؟ كانت كامنه في الحبة والنواة ولكن من أين جاءت الى الحبة والنواة ؟ أصلها ؟ مصدرها الأول انه لا جدوى للهرب من مواجهته هذا السؤال الذي يلج على الفطرة قال أبو حيان : كفى بالأحياء عن سرعه ظهور ما أودع فيها من النبات والموت عن استقراره فيها وعدم ظهوره وهما كئيتان غريبتان لأن ما برز فيها بالمطر يجعل تعالى فيه القوة الغذائية والنامية والحركة وما لم يظهر ، فهو كامن فيها كأنه

(١) دفن فيها وهي له قبر قال السيد قطب لقد حاول الملحدون -

تجاهها هذا السؤال الذي لا جواب عليه الا وجود خالق قادر على اعطاء الحياة للموت وحاولو طويلا أن يوهمو الناس أنهم في طريقهم الى انشاء الحياة بلا حاجة الى آله ثم أخيرا اذا هم في أرض الألحاد والجاهد الكافرينتهون الى نفخ أيديهم والأقرار بما يكرهون : استحالة خلق الحياة وأعلم علماء

(٢) روسيا في موضوع الحياة هو الذي يقول هذا الآن : ومن قبل

راغ دارون صاحب نظرية النشوء والأرتقاء من مواهب هذا السؤال

(٢) وقد تعرض الفخر الرازي لحياة الأرض ونزول

المطر بشيء من التفصيل والورد على بعض ما قد يرد من التساؤلات حول نزول المطر فقال : فان قيل أفتقولون ان الماء ينزل من السماء على الحقيقة أو من السحاب أو تجوزون ما

(١) البحر المحيط لابي حيان ج ١ ص ٤٦٥ .

(٢) في ظلال القرآن ج ٢ ص ٥١ .

(٣) الفخر الرازي ج ٤ ص ٢٢٣ ط (١) .

قاله بعضهم من أن الشمس تؤثر في الأرض فيخرج منها ابخرة متصاعدة فإذا وصلت إلى الجو البارد بردت فثقلت فنزلت من فضاء المحيط إلى ضيق المركز فاتصلت فتولدت من اتصال بعض تلك الذرات ببعض قطرات المطر قلنا بل نقول انه ينزل من السماء كما ذكره الله تعالى وهو الصادق في خبره وإذا كان قادرا على إمساكها في السحاب فأى بعد أن يحسكه في السماء أقول والله التوفيق : لاشك ان المطر ينزل من السماء والسماء في اللغة لا تطلق على السقف المحفوظ فقط بل تطلق على كل عال فوقنا وقد قدمت بعض الأدلة على هذه النقطة من ضمنها قوله تعالى ﴿ أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ * أى : في جهة السماء وسواء كان المطر في السماء وأمسكه الله فلا غرابة في الموضوع فإله سبحانه هو الذى يحسك السماء أن تقع على الأرض * والطير في السماء ما يسكنهن إلا الله * والذى يهنا هو الأتعاظ بنزوله وتكوينه .

أما كيف ينزل وكيف يتكون وكيف يرتفع وينخفض فهذا شيء

(١) ليس فيه كبير فائدة فوق الأتعاظ وهو حاصل لمن نور الله قلبه بدون معرفة تلك الأسباب الخفية العائدة إلى قدرته تعالى قال ابن جرير : قوله تعالى ﴿ وما أنزل الله من السماء من ماء ﴾ * يعنى به الأمطار التى بها انعاش العالم وإخراج النبات والأرزاق وجعل منه المخزون عدة للانتفاع في غير وقت نزول المطر ونحن نسلم ان المطر هو البخار المتصاعد ولا يقدح ذلك في قدرة الله الذى وضع السنن ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحيلا قال أبو حيان في البحر ..

- (١) عند تفسيره للآية التي نتكلم عليها حالياً قوله : * وما أنزل الله من السماء من ماء * ، أى : من جهة السماء من الأولى لا ابتداء الغاية يتعلق بأنزل وفي أنزل ضمير نصب عائد على ماء ، أى : والذي أنزله الله من السماء ، ومن الثانية مع ما يحددها بدل من قوله : * من السماء بدل احتمال فهو على نية تكرار العامل أو لبيان الجنس عند من يثبت ذلك أى : يثبت لها هذا المعنى . أو للتبميز ، ويتعلق بأنزل ولا يقال كيف تتعلق بأنزل من الأولى والثانية لأن معناهما مختلفان وقال محمود الألوسي في تفسيره روح المعاني : المراد من السماء جهة العلو ، ويرى محمود الألوسي ان من الثانية بيانية وجوز أن تكون تبميزية وان تكون بدلا من الأولى ، أقول وبالله التوفيق : سواء جعلنا من للتبميز أو البيان أو البدل ، فالأمر واضح من سياق الآية وما فيها من امتنان على المبدأ بهذه الرحمة ، ولا داعي للاطالة في الخلافات النحوية اذا لم تكن مبنية على تقدير محذوف يزيد المعنى ويقربه للفهم اذا كانت فيه صموية . والله أعلم .
- وأنتقل الى النقطة الأخرى من هذه الآية التي هي : احياء
- (٢) الأرض وبت الدواب فيها ، قوله تعالى : * وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبت فيها من كل دابة * الآية قد قدمت الكلام على جرى الفلك وما في ذلك من المنافع وانزال المطر وما استنتجته الملائكة من أحكام فيما مر من الآية والمجائب الكامنة في خلق هذا الكون ،

(١) تفسير البحر المحيط : ٤٦٥/١ ، ابو حيان .

(٢) روح المعاني : ١/٢ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٦٤ .

- والآن نتكلم على كيفية احياء الأرض بعد المطر وبعث الدواب
- (١) وما هي هذه الدواب من خلال ما تطلبه الآية الكريمة ، قال الفخر الرازي :
- اعلم ان هذه الحياة من جهات أحداها ظهور النبات الذي هو الكسلا
والعشب وما شاكلهما ما لولاه لما عاشت دواب الأرض ، وثانيها : انه لولاه
لما حصلت الأقوات للعبان ، وثالثها : انه تعالى ينبت كل شي * بقدر
الحاجة لأنه تعالى ضمن أرزاق الحيوانات بقوله تعالى : * وما من دابة
في الأرض الا على الله رزقها * . ورابعها : انه يوجد فيه من الألوان
(٢) والطعم والروائح ما يصلح لكل الدواب وما يصلح للطلاب لأن ذلك كله مما
لا يقدر عليه الا الله سبحانه . وخامسها : انه يحصل للأرض سبب النبات
حسن ونضرة ، ورونق فذلك هو : الحياة ، ووصفه سبحانه ذلك بالأحياء
بعد الموت مجازا لأن الحياة لا تنح الا على من يدرك ويصح أن يعلم .
وكذلك الموت الا أن الجسم اذا صار حيا حصل فيه أنواع من الحسن والنضرة
والبهاء والنشو ، والنماء ، فأطلق لفظ الحياة على حصول هذه الأشياء
وهذا من فصيح الكلام الذي على اختصاره يجمع المعاني الكثيرة . أقول وبالله
التوفيق : لا شك ان احياء الأرض بهذه الكيفية يدل على الصانع دالة
لا شك بعدها لأن نفس الزرع لا يقدر احد على اخراجه ولا يعرف أحد
المدة التي يخرج عليها ولا القدر الذي يخرج به من الأرض وكذلك الحجم
الذي يخرج به هذا بالإضافة الى اختلاف الألوان والطعم ، والحجم ،
(٣) والرطوبة ، والنيوسة والنموعة الى غير ذلك مما لا يحصى العادون ، ومنع

(١) الفخر الرازي : ٢٢٤/٤ .

(٢) المصدر السابق : ٤/٤ .

(٣) تفسير الطبري : ٦٤/٢ .

انه سبحانه سخر لنا الأرض تثبت هذه الأشياء كذلك سخر لنا ما عليها من أنعام فيها لنا مطامع ومأكّل ومنها جمال ومراكب ، وأثاث وملابس ويرى ابن جرير ان هذا هو : " معنى وث فيها من كل دابة " كما يرى ان احياء الأرض عمارتها لأن موتها غرابها ودثور عماراتها ، وانقطاع نباتها الذي هو : للعمارة أقوات وللأنام أرزاق ، وقال محمود الألوسي : في قوله : " فأحيا به الأرض بعد موتها " قال بتهييح قواها النامية واظهار ما أودع فيها من أنواع النبات والأزهار والاشجار " بعد موتها " وعدم ظهور ذلك فيها لاستيلاء اليوسة عليها جسما تقتضيه طبيعتها ،

أقول وبالله التوفيق : هذه الأشياء كلها خارقة للعادة والنية على قدرة الله تعالى جملنا الله من المنتقمين بها وأسلوب هذا الذكر الحكم الواقفين عند أوامره وزواجره - وانتقل الى النقطة الأخرى - بحث الدواب وتصريف الرياح كما أملت الآية ، قوله تعالى : * وث فيها من كل دابة * ..

البت : معناه : فرق وسط .

والدابة : تجمع الحيوان كله .

قال الفخر الرازي في الكلام على هذه الفقرة من الآية * بث فيها من كل دابة * نظيره جمع الآيات الدالة على خلق الانسان وسائر الحيوانات لقوله تعالى : * وث منها رجلا كثيرا ونساء * .

(١) روح المعاني : ٣٢/٢ .

(٢) جواهر الحسان في تفسير القرآن : ١٢٦/١ .

(٣) الفخر الرازي : ٦٤/٤ .

(١) قال محمود شكرى الألوسى : " بث فيها من كل دابة " عطف اما على
 " أنزل " ، والجامع كون كل منهما آية مستقلة لوحدها لله تعالى وهو :
 الفرض المسوق له الكلام مع الاشتراك في الفاعل ، و " أحيا " من تنمة الأول
 كان الاستدلال بالأنزال المسبب عنه الإحيا . فلا يكون الفصل به مانعا
 للعطف ، أما على أحيا ، فتدخل تحت فاء السببية ، وسببية أنزال الماء
 للبث باعتبار أن الماء سبب حياة الماشي والدواب - والبث فرع الحياة ولا
 يحتاج الى تقدير الضمير للربط لاغناء فاء السببية عنه في المشهور ، وقيل
 يحتاج الى تقدير به ، أى : بالماء " ليشعر بارتباطه " بأنزل " استقلالا
 كأحيا ، وفاء السببية لا تكفي في ذلك ان يجوز أن يكون السبب مجموعهما
 وحديث ان المجرور انما يحذف ان جرد الوصول بمثله اكثرى لا كلي - ومن
 بىانية على التقدير الأول على الصحيح والبراد من كل دابة " كل نوع من
 الدواب . ويرى الفخر ان معنى بثها : تكثيرها بالتوالد - والتولد ،
 فلا استدلال بتكثير كل نوع ما يدب على الأرض وعدم انحصاره في البعض - وقيل :
 تمييزية لأن الله تعالى لم يبت الا بعض الدواب بالنسبة لما في قدرته على
 انه أثبت الزمخشري الدواب في السماء أيضا في سورة " حم عق " واذ اكن
 أعطيت نبرة عن البث وقلت : ان معنى بث : فرق ونشر ومنه قوله :

(٢)

* كلفراش الميثوث * فانه لا بد من التعرض لمعرفة معنى " من كسل
 دابة " ، قال ابو عبد الله القرطبي : دابة تجمع الحيوان كله وقد أخرج
 بعض الناس الطير وهو : مردود قال تعالى : * وما من دابة في الأرض الا
 على الله رزقها * فان الطير يدب على رجله في بعض حالاته قال

(١) تفسير الألوسى : ٣٢/٢ .

(٢) روح المعاني : ٣٢/٢ .

(١) الأعشى : " دبيب قطا البطحا* في كل منهل " وقال علقمة : صواعقها

الطير هن دبيب " ، قال ابو جعفر محمد بن جرير الطبري : قوله :

* بث فيها * فرق فيها من قول القائل " بث الأمير سراياه " ،

يعني : فرق ، والنهاء والألف في قوله " فيها " عائدتان على الأرض ،

والدابة الفاعلة من قول القائل : " دبت الدابة تدب دببها فهي دابسة

والدابة اسم لكل ذي روح كان غير طائر ، بجناحيه ، لدببيه على الأرض .

أقول وبالله التوفيق : الطير وان كان يطير فان مصيره ومرجه

وسكنه وقوته في الأرض فلا يخرج الطيران بعض الأوقات من اطلاق الدابة

عليه كما أشار له القرطبي وهو الصحيح الذي لا يهتفي المدول عنه والله

أعلم ، واخراج الطبري له هنا من لفظ الدابة لطيرانه نظرا لقوله تعالى :

* وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أم امثالكم * ،

فاقتضى المطف المفارقة عنده مع قوله * وما من دابة في الأرض الا وعلى

الله رزقها * وقد قتت هذا النص قربها مستدلا به القرطبي على ان الطير (٢)

داخل في لفظ الدابة وظاهر هذه الآية المصوم ومعناها الخصوص لأن

كثيرا من الدواب هلك قبل أن يرزق ، وقيل عامة في كل دابة ، وكل دابة

لم ترزق رزقا تميش به فقد رزقت روحها ، وخلص القرطبي هنا الى ان الدابة

كل ما يدب وحقيقة الرزق كل ما يتغذى به الحي ويكون فيه بقاء روحه ونسائه

جسده ، والمراد عندي هنا ان الدابة داخل فيها الطير والرزق يشمل

الروح والله أعلم بمراده .

(١) تفسير القرطبي : ٩٦/٢ .

(٢) تفسير القرطبي : ٦/٩ .

- وبعد أن رأينا مارأينا من أقوال العلماء في الفقرات التي صرت
آنفا تنتقل الى الفقرة الأخيرة ، وهي : تصريف الرياح والسحاب
المسخر بين السماء والأرض من الآيات العظام الدالة على قدرة الله تعالى
(١) في تصريف الرياح وذلك أنها مخلوقة على وجه يقبل التصريف وهو : الرقة
واللطافة ، ثم أنه سبحانه يصرفها على وجه يقع به النفع العظيم للإنسان
والحيوان والنبات ، قال الفخر الرازي في تعداد هذه النفع : وذلك
من وجوه أحدها : أنها مادة النفس الذي لو انقطع ساعة عن الحيوان
لمات . وقيل فيه أن كل ما كانت الحاجة إليه أشد كان وجدانه أسهل ،
ولما كان احتياج الإنسان الى الهواء أعظم الحاجات حتى لو انقطع عنه لحظة
لمات لاجرم كان وجدانه أسهل من وجدان كل شيء . وبعد الهواء الماء
فإن الآلات المهيأة لجذبه حاضرة أبدا ، وبعد أدلة كثيرة أثبت الفخر أن
(٢) كل ما كان الاحتياج إليه أشد كان وجدانه أسهل وكل ما كان الاحتياج إليه
أقل كان وجدانه أصعب ، وماذا لا رحمة منه على العباد . وتصريف
الرياح إرسالها عقيمة وطقحة وصرا ونصرا ، وهلاكا وحارة وباردة ، ولينة
وعاصفة ، وقيل تصريفها - إرسالها جنوبا وشمالا ودبرا ، وصبا ونكبا
وهي : التي تأتي بين مهبلي ، وقيل تصريفها أن تأتي السفن
الكبار بقدر ماتحطها والصفار كذلك ، .

أقول وبالله التوفيق : تصريفها صالح لهذه الأمور كلها لأن الله

سبحانه هو الذي يصرفها من الجنوب للشمال ومن الشرق للغرب وكذلك هو الذي
يرسلها للبواخر بقدر الحاجة والإنسان والدواب فلا غنى لشيء
مخلوق عنها وهي إذا اشتدت ضرت وإذا ضعفت ضرت والقدر

(١) الفخر الرازي : ٢٢٦/٢

(٢) القرطبي : ١٩٦/٢

- (١) والقدر المختار هو الذي يأتي به المميز الجبار ، وقد جاءت في القرآن مفردة ومجموعة وقد تعرض العلماء لكيفية ذلك الافراد والجمع وبالأخص القراء الحفاظ ، فالحافظ ابن كثير قرأ الرياح على الجمع في خمسة مواضع : ههنا ، أى : في هذه الآية رقم " ١٦٤ " من سورة البقرة ، وفي الحجر قوله تعالى * وأرسلنا الرياح لواقح * وفي الكهف آية " ٢٦ " * تذروه الرياح * وفي الروم : آية " ٤٦ " * الرياح * وفي الجاثية آية " ٤ " * وتصريف الرياح * وقرأ باقي القرآن الريح " وقرأ أبو جعفر الرياح " في خمسة عشر موضعا وتابعه نافع الا في السبحان - ورياح سليمان " الأنبياء " ٨١ ، وشجرة الخلاف ان من جمع فكل ريح تساوى أختها في الدلالة على التوحيد والنفع ومن وحد أراد الجنس لأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح ومن جمع مع الرحمة ووحد مع العذاب فانه فعل ذلك اعتبارا بالأغلب في القرآن ، والرياح جمع ، قال أبو علي : الريح اسم على فعل والعين منه واوا تقلبت في الواحد الكسرة ياء فانه في الجمع القليل أرواح وذلك لأنه لاشي فيه يوجب الاعلال ألا ترى أن سكون الراء لا يوجب الاعلال كالواو في قوم - وقول - وفي الجمع الكثير - ورياح أنقلبت الواويا للكسرة التي قبلها نحو : ديمة وديم - وحيلة وحيل ، قال ابن الانباري : انما سميت الريح ريحا لان الغالب عليها في هيئتها المجيء بالروح والراحة ، وانقطاع هبوبها يكسب الكسرب والقم فهي مأخوذة من الروح ، والدليل على أن أصلها الواو قولهم في
- (٢)
- (٣)
- (٤)

-
- (١) زاد المسير في علم التفسير : ١ / ١٦٨ - ١٦٩ .
- (٢) زاد المسير في علم التفسير : ١ / ١٦٩ ط : اولى .
- (٣) تفسير الفخر الرازي : ٤ / ٢٢٧ .
- (٤) تفسير الكشاف : ١ / ٢٤٢ .

- (١) الجمع أرواح ، وهى آية حال تصريف الرياح في مهابها آية عظيمة لمن تفكر أو تدبر عظم الرياح وخفتها وقوتها مع ذلك فلا يتحكم في مثل هذا سوى الله الواحد القهار ، قال أبو حيان في البحر : وقد تكلموا في أنواع الريح واشتقاق أسمائها وفي طبائعها وفيما جاء فيها من الآثار وفيما قيل فيها من الشعر وليس ذلك من غرضنا . والريح جسم لطيف شفاف غير مرئي ومن آياته ما جعل الله فيه من القوة التي تقفع الأشجار وتعفي الآثار وتهدم الديار وتهلك الكفار ، ومع هذا فوائدها لا تحصى منها تربية الزرع وتنميتها واشتدادها بها ، وسوق السحاب إلى البلد الساحل ، وجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب إلا في يونس في قوله تعالى :
* وجرين بهم بريح طيبة * وقد ورد في الحديث " اللهم اجعلها ريحا ولا تجعلها ريحا " قال ابن عطية لأن ريح العذاب شديدة ملتزمة الأجزاء كأنها جسم واحد وريح الرحمة لينة متقطعة فلذلك هي :
(٢) رياح وهو معنى ينشر وأفردت مع الفلك لأن ريح اجراء السفن إنما هي واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب ،
أقول وبالله التوفيق : قد قدمت قريبا ان من قرأ بـالتوحيـد اراد الجنس وهنا نضيف انها كقراءة الجمع ، والرياح في موضع رفع فيكون التعريف مصدرا مضافا للفاعل أى : وتصريف الرياح السحاب أو غيرهما مما لها فيه - تأشير بأن الله ويحتمل أن يكون في موضع نصب فيكون المصدر في المعنى مضافا إلى الفاعل وفي اللفظ مضافا إلى المفعول ، أى : وتصريف

(١) البحر المحيط : ١٠٧/١

(٢) البحر المحيط لأبي حيان : ٢٦٧/١ ، زاد المسير في علم

التفسير : ١٦٩/١

(٣) تفسير الفخر الرازي : ٢٢٧/٤

- (١) وتصريف الله الرياح ، قال القرطبي : الرياح جمع ريح سميت به لأنها تأتي بالروح غالبا ، روى أبو داود عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالمذاب فاذا أريتموها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها " (٢)
- ١- روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن والمعنى ان الله تعالى جعل فيها التفریح والتنفيس والترويح ، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور ويعترض ابن جرير على من يرى أن معنى " تصريف الرياح " انها تأتي جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا ، كما قد منا . ومن يرى هذا المعنى يقول : وذلك تصريفها ثم يقول ابن جرير : وهذه الصفة التي وصف الرياح بها صفة تصرفها لا صفة تصريفها لأن تصريفها تصريف الله لها ، وتصرفها : اختلاف هبوبها وقد يجوز أن يكون معنى قوله : " وتصريف الرياح " تصريف الله هبوب الرياح باختلاف مهابها .
- أقول وبالله التوفيق : كل هذه المعاني قد قدمت انه واقـع ولا مانع منه وتـمـتـوفـر في الرياح فهي تهب من جميع الجهات وتأتي حارة وباردة ورحمة وعذابا فكل المعاني موجود فيها والله أعلم بمراده . (٣)

(١) تفسير القرطبي : ١٩٧/٢ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند وابن ماجه عن أبي هريرة وقال المناوي :

انه صحيح ، ورواه الشافعي في مسنده ص (٤٧) باسناد صحيح

مشكات المصابيح : ١٠/١ .

(٣) ابن جرير الطبري : ٦٤/٢ - ٦٥ .

المستدرک ص ٩٧٩

ص ١٧١ ، ٩٤٣ عبد البر طبع

- وأنتقل الى النقطة الأخيرة من الآية الكريمة ، قوله تعالى :
- * والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون * ، السحاب جمع سحابة ، يدل على ذلك قوله : * وينشي السحاب الثقال * فوجد المسخر وذكره كخلة - ونخل وتمرة وتمر - وانما قيل للسحاب سحاب لجر بعضه بعضا وسحبه ايما من قول القائل : مرفلان يجر ذيله :
- (١) يعني : يسحبه ، وقيل : سمي السحاب سحابا لانسحابه في الهواء ، ومعنى التسخير : التدليل ، وانما سمي مسخرا لأوجه : أحدها : ان طبع الماء ثقيل يقتضي النزول فكان بقاءه في جو الهواء على خلاف الطبع فلا بد من قاهر يقهره على ذلك فلذلك سماه بالمسخر .
- الثاني : ان هذا السحاب لو دام لعظم ضرره من حيث انه يستر ضوء الشمس ، ويتراكم الامطار يغمر الماء الأرض فلا يصلح حرث ولا نبات ، ولو انقطع لعظم ضرره أيضا لأن ذلك يؤدى الى القحط وقلة العشب فكان تقديره بالمقدار المعلوم ، هو المصلحة ، قال جمال الدين في كتابه : زاد المسير : في الكلام على الآية وهي قوله : * والسحاب المسخر بين السماء والأرض * ، المسخر : المذل ، والآية فيه من اربعة أوجه ، ابتداء تكوينه ، وانتهاء تلاشيهِ ، وقيامه بلاد عامة ولا علاقة ، وارساله الى حيث شاء الله .
- والمسخر بين السماء والأرض صفة - للسحاب - باعتبار لفظه ، وقد يحتصر معناه فيوصف بالجمع كقوله : * سحابا ثقالا * ومعنى تسخيرهِ : انه لا ينزل ولا يزول مع ان الطبع يقتضي صعوده ان كان لطيفا وهبوطه ان كان كثيفا ،
- (٢)
- (٣)

-
- (١) ابن جرير الطبري : ٤/٢ - ٦٥ .
- (٢) الفخر الرازي : ٢٢٨/٤ .
- (٣) زاد المسير في علم التفسير : ١٦٩/١ .

وقيل : الظرف مستقر. وقع حالا من ضمير المسخر ومتعلقه محذوف ، أى :
 المسخر للرياح حيث تقلبه في الجوى بحشيئة الله تعالى وتعقيب تصريف الرياح
 بالسحاب لأنه كالمعلول للرياح كما يشير إليه قوله تعالى : * وهو السدى
 يرسل الرياح فتثير سحابا * ولأن في جعله ختم المتعاطفات مراعاة في
 الجملة لما بدأ به منها لأنه أرضي سماوى ينتظم بد * الكلام وختمه ثم قال
 الألوسي : (١) وبما ذكرنا علم وجه الترتيب الخارجي للأشعار باستقلال كل
 من الأمور الممدودة في كونها آية ولوروي الترتيب الخارجي لربما توهم
 كون المجموع المرهب بعضه على بعض آية واحدة وختم الكلام بقوله : ولا يخفى
 انه يعمد هذا التوهم ظاهر قوله تعالى : * لايات * اسم ان دخلته
 اللام لتأخره عن خبرها والتكثير للتمظيم كما وكيفا أى : آيات عظيمة كثيرة
 دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقضية لاختصاصه
 بالأنوذية سبحانه قوله * لقوم يعقلون * أى : يتفكرون ، فالعقل مجاز
 عن التفكير الذى هو شرته ..

أقول وبالله التوفيق : من تأمل في الآيات التي مرت وشرحها ومقاله
 العلماء فيها ما تيسر وجد كلا منها مشتبلا على وجوه كثيرة من الدلالة على
 وجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة
 به . ومجمل القول في ذلك ان كل واحد من هذه الأمور الممدودة قد
 وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ماعداه متبعا لآثار معينة
 واحكام مخصوصة من غير أن تقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على النمط
 الكذائيفان لا بد له من موجد لا متنازع وجود الممكن بلا موجد قادر ان

(١) تفسير روح المعاني : ٣٤/٢ .

شاء فعل وان شاء ترك ، حكيم عليم بحقائق الأشياء وما فيها من المفسد
والمصالح يوجد حسبما يستدعيه علمه بما فيه من المصلحة وتقتضيه مشيئته
وبهذه الخاتمة عن حكمته سبحانه وقضيه نختم الآيات الأرضية والسموية ونبدأ
بالفصل الثاني في التطبيق وأوله الباب الأول في احلال المعرفة والنظر
محل التقليد والمعرف الخاطي *

١٦٨ -
 كتاب التماس في بيان التسمية للحرم العتد على همدون
 الكتاب والسنة
 الفصل الأول

في احلال المعرفة والنظر محل التقليد والعرف الخاطي

- (١) التعريف : حل العقدة : فتحها فانفتحت ، وبابه : رد يقال :
 ياعقدا اذكر حلا ، وحل بالمكان حلولا من باب : رد . وحلا أيضا
 بفتح الحاء ، والمحل : المكان الذي يحل به ، وحللت القوم ، وحللت
 بهم بمعنى والحل بالكسر الحلال وهو ضد الحرام ورجل حل من الأهرام
 أى : حلال ، يقال هو : حل وحرم ، ولم يذكر الجوهرى في حرم أن
 الحرم بمعنى المحرم - وحل ومحرم . وقوم حلة أى : نزول وفيهم كثرة ،
 وقوله تعالى : * حتى يبلغ الهدى محله * الموضع الذى ينحر فيه
 وحل الدين : أجله - وحل العذاب : يحل بالكسر حللا أى : وجب ،
 ويحل بالضم حلولا نزل وقرى* بهما قوله تعالى : * فيحل عليكم غضبي * ٩
 وأما قوله : * أو تحل قريبا من دارهم * بالضم ، أى : ينزل وأهل خرج
 الى الحل أو خرج من ميثاق كان عليه وأهل دخل في شهور الحل كأحرم
 وحل في شهور الحرم وما قبل الاخير ، هو غرضنا هنا الذى أوردنا له
 هذا التعريف لأن البحث عندى في الخروج من حال غير لائقة الى حال طيب
 لائق حسن ، وأتيت بهذا التعريف لأن الغرض احلال المعرفة والنظر محل
 التقليد والعرف الخاطئين وذلك يقتضى الخروج من ميثاق كان عليه الانسان

(١) المختار الصحاح : ص ١٦٨ - ٦٩١ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٦ " .

(٣) سورة الرعد : الآية " ٣١ " .

الى آخر مقال صاحب الصحاح : وأحل خرج من ميثاق كان عليه الانسان ،
لأما عن الصرف ، فتعريفه ينحصر في قولهم : عرفه يعرفه عرفانا بالكسر
والصرف : الريح الطيبة كانت أو منتنة ، والمعرف : ضد المنكر ، أما
النظر والنظران بفتحيتين فهو : تأمل الشيء بالعين وقد نظر الى الشيء ،
والنظر أيضا : الانتظار ، يقال : نظره ينظره بالضم نظرا ، والنظر
في المفلة السواد الاصفر الذي فيه انسان المين - ويقال للعين الناظرة ،
والنظرة بالكسر : التأخير ، وانظره : أخره ، واستنظره : استمهله ،

والناظرة من المناظرة وفي آخر تعريف لهذه المفردات أى : مفردات
الفصل ، الخطأ وهو : ضد الصواب ، وبالتحليل اللغوى لمفردات عنوان
الفصل يتبين أن هذا التركيب يفيد الانتقال والخروج من ثوب الشقاء الى
ثوب المزم والكرامة ونحو الجمود والمادة القبيحة والدخول في الاسلام ،

والتمسك بحبله المتين والميل عن الخطأ الى الصواب . والنظر والتفكر في
الطرق السليمة السديدة ، والتمسك بعقيدة الاسلام لأن الاسلام دعا الى
هذه الأمور كلها وجاء بعقيدة سمعة صافية بيضاء نقية في ذات الله تعالى وفي
حق رسله الكرام ، فآله رب العالمين واحد أحد فرد صمد ليس له
ولد ولا والد ، له جميع صفات الكمال ، ومنزه عن جميع صفات النقص ،

" لا ذات تشبهها الذات ، ولا حك صفاته الصفات ليس كمثله شيء " وهو
الصميع البصير " وهو جل وعلا قيم لا تأخذه سنة ولا نوم " ولا يشغله
شأن عن شأن له مافي السموات ومافي الارض وما بينهما وماتحت الثرى (٣)

- (١) البيان في علوم القرآن : ١٤٢ .
- (٢) سورة الشورى : الآية " ١١ " ، المعجم المفهرس : ص ١٢٢ .
- (٣) سورة طه : الآية " ٦ " .

هو الخالق المنفرد بالخلق والايجاد - وبعبارة ناصية العباد يفضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو على كل شيء قدير ، الكل خلقه والجميع عبده
 ٢ " ان كل من في السموات والأرض الا أنتي الرحمن عبدا " .

- (١) قال تعالى : * انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما *
 (٢) وقال جل ذكره * الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من ذل وكبره تكبرا * ، وقال * يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد * والآيات في هذا المجال لا تحصى
 عددا دالة على انه سبحانه هو المنفرد بالوحدانية المستحق للعبادة الفعالة لما يريد ، قال تعالى : * فعال لما يريد * وهذه هي عقيدة الاسلام وهي التي يقرها القرآن ، وقد ضلت عنها اليهود والنصارى فضل اليهود بعد موسى فعبدوا بعلا وزعموا أن لله ابنا هو : عزيز وشبهوا الله بالانسان فزعموا انه تعب من خلق السموات والأرض فاستراح يوم السبت تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وقالوا عن انفسهم انهم ابنا لله واحباؤه وان السدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس وان النار لن تمسهم الا أياما معدودة هي مدة عبادتهم للمجمل ارسعين يوما ، كما افتروا على المسيح " عيسى " فزعموا انه ابن زوى وان امه زانية وانهم صلبوه ليظهروا بني اسرائيل من هذه الجريمة الشنيعة كل هذا وامثاله كثيرة من أباطيل وأضاليل اليهود جاء القرآن هادما لها - : ضل النصارى كذلك فزعموا ان لله

(٣)

- (١) سورة الاسراء : الآية " ١١١ " .
 (٢) سورة طه : الآية " ٤٠ " المحجم المفهرس : ص ٦١٦
 (٣) روائع البيان في علم القرآن : ص ١٤٢ .

١ = سر محمد صلى الله عليه وسلم

ولذا وذهبوا الى عقيدة معقدة من الأيمان بالتثليث الأب - والابن - وروح القدس . وسموها بالأقانيم وكل منهما عين الآخر الثلاثة وأحد والواحد ثلاثة وخلصوا على رجال كهنوتهم ماهو حق لله وحده من التشريع والتحليل والتحرير وزعموا أن الابن الاله * صلب ليخلص الانسان من خطيئته ويظهره من اوزاره ، والأعجب من هذا أن كثيرين منهم يعتقدون بأن عيسى ابن مريم * هو الله نزل الى الأرض في صورة بشر ، الى غير هذا من الاباطيل التي نسبوها الى الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا * فاذا نظرنا مدى البسوس الشاسع بين الحق الذي جاء به القرآن وبين الباطل الذي جاء به هؤلاء * وهو * وجدناه متباينا جدا على ان القرآن الكريم لم يكتف بسرد هذه الاباطيل والاخبار بها عن تحريف أهل الكتاب بل رد على أولئك ببراهينه الساطعة وأدلة القاطعة - استمع اليه وهو يقول عن أهل الكتاب "النصارى" * (٢) يا أهل الكتاب لا تغلوا في ديتكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيل * لن يستكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا * ويقول القرآن وهو يتكلم عن أهل الكتاب اليهود : * فما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا * وكفرهم وقولهم

(١) نفس المصدر السابق : ج ١٤٢ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٧١ - ١٧٤

على مريم بهتاناً عظيماً ، وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به (١) من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً * ولقد صرح القرآن بالتحريف الذي وقع عند أهل الكتاب في التوراة والانجيل وبين أن مهمة الرسول انما هي في تصحيح ما ارتكبه من الكذب والبهتان وفي كشف ما أخفوه من آيات الله في التوراة والانجيل * يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً ما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بان الله ويهديهم الى صراط مستقيم * فهل بعد هذا البرهان من حجة .

أقول وبالله التوفيق : لاشك ان القرآن الكريم واف بحاجة البشرية وهذا يدركه كل متأمل في شريعة الاسلام فقد جاء بهداية تامة كاملة شاملة واسعة تفي بحاجات البشر في كل زمان ومكان ، يقول محمد علي الصابوني في كتابه علوم القرآن : ويتجلى ذلك اذا استعرضت المقاصد النبيلة التي رعى اليها القرآن في هدايته وارشاده وهي بايجاز : اصلاح الأفراد ، اصلاح المجتمعات - اصلاح المقائد ، اصلاح الاخلاق ، اصلاح الحكم والسياسة ، اصلاح الشؤون الحربية ، اصلاح الثقافة العلمية ، تحرير العقل من الخرافات ، وبهذه المقاصد النبيلة ندرك ان الايمان والاسلام حلا محل الكفر والعصيان وان الدخول فيه واجب ونبذ ما سواه لان ، وبهذه المناسبة نذكر الاسلام ماهو وما حقيقته وعلاقته بالايمان وهل هما شي* واحد ام شيان وبيان حسن اسلام

(١) البيان في علوم القرآن : ص ١٤٣ .

١٥٨ لسوء الفهم

١٦-١٥ سورة المائدة

المرء ، وان الاسلام يهدم ما قبله .

أقول وبالله التوفيق : الاسلام هو : الاستسلام لله عز وجل ،

أى : الخضوع والانقياد التامان له سبحانه وان يبرأ الانسان من حوله وقوته ويدخل في حول الله وقوته ، والايمان هو : ان يؤمن الانسان بالله وملائكته وكتبه ورسله وقد بين حديث جبريل الطويل الثابت في الصحيحين حقيقة الاسلام والايمان والاحسان كل على حدة ، أما علاقة الايمان بالاسلام فهي علاقة وطيدة وثيقة حتى قال ابن القيم : اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا " ومعنى هذا انه اذا ذكر أحدهما دخل معه الآخر واذا ذكرنا معا فكل واحد قائم بنفسه ، وهذا يعطينا مدى ارتباط كل منهما بالآخر .

(١) قال الله عز وجل : * قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا *

(٢) وقد أخرج مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال اناس لرسول الله

صلى الله عليه وسلم : " يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية ، قال :

" أما من أحسن منكم في الاسلام فلا يؤاخذ بها ومن أساء أخذ بعمله فسي

الجاهلية - والاسلام " قال النووي : وأما معنى الحديث فالصحيح فيه

ما قاله جماعة من المحققين ان المراد بالاحسان هنا الدخول في الاسلام

بالمظاهر والباطن جميعا وان يكون مسلما حقيقة فهذا يغفر له ما سلف في (٣)

الكفر بنص القرآن المميز والحديث الصحيح الاسلام يهدم ما قبله ،

قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر حين مد يده اليه ليبايعه فقال عمر :

اشتراط ، قال : وماذا تشترط ، قال : ان يغفر لي ما سلف ، قال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم " أما علمت يا عمران أن الاسلام يهدم ما كان قبله "

(١) سورة الحجرات : الآية " ١٤ " .

(٢) صحيح مسلم : شرح النووي : ١٣٥ / ٢ ط : الجديدة .

(٣) المرجع السابق نفسه : ١٣٥ / ٢

١٨ / ١

- وهذا بإجماع المسلمين ، والمراد بالاساءة عدم الدخول في الاسلام بقلبه
فهذا منافق باق على كفره بإجماع المسلمين فيؤخذ بما عمل في الجاهلية
قبل ظهور صورة الاسلام وما عمل بعد أظهرها لانه مستمر على كفره وقد
جاء في صحيح البخارى في باب حسن اسلام المرء عن أبي سعيد الخدرى
رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اذا أسلم العبد
(١) فحسن اسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها " وفي رواية ذكرها الشارح
(أزلفها) قال الحافظ في الفتح : قوله : فحسن اسلامه ، أى :
صار اسلامه حسنا باعتقاده واخلاصه ودخوله فيه بالباطن والظاهر وان يستحضر
عند عمله قرب ربه منه واطلاعه عليه كما دل عليه تفسير الاحسان في حديث
سوءال جبريل عليه السلام وما لا نزاع فيه أنه لا يجوز لأحد أن يفسر الاحسان
(٢) بمعنى باطل أو باسلام صوري ثم يرتب عليه انه يهدم ما كان قبله فان فصل
ذلك يكون مرتكباً انواعاً من الجرائم منها ترتيب أحكام الدين الاسلامي الحقيقي
على الصوري الباطل عند الله وذلك مثل الحكم المذكور في حديث عمر هذا ،
(٣) ومنها انه يلزمه أن يكون الله قد رضي هذا المعنى الباطل وأخبرني كتابه برضاه
عنه وهذا من أكذب الكذب على الله ، ومنها ان يكون فاعل ذلك مفترساً
على الله ملحداً في آياته مرتباً تلك الاحكام على ما يترتب في الاسلام الصوري
الباطل مثل هذه الجرائم ويكون ذلك غداً المعنى الباطل لا يخرج من
الاعتقاد الظاهري الذي حكم الثوري وغيره على المقتصر عليه انه منافق

(١) فتح الباري : ٢٣/١

(٢) صحيح مسلم : ١٣٧/٢

(٣) الايضاح المبين في هدم الاسلام للكفر المشين : ص ٤ - ٥

محمد بن محمد الحوري الطوسي

(١) باق على كفره مؤاخذاً بما عمل في الجاهلية والاسلام فأى قيمة له هذا الاسلام الصورى الذى حقيقته نفاق ،

قال الامام البخارى : باب - اذا لم يكن الاسلام على الحقيقة -

(٢) وكان على الاستسلام والخوف من القتل لقوله تعالى * قالت الأعراب آمنا

قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا * . فاذا كان على الحقيقة فهو علس

قوله جل ذكره * ان الدين عند الله الاسلام * قال الكرمانى ، قوله :

على استسلام ، أى : الانقياد الظاهر فقط ، وأسلمنا ، أى :

(٣) دخلنا في السلم وليس استسلاماً على الحقيقة ، والا لما صح نفي الايمان

عنهم لأن الايمان شرط صحة الاسلام عندهم " .

قال النووى : وأصل الايمان : التصديق ، وأصل الاسلام

الاستسلام فقد يكون المرء مسلماً في الظاهر غير منقاد في الباطن وقد

يكون صادقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر .

ونقل الكرمانى عن الجوهرى في الصحاح انه قال : أسلم ، أى :

دخل في الاسلام وهو الاستسلام ، ومثله في القاموس ، وقد استفدنا

من هذا ان الاسلام قسمين ، كما قال البخارى وشارحه أحدهما الاسلام

(٤) الصورى وثانيهما اسلام حقيقى . ولذلك قال الراغب في المفردات ،

والاسلام في الشرع على ضربين : أحدهما دون الايمان وهو الاعتراف

باللسان وبه يحقن الدم حصل معه الاعتقاد أولم يحصل واياه قصد

بقوله تعالى * قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا * .

(١) الايضاح المبين في هدم الاسلام للكفر المشين : ص ٤ - ٥٥ .

(٢) البخارى بشرح الكرمانى : ١٢٨/٠ .

(٣) النووى : ٢٤٥/١ .

(٤) مفردات الراغب : ص ٢٤١ .

والثاني فوق الايمان وهو : مع الاعتراف باعتقاد بالقلب ووقاف بالفصل واستسلام لله في جميع ماضى وقدر وقد أفصح بأن الاسلام ضريان ، قال الحافظ في الفتح : وقال المازرى ان من شرط المتقرب أن يكون عارفا لمن يتقرب اليه ، يقول محمود احمد مهدي : " الاسلام عند ذوى الأفكار السطحية والمفاهيم العائرة هو الدين الذى جاء به خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ولا تتعدى كلمة الاسلام عنهم الى ما سواه وقيله من الأديان قال ابن تيمية في موافقه صريح القول : لا ريب انه يجب على كل احد أن يؤمن بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بايمانا عاما مجملا الى ان يقول : وأما ماوجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرتهم ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل مالا يجب على من لم يسمعها ، وأما التفصيل فأوجب الله فيه العلم ووجب فيه ما أوجب اليه من ذلك كقوله تعالى : ﴿ واعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ﴾ وقوله : ﴿ فاعلم انه لا اله الا الله ﴾ وكذلك يجب الايمان بما أوجب الله الايمان به ففي هذا رد على من زعم أن الاسلام والايمان قول باللسان وعمل بالاركان من غير فهم ، بما يتكلم به من الفاظ الايمان ، وكلام الشيخ أفساد انه يفترض على كل احد أن يصدق بقلبه بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويتضمن ذلك معرفة معاني النصوص من العقائد الواجبة والفرائض اللازمة كقرض العين .

أقول وبالله التوفيق : معرفة نصوص الشرع لا بد منها لكل مسلم فالحكم على الشيء فرع عن تصوره . وبناء على هذه القاعدة المتطقية يلزم

على المسلم أن يكون لديه سلاح ، وذلك السلاح هو معرفة أسلوب القرآن وينقسم ذلك الى أقسام : ان من يستقرى* النصوص القرآنية الدالة على

الأحكام الشرعية يجد ان بعضها بين في ذاته لا يحتاج الى ايضاح وبعضها يحتاج الى بيان وتفسير بأن يكون اللفظ مجلا يحتاج الى تفسير أو خفيا يحتاج اظهار ، أو مشكلا يحتاج الى بيان فمن الأول قوله :

* والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء* فاجلدوهم ثمانين

جلدة * ومنه أيضا آيات اللعان : * والذين يرمون أزواجهن * الآية فان هذه الآيات ظاهرة المعنى واضحة في تعيين المراد وهو : كيفية

تعيين اللعان وسببه ، وقد جاءت السنة مبينة الآثار التي تترتب على اللعان

ومن النوع الثاني المحتاج الى بيان الأمر بالصلاة والزكاة فان القرآن لم يوضح

عدد الركعات ولا أوقاتها وهيأتها وكذلك الزكاة لم يوضح مقدار الزكاة التي

غير ذلك من المطلق والمقيد والجمل والمفصل والفرض عندى بيان أن

المسلم ملزم بمعرفة أمر دينه من هذه الأمور كلها حتى يكون مسلما حقيقيا له

حرمة المسلم الكاملة واحلال العقيدة السليمة محل الشرك واحلال العلم محل

الجهل . والتمسك بالسنة يدل المادة كل هذا يجعل الانسان ملزما بمعرفة

مانهى اليه عنه وما أمر به وان ينبذ ماكان عليه من عادة سيئة وجهالة لا توافق

الشرع كي يغفر له ما سلف أيام جاهليته اذا تاب وأتاب ، قال تعالى :

(٤) قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف * . قال ابن جرير

ان ينتهوا عما هم عليه مقيمون من كفر بالله ورسوله فينبوا الى الايمان

(١) الايضاح والمبين في هدم الاسلام للكفر المشين : ص ٦* .

(٢) بدران ابو العينين : ص ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣ - ٤ .

(٤) ابن جرير الطبري : ج ٩ ص ٢٤٣٧ .

- يفغر الله لهم ما قد مضى من ذنوبهم قبل ايمانهم وانايتهم الى طاعة الله وطاعة رسوله بايمانهم وتوبتهم ، فذكر انتها هم من الكفر وهو عمل قلبي وافاد قوله " فنيبوا " ان الانتهاء المذكور يستلزم انايتهم ورجوعهم ظاهرا وباطنا الى الايمان بشريعة الاسلام وهو ايضا عمل قلبي والايمان بهما يلزم العمل بهما ان لو لم يؤمنوا ولم يعملوا فهم كفار فلم يصدق عليهم (١)
- انهم انتهوا عن كفرهم ، قال ابن كثير : ان ينتهوا عما بهم فيه من الكفر والشقاق والعناد ويدخلوا في السلم والطاعة والاناية يغفر لهم ما قد سلف (٢)
- ثم بين ان حديث ابن مسعود " من أحسن في الاسلام لم يؤخذ بما عمل في الجاهلية " وحديث " الاسلام يجب ما قبله " يستفاد منهما ان المراد من الانتهاء انتهاء القلب عما اكتسبه من العقائد الشركية المستزمنة للعناد والشاقة مع الدخول في الاسلام في الظاهر والباطن وبعد ان يفعلوا ذلك يغفر لهم ما سلف - فظهر ان المراد من الحديثين المذكورين في كلامه (٣)
- ما أريد به في الآية مع حسن الاسلام قلبا بالدخول في حقيقة الاسلام والمعمل به بالطاعة والاناية لا مجرد قول اللسان : آمنت وانتهيت عن الكفر وتركيت كتبه بل لابد أن ينتهي قلبه عن كل كفر والحاد وتعلق بمعبادة اله باطل وعقيدة باطلة وعن كل حمل للآية على أي معنى الحادى مع الحكم بكون ذلك الاله الباطل الذي كان قد اعتقده حقا طاغوتا يأمر الله بالكفر به واجتناب عبادته والتبئى منه ومن أهله والله الموفق .

(١) الايضاح المبين في هدم الاسلام للكفر العشين : ص ٩ - ١٠ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣٠٨/٢

(٣) المصدر السابق : ٣٠٨/٢

- أقول وبالله التوفيق : العادة السيئة في النفس من أسوأ الأمراض وأصعبها علاجاً لقوة تحكمها في الإنسان ولا بد للمسلم من كفاحها والتغلب عليها والا ظلم الإنسان أسيراً اليها لا يميز بين الحق والباطل والقلب يؤخذ الإنسان بما كسب لقوله تعالى * فأصابهم سيئات ما كسبوا * وهذا لانزاع فيه بين العلماء لوروده في محكم الكتاب :
- (١) قال الله عز وجل : * ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم * وقوله :
- (٢) * ليجزى الله كل نفس بما كسبت * وقال تعالى : * والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم * وهذه الآيات وغيرها مذكور فيها من التخويف من العادة المخالفة والمكابرة في الدين بغيرها ما أنزل الله وما شرع ما يردع صاحب العقل ويجعله واقفاً عند حدود الله وهذا ويعد ان بينت الاسلام ماهو وعرفته في أول هذا البحث نقول ايضاً انه دين الله الخالص الذي أوحاه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو ايمان وعمل يمثل العقيدة والاصول التي تقوم عليها شرائع الاسلام وغنها تنبثق فروعه والعمل يمثل الشريعة والفروع التي تعتبر امتداداً للإيمان والعقيدة والايمان والعمل والعقيدة والشريعة كلاهما مرتبط بالآخر ارتباطاً الشار بالاشجار أو المسببات بالأسباب والنتائج بالمقدمات ومن أجل هذا الترابط الوثيق يأتي العمل مقترباً بالإيمان في أكثر الآيات القرآنية قال تعالى : * وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار * .

- (١) سورة الزمر : الآية * ٥١ * "المعجم المفهرس لالفاظ القرآن ص ٣٦٩
- (٢) سورة البقرة : الآية * ٢٢٥ * "المعجم المفهرس لالفاظ القرآن ص ١٨
- (٣) سورة البقرة : الآية * ٢٥ * "المعجم المفهرس لالفاظ القرآن ص ١٨
- (٤) المقائد الإسلامية : ص ٧
- (٥) سورة البقرة : الآية * ٢٥ * .

وقال جل ذكره : * من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو

(١) مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون * .

وقال أيضا : * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم

الرحمن ودا * .

مفهوم العقيدة والايمان :

(٢) مفهوم الايمان أو العقيدة ينظم ستة أمور : المعرفة بالله وبأسمائه

الحسنى وصفاته العليا - والمعرفة بدلائل وجوده ومظاهر عظمته فسي
الكون والطبيعة .

ثانيا : المعرفة بعالم ماوراء الطبيعة أو العالم غير المنظور وما فيه
من قوى الخير التي تتمثل في الملائكة وقوى الشر التي تتمثل في ابليس
وجنوده من الشياطين . والمعرفة بما في هذا العالم أيضا من حسن
وأوواح .

ثالثا : المعرفة بكتب الله التي انزلها لتحديد معالم الحسنى
والباطل والخير والشر والحلال والحرام والحسن والقبح .

رابعا : المعرفة بأنبياء الله ورسله الذين اختارهم الله ليكونوا
اعلام الهدى وقادة الخلق الى الحق .

(١) سورة مريم : الآية ٩٦ .

(٢) العقائد الإسلامية : ص ٨ .

وخامسا : المعرفة باليوم الآخر وما فيه من بعمث وجزاء وثواب وعقاب وجنة ونار .

سادسا : المعرفة بالقدر غيره وشره وهو الذى يسير عليه نظام الكون في الخلق والتدبير . ووحدة العقيدة هي : مفهوم الايمان ، وهي التي أنزل الله بها كتبه وأرسل بها رسله وجعلها وصيته في الأولين والآخرين فهي عقيدة واحدة لا تتبدل بتبدل الزمان أو المكان ولا تتغير بتغير الأفراد أو الأقوام ، قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ وما شرعه الله لنا من الدين ووصانا به كما وصى به رسله السابقين هو المعقائد وقواعد الايمان لافروع الدين ولا شرائعه العملية فان لكل أمة من التشريعات العملية مايتناسب مع ظروفها وأحوالها ومستواها الفكري والروحي ، قال تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ وانما جعل الله هذه العقيدة عامة للبشر وغالدة لعالها من الأثر البين والنفع الظاهر في حياة الأفراد والجماعات ، فالمعرفة بالله من شأنها ان تفجر المشاعر النبيلة وتوقظ حواس الخير وتربي ملكة المراقبة وتبعث على طلب معالي الأمور - أشرافها ، والمعرفة بالكتب

الالهية : انما هي عرفان بالمنهج الرشيد الذى رسمه الله للانسان كي يصل بالسير عليه الى كماله المادى والأدبى والمعرفة بالرسول انما يقصد

(١) سورة الشورى : الآية " ١٣ " .

(٢) سورة المائدة : الآية " ٨ " .

بها ترسيم خطاهم والتخلق بأخلاقهم والتأسي بهم باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة والحياة النظيفة التي أرادها الله للناس والمعرفة باليوم الآخر هي أقوى باعث على فعل الخير وترك الشر ، والمعرفة بالقدر تزود المرء بقوى وطاقات يتحدى كل العقبات والصعوبات وتصفر دونها الأحداث الجسم وهكذا يبدو بجلاء ان العقيدة انما يقصد بها تهذيب السلوك وتزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى - فضلا عن أنها حقائق ثابتة وهي تعد من أعلى المعارف الانسانية : ان لم تكن أعلاها ،

- (١) على الإطلاق وتهذيب سلوك الفرد عن طريق فرس العقيدة الدينية هو أسلوب من أعظم أساليب التربية حيث ان للدين سلطانا على القلوب والنفوس وتأثيرا على المشاعر والأحاسيس ولا يكاد يوازنه في سلطانه وتأثيره شيء آخر من الوسائل التي ابتكرها العلماء والحكماء ورجال التربية ، ففهرس العقيدة في النفوس هو أمثل طريقة لايجاد عناصر صالحة تستطيع ان تقوم بدورها كاملا في الحياة وتسهم بنصيب كبير في تزويدها بما هو انفع وأرشد اذ ان هذا اللون من التربية يضيف على الحياة ثوبا من الجمال والكمال ، ويظللها بظلال المحبة والسلام ومتى سادت المحبة ارتفعت الخصومة وانقطع النزاع وحل الوفاق محل الشقاق وتقارب الناس وتآلفوا وسعى الفرد الى خير الجماعة وحرصت الجماعة على اصلاح الفرد واسعادته ومن ثم تظهر الحكمة واضحة من جعل الايمان عاما خالدا وفي ان الله لم يخل جيلا ميين

(١) العقائد الاسلامية : ص ١٠ - ١١ / ط . الاولى .

(٢) المرجع السابق : ص ١٠ - ١١ .

من الأجيال ولا أمة من الأمم من رسول يدعو الى هذا الايمان وتعميق جذور العقيدة وكثيرا ما كانت تأتي هذه الدعوة بعد فساد الضمير الانساني وبعد ان تتحكم القيم العليا ويظهر ان الانسان أشد ما يكون حاجة الى معجزة تعيده الى فطرته السليمة ليصلح لصحابة الأرض وليقوى على حمل أمانة الحياة ، ان هذه العقيدة هي الروح لكل فرد بها يحيا الحياة الطيبة ويفقدونها يموت الموت الروحي ، وهي النور الذي اذا غشى عنه الانسان صل في مآرب الحياة وثابه في أودية الضلال ، قال تعالى : * أو من

كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يعشي به في الناس كمن مثله في الظلمات (١)

ليس بخارج منها * ان العقيدة مصدر المواطف النبيلة والمشاعر الطيبة ومنبت الاحاسيس الشريفة فما من فضيلة الا تصدر عنها ولا صالحة الا تسرد اليها ، والقرآن الكريم حينما يتحدث عن الصالحات انما يذكر العقيدة في طليحة أعمال الخير - كأصل تتفرع عنه وكأساس تقوم عليه لقوله تعالى : *

ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله (٢)

واليوم الآخر *

أقول وبالله التوفيق : هذه العقيدة عقيدة الرسل التي ارسلهم الله (٣)

بها ، فيها اصلاح البشر عاجلا وآجلا وكماله الخلقي فهي تدعو للصبر والاخلاص والبر والصلوة والسلام لهم منهج في غرس هذه العقيدة بين فكانت الرسل تعرض على الناس هذه العقيدة عرضا كله السهولة

(١) سورة الأنعام : الآية " ١٢٢ " .

(٢) سورة البقرة : الآية " ١٧٧ " .

(٣) المقائد الاسلامية : ١٢ - ١٢ .

والبساطة والمنطق فتلفت أنظارهم الى طكوت السموات والارض وتوقفوا
عقولهم الى التفكير في آيات الله وتنبه فطهرهم الى ما غرس فيها من شعور
بالتدين واحساس بمالم وراء هذا العالم المادى وعلى هذه السنن
مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرس هذه العقيدة في نفوس امته
لافتا أنظارهم وموجها افكارهم وموقظا عقولهم متعبدا بهذا الفرس
بالتربية والتعمية حتى بلغ الغاية من النجاح واستطاع ان ينقل الأمة
من الوثنية والشرك الى عقيدة التوحيد ويملا قلوبها بالايان واليقين كما
استطاع ان يجعل من أصحابه قادة في الاصلاح وائمة في الخير وان يخلق
جيلا يمتاز به بالايان ويعتمد بالحق فكان هذا الجيل كالشمس للدين
والعافية للناس وقد شهد الله لهذا الجيل بالتفوق والامتياز فقال :

(١) * كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله * ولقد بلغ الايمان في نفوس هذا الرعيل مبلغا عظيما

من الآثار على النفس والتسابق للشهادة ولين الجانب بعضهم لبعض ،

والتواضع مع الخلطة والشدة على الكفار ، وقد وصفهم القرآن الكريم بهذه

(٢) الصفات كلها قال تعالى : * محمد رسول الله والذين معه أشداء على

الكفار رحما بينهم * وقال : * يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة * ٧

الى غير ذلك من الآيات المتناثرة في القرآن الكريم التي تبين صفاتهم

(٣) المجيدة من الرغبة في الخير والحب في الله والبغض في الله وقد وردت

(١) سورة آل عمران : الآية " ١١٠ " .

(٢) سورة الفتح : الآية " ٢٤ " .

(٣) رياض الصالحين : ص ١٦٢ - ١٦٨ .

الأحاديث الصحاح الدالة على فضل الحب في الله والبغض فيه من ذلك
حديث انس رضي الله عنه الثابت في الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : * ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ان يكون الله
ورسوله أحب اليه ما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكسره
ان يعود في الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يركه ان يقذف في النار *
متفق عليه ، وقد لاحظ الرعيل الاول هذه القاعدة فطبقها فكان الحب
والإيمان شمارا لهم يميزون به وعنوانا لهم يعرفون به ، ويرجون الدخول
في الظل الظليل الذي نص عليه حديث أبي هريرة الثابت في
الصحيحين للمتحابين ، ونص الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال : * سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله امام عادل
وشاب نشأ في طاعة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان
تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن
وجمال فقال : اني اخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة
فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت
عيناه * . متفق عليه ،

أقول وبالله التوفيق : هذه الصفات المتقدمة وردت بها النصوص
الكثيرة كما بينت ، وتدل على فضل الحب في الله وقد أخرج مسلم في
صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : * ان الله تعالى يقول يوم القيامة اين المتحابون في جلالتي
اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي * رواه مسلم ، وأيضا قد جاء
في مناقب الانصار من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن

الثماني صلى الله عليه وسلم انه قال في الانتصار : " لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق " . متفق عليه .

(٢)

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول : " قال الله عز وجل : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور

يخطفهم النبيين والشهداء " رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وعن ادريس الخولاني قال : دخلت مسجد دمشق فاذا فتى براق

(١)

الشأيا وان اناس معه فاذا اختلفوا في شيء اسندوه اليه وصدروا عن رأيه ،

فسألت عنه فقيل هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه فلما كان من الغد هجرت

فوجدته قد سبقني بالتهجير ووجدته يصلي فانتظرت حتى قضى صلاته

ثم جئت من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت : والله اني لأحبك ، فقال : أله ،

فقلت : أله . فقال : أله ، فقلت : أله ، فأخذ بحبوة رداً فجذبني

اليه ، فقال : ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

قال الله تعالى : : وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ

والمتزاورين فيّ ، والمتبادلين فيّ ، رواه مالك في الموطأ باسناده .

أقول وبالله التوفيق : اذا كتبت اعطيت لمحة عما في الرعيل الأول من

الايتار الذي جلبه اليه الاسلام وتعاليمه كما بينت الأحاديث السابقة والآيات

القرآنية التي نصت على انهم رحما بينهم أشداً على الكفار ، وما فيهم من

تسابق في جلب الخيرات وكسبها حتى كأنهم ينظرون اليّ الساعة وقد

قامت وصحائف الحسنات والسيئات قد نشرت أمامهم كما صورة الأحاديث

قريباً . فانه يجدر بنا ان ننظر الى الاسلام ايضاً من زاوية أخرى هي : زاوية

١- فصله القدر شرع الكلام الصغير ص ٢٧١/٢

(١) الساحة والوفاء لتعرف كم جلب الاسلام للانسان من كمال ياله من كمال ومن
نعمة يالها من نعمة ، يقول الدكتور العرجون : ان العالم يتطلع من نوافذ
التاريخ الى حضارة تنقذه من ويلات الخوف والرعب وندس الضمير وتعيده
الى الطمأنينة والسكينة . وتمحو من قلوب الشعوب والامم دقائن الأحقاد
والأضغان وترد اليهم الألفة والمحبة والاخاء وطهارة الضمير وصفاء الوجدان ،
فأين يجد العالم تلك الحضارة التي تتحقق له هذه الاحلام بعد هذه التجارب
القاسية المريرة انه لم يجدها ولن يجدها في ديموقراطية أوربية فاشلة ،
ولم يجدها ولن يجدها في الشيوعية الملحدة الطاغية الهادمة لأجداد الانسانية
ومقوماتها الطبيعية ولم يجدها ولن يجدها في علم أمريكا وصواريخها المدمرة
ورؤوس أموالها الفاجرة ، ولكنه اذا أرادها فانه يجدها في ظل الايمان بالله
تعالى ايمانا يظهر البشرية من رجس الانانية والأثرة وتقديس المبادئ
الحمياء ، ايمانا لا يخدع ولا يخدع ، ايمانا صريحا واضحا لا يسمى الاشياء
مدنية ولا يسمى الفسوق عن جادة الأدب حضارة ، ايمانا يرفع النفس
الانسانية الى آفاق علوية تجعل من الضمير الانساني حارسا يقظا على
سلوك الأفراد والجماعات يراقبهم في داخل مخدعهم وخارج بيوتهم ويكون
معهم أين ما كانوا .

أقول وبالله التوفيق : قد ذم الله التفرقة والتنازع والتدابير

- ١- ونهى المسلمين عن ذلك فقال : * ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم * .
وأمر بالصبر والتكاتف والاعتصام بحبله المتين فقال جل ذكره : * واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا * وامتحن على المسلمين بالاخاء بينهم فقال :
* فأصبحتم بنعمته إخوانا * ، أى : بالألفة .

أقول وبالله التوفيق : هكذا نجد روح الاسلام تتمثل في الحب والاخاء
بعد ما رأينا مثلها العليا فيما سبق ، وانما كان الاسلام قد حقق
الساحة والحب والايثار والاخاء فانه كذلك حقق المساواة فهو أيضا
دين المساواة يقول محمد عطية : ان الاسلام يعامل الجميع معاملة واحدة

(١) عظمة الاسلام : ٦٤/٢ - ٦ وساحة الاسلام : ٤٨٠/١ .

١- سورة الرعد (١٣)
٢- سورة آل عمران (١٠٧)

- وينظر الى الجميع نظرة واحدة ويعطي كل ذي حق حقه ففي الصلاة نجد المسلمين في صفوف متساوية لا فرق بين غني وفقير وأبيض وأسود ورفيع ووضيع في صلاة الجماعة فهم متساون أمام الله يعبدونه ويستغفرونه هم جميعا يتمتعون بالآخاء والمساواة له يركعون ويسجدون ، ويسبحون ويلبسون وفي الصيام كذلك نجدهم متساويين وفي العقوبة سواسية أيضا
- (١) قال تعالى : * وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص * هكذا نجد المدل ممثلا في الاسلام في كل صغيرة وكبيرة حتى الجروح قصاص فلا يترك حقا لاحد يضيع ولا يأخذ من أحد اكثر مما جنى . والصحابـة رضوان الله عليهم كانوا يطبقون هذه التعاليم نـصا وروحا ، ولا يتركون بابا فقد جاء في كتاب عظمة الاسلام ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شكـا اليه رجل من اقباط مصر سوء معاملة ابن عمرو بن العاص له وضربه اياه وهو حاكم مصر آن ذاك ، قوله له " أنا ابن الأكرمين " نجد ان عمر العادل يدعو ابن الأكرمين وایاه ويأمر القبطي ان يضرب ابن الأكرمين كما ضربـه فيمتنع المصري لأن ابن العاص لم يضربه ، ثم ينظر عمر بن الخطاب الى عمرو ابن العاص ويقول قولته المشهورة : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهـم امهاتهم احرارا " يقول محمد عطية : ولا نبالغ اذا قلنا ان الذميين من غير المسلمين كانوا يتمتعون بالمساواة في البلاد الاسلامية لتنفيذ قول الرسول صلى الله عليه وسلم " لهم مالنا وعليهم ما علينا " وما ورد ايضا عنه :
- (٢)
- (٣)

(١) سورة المائدة : الآية " ٤٥ " .

(٢) عظمة الاسلام : ٦٥/٢ - ٦٠ - ٦٢ .

(٣) هذا جزء من حديث ورد في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الى ملوك

حمير ذكرها ابن هشام : ١١١٩/٤ .

(١) " من آذى نسيا فأنا خصمه يوم القيامة " فالأسلام دين الإنسانية والديمقراطية

والأخلاق النبيلة ، ولو انتشر الإسلام في العالم لساد السلم والسلام
وماكانت هناك حروب ولا استعمار .

أقول وبالله التوفيق : من محاسن الإسلام التي لا تحصى أنه لا يدعو
إلى عنصرية ولا إلى عنصرية وقد وجد ، فهو دين مساواة ومحبة وإخاء ،
ومشاورة ، دين مدنية وحضارة ، دين إنسانية وكرامة ويدعو إلى الوحدة
الشاملة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ويتجاهل الفوارق بينهم
قال تعالى : * إن هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون * .

وقال صلى الله عليه وسلم : " ليس منا من دعا إلى عنصرية أو ليس
منا من قاتل عنصيه . وليس منا من مات على عنصرية " . وليس الفرض
من المساواة أن نتجاهل كفاءة العالم ، وشجاعة القائد ، ومهارة الطبيب ،
وعدالة القاضي ، وإخلاص العامل ، وإنتاج الصانع فكل منهم طاقة ،
ومقدرة وموهبة والطاقات والكفاءات والمواهب تختلف باختلاف الأفراد
وأعمالهم وقدراتهم ، وقال عز شأنه : * نحن قسمنا بينهم معيشتهم فسي

الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا
سخرى * فالأرزاق بيد الله وقد نجد أخوين أحدهما رزقه ميسر وكثير ،
والآخر رزقه ضيق وقليل ، فيكون الأول غنيا والآخر فقيرا ، فالتناس

(١) أخرجه الخطيب في ترجمة داود بن علي بن خلف عن إسحاق

ابن إبراهيم عن عيسى بن يونس عن الأعمش عن ثقيف عن ابن مسعود
وهو ضعيف وحكم ابن الجوزي بوضعه . فيض القدير : ١٩/٦ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في الأدب عن جبير بن مطعم ، وهو

حسن وبعضهم ضعفه ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣٨٦/٥

مختلفون في استعداداتهم الفطرية التي وهبهم الله إياها فهذا فائق الذكاء ، وذاك متوسط وهذا نشط محب للعمل ، وذاك كسلان يفضل الراحة ، وقد نظم الله العالم والكون والحياة قال تعالى : * ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم * ولهذا يقول محمد الغزالي : فنحن نرى في هذا الإسلام الجامع الكفاية المشعبة للآزمات الروحية والفكرية التي يعانيها الناس ويتطلعون منها إلى مخرج ونرى فيه المنهج الذي ينفي متاعب الحيـرة والشـرود ويبعد أسباب الغضب والطرـد ويوصل الإنسان بالله صلة ناعمة كريمة .

- أقول وبالله التوفيق إذا كنت بينت بعض محاسن الإسلام فسي المدالة والسماحة والاخاء والأثرة فانه لا يفوتني أن أبين كذلك سماحة الإسلام بالعهود وحرصه على الوعد والعهد والمواثيق : والناظر فسي تصرفات قادة الفتوحات الإسلامية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمراءه وولاة وتلاميذه من التابعين وتابعيهم يرى أنهم كانوا أحرص على الرفق والسماحة في تنفيذ العهود والمصالحات من كل أحد . . ما جعل المعاهدين والمصالحين يتعاونون مع المسلمين في صدق وإخلاص نتيجة لما

- (٢) سورة هود : الآية " ١١٩ " .
 (٣) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة : ص ٦ ، محمد الغزالي .
 (٤) سماحة الإسلام : ٤٢٢/١ ، محمد صادق المرجون .
 (٥) الموسوعة في سماحة الإسلام : ٤٢٥/١ - ٤٢٦ .

- (١) رآوه من العدالة الرحيمة في معاملة المسلمين لهم ، يقول الامام أبو يوسف :
في كتاب الخراج : انما كان الصلح يجرى بين المسلمين وأهل الذمة فسي
أداء الجزية وفتحت المدن على الا تهدم بيعتهم ولا كنائسهم داخل
المدينة ولا خارجها وعلى أن يحققوا لهم دماءهم وعلى أن يقاتلوا من نأوهم
من عدوهم ويذبوا عنهم ثم يروى أبو يوسف عن الامام مكحول الشامي ان ابا
عميدة بن الجراح رضي الله عنه صالحهم بالشام واشترط عليهم حين
دخلها أن تترك كنائسهم وبيعهم وطلبوا منه أن يجعل لهم يوما في السنة
يخرجون فيه صلبانهم بلا رايات وهو : يوم عيدهم الأكبر فأجابهم السى
ما طلبوا ووفى لهم المسلمون بشرطهم فلما رأى أهل الذمة وفاة المسلمين
وحسن سيرتهم فيهم صاروا أشداه على عدو المسلمين وعونا للمسلمين على
أعدائهم فبعث أهل كل مدينة من جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجلا
يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم فأتوا الرسل يخبرون بأن الروم قد
جمعوا جموعا لم ير مثلبا ، وتتابعتم الاخبار على ابي عميدة بهذا النباء
فاشد عليه ذلك وعلى المسلمين ، فكتب ابو عميدة بهذا الى كل وال من
خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم ان يردوا عليهم ما جبي منهم من
الجزية والخراج ، وكتب لهم أن يقولوا لهم : انما ردنا عليكم أموالكم لأنهم
بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على
ذلك وقد ردنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا
وبينكم ان نصرنا الله عليهم ، فلما قال لهم المسلمون ذلك وردوا عليهم
- (٢)
- (٣)

(١) كتاب الخراج لابي يوسف ص ١٦٤ - ١٦٥ / ط السلفية .
(٢) مكحول الشامي : أبو عبد الله ثقة فقيه كثير الارسال ، مشهور من
الخامسة مات سنة بضع عشرة ومائة / م / عم التقريب : ٢٧٣ / ٢
(٣) كتاب الخراج لابي يوسف ص ١٦٤ .

الأموال التي جبوها منهم ، قال أهل الذمة للمسلمين : ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا ، وبأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا شيئا ، فلما كتب ابو عبيدة لعمر يخبّره بذلك أقسره وقال له : امنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم الا بحقها ووف لهم شرطهم الذي شرطت لهم في جميع ما اعطيتمهم .

أقول وبالله التوفيق : هكذا يكون الوفاء بالعهد ، وهكذا تكون السيرة النبيلة التي يرجى لأهلها النجاح والفلاح وتصلح لقيادة الجيوش ، والشعوب فياليتنا صرنا الى هذا النصح وسرنا على هذا النهج ليصبح الذي ترك لنا الآباء من صدق القول والوفاء بالعهد . وهكذا نراه مرة أخرى حتى مع غير المسلمين ، على جانب عظيم من السخاء والوفاء ،

وبهذا المرض الموجز يتضح كيف أهل الاسلام والمعرفة الصحيحة النافعة محل التقليد الأعلى وكيف عرض تماثيله مجالا لكل ناظر ينظر بمقل قوم وقلب سليم فيتميز بعد النظر الصحيح كيف ان الاسلام أسعد البشرية نظريا وعمليا ومن تمام الفائدة ان أشهر الى النظر من الوجهة العقلية فهو فكر يتوصل به الى العلم أو غلبة الظن ومعنى هذا أن الاسلام لا يقنع بخيالات أو أوهام وكذلك لا يقنع بفكر يوصل الى جهل أو خرافة ونصوص الاسلام تعصم العقول من الزلل أو الجيدة عن الطريق حتى لا يضل الانسان في متاهات الفكر ويبدأ الحياة ، وبمنظرة عادية الى الاسلام نجده يطلب من الانسان ان يحاسب نفسه ويتصف الناس منه ويعطيهم حقوقهم ويحكم على نفسه بنفسه ، ويقول : اذا عولت أنا هذه المعاملة التي اعامل بها غيري فكيف يكون موقعي ؟ **وكان الأشعر** ويضع نفسه موضع غيره فسي

- (١) كل عمل يريد أن يحصله ، وإذا كان شطر الاسلام باعتباره ديناً ودولة وهو شطره التمهدي التهذيبي قد استقرت أصوله وكملت قواعده في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فإن شطره الحلي ، وهو شطره النظامي فسي الحياة في صورة دولة تقوم على تطبيق شرائعه وقوانينه وبسط سلطتها على العامة والخاصة لقرار الحق والمعدل بين البتاء الانسانية في مشارق الأرض ومغاربها ، لا يزال باقيا يتجدد بتجدد الاعصار والأجيال ويتطور في صور من الواقعية كلما جددت الأحداث . وهذا الشطر من الاسلام لا يزال ديناً في عنق الأمة الاسلامية يجب عليها تنفيذه ، ورعايته ولو بالقوة القاهرة في نظام الحدود والتعازير الزاجرة وفي صورة القتال اذا قامت أسبابه . ومن ثم ترك الاسلام للأمة أمر نظام الدولة وأسلوب الحكم وعنوان الحاكم تختاره على مقتضى " تطور " الحياة الصالحة على مدار الزمن بعد أن ضمن لها مقومات البقاء .

- (٢) أقول وبالله التوفيق : في هذا المقال يتضح كما بين الكاتب سماحة الاسلام وسموه في كل الأمور التي من شأنها ان تغود الأمة السي مافيه اصلاحها عاجلاً وأجلاً وسوى بينهم في ذلك تسوية تامة .
- يقول محمد عطية في كتابه : عظمة الاسلام ففي الاسلام مساواة بين الرجل والمرأة في الثواب والمعقاب وفي الشريعة والتعليم ولا يتميز الرجل عليها الا أنه مطالب بالانفاق عليها ورعايتها والدفاع عنها قال جل شأنه في موقصف المرأة : * ولهن على الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة * .
- وحينئذ بدأ النبي صلى الله عليه وسلم ينشـر

- (١) الموسوعة الاسلامية : ١ / ٥٥٥ .
- (٢) عظمة الاسلام : ٢ / ٢٥١ ، محمد عطية
- (٣) سورة البقرة : الآية " ٢٢٨ " ، المعجم المفهرس : ص ٢٥٦ .

جاءى* الاسلام وقواعده نشرها بين الرجال والنساء سواء من غير تفرقة .

أقول وبالله التوفيق : من سماحة الاسلام ترغيبه لأهله كسي

يبدلوا الجهد للخير فقد رغب الاسلام في الصدقة بصفة عامة وفي عتق

الرقبة لانقاذ المسلم من الرق ، وكما ان الاسلام يسير بخطى متزنة فقد

نص المسلم عن التصديق بماله كله حتى لا يبقى عائلة يتكفف الناس ، قال

ابن خزيمة في صحيحه : حدثنا الدورقي يعقوب بن ابراهيم ، حدثنا (١)

عبد الله بن ادريس قال : سمعت ابن اسحاق يذكر ، وحدثنا محمد بن (٢)

رافع حدثنا يزيد يعني : ابن هارون ، اخبرنا محمد بن اسحاق عن

عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله قال :

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببئضة من ذهب أصابها من بعض

المعادن ، وقال الدورقي : مثل البئضة من الذهب قد أصابها من

بعض المعادن ، وقال : فقال يارسول الله خذ هذه مني صدقة فوالله

ما أصبحت أملك غيرها فأعرض عنه ثم أتاه من شقه الأيمن فقال : مثل ذلك فأعرض عنه

ثم أتاه من شقه الأيسر فقال له مثل ذلك ، فأعرض عنه ، ثم قال

له الرابعة ، فقال له : " هاتها مفضضا " فحذفه بها

حذفة لو أصابه لشجه أو عقره ثم قال : " يأتي أحدكم بماله كله فيتصدق به ،

ويتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى " هذا حديث ابن رافع وزاد

الدورقي خذ فانا مالك لا حاجة لنا فيه ، والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم :

عن ظهر غنى عما يفنيه ومن يحول ، افضل الصدقة جهد المقل كما جاء

(١) صحيح ابن خزيمة بتحقيق الدكتور محمد مصطفى الاعظمي ٩٨/٤ ط١

(٢) ضعيف الاسناد محمد بن رافع القشيري النيسابوري ثقة عابد مسن

الحادية عشرة مات سنة ٥٠٠ / خ / م - د ت س / التقريب :

في حديث أبي هريرة : " حدثنا عيسى بن ابراهيم الخافقي ، حدثنا ابن وهب عن الليث ان ابن الزبير حدثه ، وحدثنا عمرو بن علي حدثنا ابن الوليد حدثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير عن يحيى عن جمدة عن أبي هريرة انه قال : يا رسول الله أى الصدقة أفضل قال : " جهد المقل وأبدأ بمن تمول " . (١)

(١) قوله في هذا الحديث : " ويبدأ بمن تمول " هذه اللفظة أخرجها مسلم في صحيحه : ٩٦/١ وأحمد في مسنده ٤٧٥/٢ ، والترمذى : ١٣٢/١ ، وقال : حديث حسن صحيح ، والحديث له طرق كثيرة ذكرها الالباني في إروى الفليل في تخريج مشار السبل : ٣١٣/٣ ، ونذكر هذه الطرق وأصحابها ليتبين لنا وضع الحديث وأنه صحيح ورجاله ثقات .

الطريق الأولى هي : البيضة اعلاه والحاملة لرقم واحد والطريق الثانية طريق سميد بن المسيب وهي في البخارى : ٣٦١/١ ونصها : " غير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وأبدأ بمن تمول " . وهي في النسائي أيضا : ٣٥٣/١ والبيهقي : ١٨٠/٤ واحد : ٤٠٢/٢ .

الطريق الثالثة : عن محمد بن عجلان عن أبي هريرة أخرجهما النسائي : ٣٥١/١ ، الطريق الرابعة عن ناهي صالح عن أبي هريرة أخرجهما البخارى : ٤٨٥/٤ وابوداود : ١٦٦٧ ، والدارقطني : ٤١٥ ، واحد : ٤٧٩/٢ و ٤٨٠ و ٥٢٤ ، و ٥٢٧ وزاد في رواية من تمول يا رسول الله قال : " امرأتك مسن تمول تقول أطمعنى والا فارقنى ، وجارتك تقول أطمعنى واستمطني ، وولدك يقول الى من تتوكي ، واسنادها جيد ، لكن في البخارى ان أبا هريرة سئل عن هذه الزيادة فهل هلني من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا من كيس أبي هريرة ، أرواه الفليل : ٣١٦/٣ - ٣١٧ ، محمد ناصر الدين الا الثاني .

- أقول وبالله التوفيق : هكذا نرى الساحة حلت في كل شيء بالتساوي وعدم الضياع ففي الوقت الذي ترغب فيه في البذل تحذر فيه من التهور والاسراف فلا سلام لا يرضى من المسلم أن يبقى مكتوف اليأس كما لا يرضى منه الجشع وعدم يد المساعدة للغير وقد فصلت الآيات البينات ذلك أحسن تفصيل قال تعالى : * ولا تجعل يدك مفلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا * وهذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ونحن أمته داخلون فيه ، وهكذا نرى الساحة مرة أخرى تتطرق وتجول بين كل سهل وصعب حتى تجنب الانسان المسلم كل شيء يمن له في حياته كي لا يكون هناك صعب يرتقى ، والمساواة الانسانية من ضمن هذه الساحة أعني : ساحة الاسلام التي كنا نتكلم عليها قريبا ، ذلك ان الاسلام يأخذ الأمر من جميع جوانبه ومن نواحيه جميعا فيكفل التحرر الوجداني ويكون تحررا مطلقا لا يقوم على المعنويات وحدها ولا على الاقتصاديات وحدها ولكن يقوم عليهما جميعا فيصرف للحياة واقمها وللنفس طاقتها ويستثير في الطبيعة البشرية غاية أشواقها وأعلى طاقتها ويدفع بها الى التحرر الوجداني كاملا صريحا بغير التحرر الكامل لن تقوى على عوامل الضعف والخضوع والعبودية ولن تتطلب نصيبها من العدالة الاجتماعية ولن تنصر على تكاليف العدالة حين تعطاها ، وهذا التحرر هو أحد الأسس الركيزة لبناء العدالة الاجتماعية فسي الاسلام بل

(١) سورة الاسراء : الآية ٢٩ .

(٢) العدالة الاجتماعية في الاسلام : ص ٥٠ / ط ٨ سيد قطب .

هو الركن الأول الذي تقوم عليه الأركان ، يقول سيد قطب : إذا استشعر الضمير كل هذه التحررات للوجدانية فخلص من كل ظل للمبودية الا لله ، وآمن الموت والأذى والفقر والذل الا باذن الله . وانقلب من ضغط القيم الاجتماعية والمالية ، ونجا من ذل الحاجة والمسألة ، وتسامى على شهوات ومطامع وتوجه الى الخالق الواحد الأحد الذي يتوجه لـه الجميع بلا استثناء ولا استملاء . ووجد بعد ذلك كله كفايته من ضرورات الحياة مكفولة له بحكم التشريع والنظام ، اذا استشعر الضمير البشري هذا كله ووجد من الضمانات الواقعية والقانونية ما يؤكده في نفسه هذا الشعور فلن يكون في حاجة لمن يهتف له بالمساواة لفظا وقد استشعرها في أعماقه (١) معنى ووجدها في حياته واقعا ، بل لن يصبر على التفاوت القائم على تلك القيم اطلاقا . سيطلب حقه في المساواة وسيجاهد لتقرير هذا الحق وسيحتفظ به حين يناله ، ولن يقبل منه بد ولا ، ولن يكون الفقير والضعيف وحدهما الحريصين على مبدأ المساواة النابع من الضمير المصون بالتشريع المكفول بالاكثفاء وحرية النشاط والارتزاق ، بل ان الخني والقوى سينزلان عنده بحكم استشعار ضميرهما تلك المعاني التي حرص الاسلام على تقريرها وتثبيتها فيما أسلفنا .

يقول سيد قطب : وذلك ما وقع بالفعل في المجتمع الاسلامي قبل أربعة عشر قرنا .

(١) بين الجاهلية والاسلام : ص ١٢٦ ، محمد مهدي شمس الدين .

- أقول وبالله التوفيق : هذا القرن الذي أشار اليه هو السدي وقع فيه الايثار على النفس ووقع فيه الجهاد والتسابق الى الخيرات لأن نور القرآن لا يزال آن ذاك ساطعا في القلوب وامم العيون فينهل منه المسلم كل حين فلا يمل من فعل الخير والقيام به يقول محمد مهدي : ان (١)
- حركة تقدم البشرية التي قادتها رسالات الله تعالى الى الناس على لسان انبيائه ورسله وما أنزل عليهم من وحى هذه الحركة العظيمة العريقة في عمر الزمان والانسان والحركة التي قامت آن ذاك قامت تسير في ضوء الكتاب والسنة قال تعالى : * هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرووف رحيم * وقال جل ذكره (٢)
- * قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى صراط مستقيم * (٣)
- أقول وبالله التوفيق : هذه الآيات وما تهدف اليه تدل على أن القرآن هو حجة الاسلام الكبرى بالاضافة الى انه هو المعجزة الخالدة ، يقول محمد ابو زهرة : فقد حارب الأوهام لأنه دعا العقول الى النظر في الكون والتصرف على اسراره وعجائبه ودعا الى تحكيم العقل في كل ما يدرس من قضايا سواء كانت كونية أم كانت تشريعية . ودعا الى اتباع الحق

- (١) عظمة الاسلام : ٣١/٢ ، محمد عطية الابراشي .
 (٢) سورة الحديد : الآية " ٩ " .
 (٣) سورة المائدة : الآية " ١٥ - ١٦ " .
 (٤) المجتمع الانساني في الظل الاسلامي : ص ٢٤ محمد ابو زهرة .

وما حكمت به شرائع الله على أهل الأرض ، وأنه اذا دعا الى النظر العقلي في كل ما يتعلق بالكون ونواميسه فقد وضع الأساس لمحاربة الأوهام والأخيلة الفاسدة حيثما كانت ، والأوهام تمشش دائما في عش التقاليد من غير تفكير وقد حاربته القرآن وبذلك هدم البناء الذي تقوم عليه الأوهام والخبايا التي تمشش فيها فقتل مواليد الأوهام في مهدها وأمات بذورها فسي خبيثها .

- أقول وبالله التوفيق : اذا كنت تكلمت فيما مضى على ساحة الاسلام ومساواته للناس فان من ضمن هذه المساواة " العدالة " التي لا مثيل لها في القرآن فقد أمر القرآن بالاستشارة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم له مستشارين أمر بأن يشاورهم في الأمر وقال محمد عطية في كتابه عظمة الاسلام بعد ايراده لما قدمت ، قال هذا كثير جدا ما يؤيد القاعدة التي كانت تسير عليها الحكومة الاسلامية منذ فجر الاسلام وهي قاعدة المشورة وتبادل الرأي وهي : أساس النظام الدستوري الديمقراطي وقد أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : " اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عهد حبشي كان رأسه زبيبة " فالرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بطاعة أمير المسلمين ولو كان عبدا حبشيا أسود اللون والرأس وهذا روح الديمقراطية
- (١) كتاب عظمة الاسلام : ٣١ / ٢ - ٣٢ .
- (٢) الحديث متفق عليه أخرجه البخارى عن مسدد ، عن يحيى ، عن شعبة ، وأخرجه مسلم من طريق أبي زر قال أوصاني خليلي ان اسمع وأطيع وان كان عبدا مجدع الأطراف ورواية المتن هنا هي رواية البخارى : ١١١ / ١٣ في الاحكام وفي الجماعة باب امامة ==

الاسلامية تلك الديمقراطية التي تنادى بالمساواة بين جميع الطبقات ولا تفرق بين الأغنياء والفقراء والسادة والعبيد ولا تفكر في الحسب والنسب والمال والجاه والمالين الأبيض والأسود ولا تقول بالفرقة العنصرية ومن الأسباب التي جعلت سادة قريش يتآمرون على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم مطالبته بحقوق الفقراء والمساكين ، والضعفاء والعبيد ، فخاف الاشراف ان يرفع أصحاب محمد الى مصافهم ، فأخذوا يكيدون له ويدبرون المؤامرات لقتله والتخلص منه لا اعتقادهم ان هذه بدعة ابتدعها محمد ضدهم ، وكيف يخالف محمد صلى الله عليه وسلم النظام الانساني المثالي بنظم الاسلام وروحه وقد

= العبد والمولى ، وباب امامة المفتون والمبتدع ، وأخرجه مسلم " ١٨٣٧ " في الامارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معظية ، قال ابن حجر في الفتح : ٢٣٩/١٦ قوله : " كان رأس زبيبة " واحدة الزبيب المأكول المعروف الكائن من العنب اذا جف وانما شبه رأس الحبشي بالزبيبة لتجمعها ولكن شعره أسود وهو : تمثيل في الحقارة وبشاعة الصورة وعدم الاعتداد بها ، والحديث أيضا أخرجه أبو داود الطيالسي " ٢٠٨٧ " ، وقد جاءت عدة أحاديث متفق عليها في هذا المعنى منها حديث عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " وهذا أيضا متفق عليه أخرجه البخاري : ١٢١/١٣ ، في الاحكام ، والجهاد ، ومسلم " ١٨٣٩ " في الامارة : باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، وهذه الاحاديث موجودة في كتاب شرح السنة للبخاري : ٤٦/١٠ - ٤٣ .

(١) عظمة الاسلام : ٣١/٢ - ٣٢ .

أمره الله به بعد نزول سورة " عبس " وبعد أن عاتبه الله في حادثته
 عبد الله بن أم مكتوم الأعشى الفقير فقد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو مشغول بأشراف قريش رجاء إسلامهم فقطع الأعشى الرسول عما هو
 مشغول به وناداه : علمني ما علمك الله فانصرف النبي صلى الله عليه
 وسلم عنه فموتب في ذلك بما نزل في هذه السورة * عبس وتولى أن
 جاءه الأعشى وما يدريك لعله يزكلى أو يذكر فتتغمه الذكرى * إلى آخر

(١)

الآيات فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا جاء يقول له " مرحبا
 بمن عاتني فيه ربي وبهبط له رداه " وفي هذه السورة تبدوا الديمقراطية
 الإسلامية بأحلى معانيها فالأعشى الفقير الذي يريد أن يسلم حقا ويتمسك
 بأخلاق الإسلام ويخاف الله خير عند الله من هؤلاء الأشراف والأغنياء
 وذوى الجاه وفيها يذكر الله نبيه في صورة عتاب بأن ضعف ذلك الرجل
 الأعشى وفقره لا يجوز أن يومى إلى الأعراض عنه لأنه مؤمن بقلبه وفؤاده
 حتى بشعوره واعتقاده ، فانت ترى ان الله أخذ النبي صلى الله عليه وسلم
 بالمساواة بين الطبقات في المعاملات فلا فضل لغني على فقير إلا بالتقوى
 ولا دخل للثروة والفنى واللون والنسب في تفضيل رجل على آخر ،

أقول وبالله التوفيق : خلاصة القول ان الإسلام ليس فيه اعتبارات
 يمتاز بها الأشراف والأغنياء عن الفقراء فلا سلام ينادى بالمساواة في الحقوق
 المدنية والدينية . قال عز ذكره : * ان أكرمكم عن الله اتقاكم * .

(٢)

.....

(١) سورة " عبس " الآية : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٢) سورة " النجم " الآية ٣٩ - ٤١ .

(١) وبعد أن بينا ما بيننا من سماحة الاسلام ومساواته بين أهله
وديموقراطيته ننظر اليه أيضا من زاوية الحرية ومن خلال هذه النظرة نجد
ان الكاتب بين في كتابه ان مبادئ الديموقراطية هي : الحرية والتآخي
والمساواة والتشاور في الأمر ، ويمكننا ان نقول ان الاسلام قد سبق مدنية
القرن العشرين وسبق الأمم المتحدة وهو : دين حرية لا يشك أحد في
أن الاسلام دين رقي وعبودية فهو ضد الاسترقاق والاستعباد وقد عرف
الرق من قديم الزمان عند اليونانيين والرومان واليهود وكان الانسان يباع
ويشترى كأي سلعة من السلع ويحامل معاملة تنفر منها الانسانية فكان هناك
سادة وعبيد ففقد الاسلام على هذا وحث في كثير من الآيات على تحرير
العبيد والارقاء وحسن معاملتهم .

وبعد هذه الكلمة الموجزة عن الاسلام ومصلحه العليا أنتقل
الى الكلام على الفصل الأخير المشتل على انكار الوحدانية وعبادة الاصنام
واحلال التوحيد محل هذا - ويدخل في هذا الفصل الكلام على التشاؤم ،
والنذر لغير الله ، والبحيرة والسائبة والوصيلة ، والحام واحلال
ماشره الله للتقرب اليه محل هذا .
والله أسأل ان اكون قد اتيت بالمطلوب على الوجه المرغوب .

الفصل الثاني في التخصيص لعبادة الرحمن

في انكار الوحدانية وعبادة الأصنام

واحلال التوحيد محل هذا

(١) قال الله تعالى : * وما خلقُ الجن والأُنس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين * ، هذه الآية من كتاب الله عز وجل مهيئة للملة التي خلق الله لأجلها هذا الخلق من يوم خلق السموات والأرض الى يومنا هذا الا وهي عبادة سبحانه عبادة خالصة لوجهه الباقي فلا يراد منها سوى وجه الله ، ولا نجاة للمخلوق في المحشر بدونها ، ولا شك ان للانسان السعادة ان جاء بها تامة على الوجه المطلوب . وقبل الدخول في هذا الباب الواسع نبين ان الله سبحانه وتعالى لا يقبل ان يكون هناك عمل ما يشاركه فيه مخلوق ما . لقوله في الحديث القدسي " أنا اغنى الأغنياء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيرى تركته وعمله " وهنا في البداية أيضا نذكر ان من شروط قبول العمل ان يراد به وجه الله وان يكون خالصا لوجهه تعالى وان يوافق الشرع الذي شرعه لعباده فمن جاء بزيادة أو نقصان فقد جاء بأمر مردود عليه لقوله صلى الله عليه وسلم : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " ، أى : مردود عليه عمله ، ذلك الذى عمل سبب ما أحدث فيه فالطريق واضحة ومضادة بالكتاب والسنة فلا حاجة في السؤال عن أين نبدأ ولا أين ننتهي فقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك بيانا شافيا وكافيا لطالب

(١) فرقان القرآن بين صفات الرحمن وصفات الأكوان : ص ٢٣ .

١- سورة الزمر آيات ١-٥٦ - ٥٧ - ٥٨

٢- أخرجه مسلم ج ٥ / ١٢٢

الحق ، والله الحمد في الأولى والآخرة .

- أقول وبالله التوفيق : الآن بعد هذه النجدة القليلة نبدأ بالأدلة على ثبوت وحدانية وجوده سبحانه وتعالى عما يقول الكافرون والملحدون
- (١) ان جميع الكائنات جملة وتفصيلا ليس وجودها من ذاتها ، ولا وجب لها الوجود ، ولا من معدوم فان المعدوم فاقد الوجود وفاقد الشيء لا يعطيه ، بالضرورة فلا بد أن يكون واهب الوجود لها موجودا سواها ، والموجود الذي ليس هو يمكن انما هو واجب الوجود لا يشك في ذلك أحد ومن أجل ذلك قالت الرسل عليهم الصلاة والسلام للأمم : " أفى الله شك فاطر السموات والأرض " وقال الخلاق العليم ينه العقول الى هذه القضية التي هي أوضح من الشمس ، وهي : أن ترجيح وجود السكّن على عدمه بلا موجد واجب وجوده محال ، قال تعالى : * أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلّقوا السموات والأرض بل لا يوقنون * فانظر الى سياق القرآن هذا البرهان الساطع والدليل الناصع على هذا النظم العجيب والاسلوب الآخذ بالباب
- أولي النهي الى جليلة الحق ، روى مسلم في صحيحه عن جبير بن مطعم انه قدم المدينة وهو مشرك فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب سورة " الطور " قال : فأصغيت الى قراءته حتى اذا بلغ قوله تعالى : * أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * الى آخر الآية كان قلبي يطير وادخل الله الاسلام على قلبي ، وأى اسلوب أعجب من هذا فقد سيق هذا البرهان لاعلى الطريق التي تدع لنفس السامع مجالا في

(١) فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان : ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة : الطور ٢٥ - ٢٦

التردد ، ولكن على السبيل التي تقهر النفس على قبول الحق قهرا ،
وتفسرها عن تلاعب الأوهام بها قسرا ، فان الآية قد جعلت حدوث
الحادثات ، والحادث ممكن كما اسلفنا ، بلا موجد يكون واجب الوجود
من الأباطيل التي بطلانها في حيز البظاهر المكشوف ، الذي ينكر على
من قال به انكارا فان " أم " في الآية الكريمة بمعنى : بل وهمزة الاستفهام
وهو هنا انكارى بمعنى : النفي ولله الجبة البالغة على خلقه فان الناس
ماكانوا شيئا مذكورا كما قال تعالى : * هل أتى على الانسان حين من
الدهر لم يكن شيئا مذكورا * ثم كانوا ووجود المعدوم بلا سبب موجود
محال بداهة ، وكون المعدوم أوجد نفسه أظهر في الاستحالة وأبعد فسي
الامتناع ، وواضح ان من لا يملك وجود نفسه لا يستطيع ان يعطي الوجود
لسواه ، وعسى ان يكون قد بان ذلك ان شاء الله ، ان جميع الممكنات الموجودة
سواء كانت ذوات أو صفات فقيرة كل الفقر في جميع أطوارها ، وكل تقلباتها
الى من تعالى وجوده عن الأماكن ، وجلت صفاته عن النقصان قال القصاعي :
ولا يستغفرك اولئك الذين تمبدنهم المادية واضاعت غلطات الشهوات
أفهامهم فأنكروا الملك القدوس واجب الوجود فليسوا من العلم الصحيح
بهذه النظرية في كثير ولا قليل فانهم أخذوا على انفسهم لا يؤمنون الا بما
به يحسون ، وقصروا لفظ العلم على ما يدرك بالحواس ، فاني لهم وهذا
شأنهم ان يظفروا بمعرفة من تعالى عن الحواس وتقديس عن مشابهة المادة ،
والماديات التي انقطموا اليها وما عرفوا الا قليلا من غواهرها ، على اتساع
معاملهم وكثرة ابحاثهم ، رأوا الكائنات المادية تجري على نظم محكمة

(١) فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الاكوان / ص ٢٤ - ٢٥ .

١ = سورة الانعام الرية

وقواعد مضبوطة يعبرون عنها بالنواميس حتى انك لتستعجبهم يقولون : ان الطبيعة لا تلقي شيئاً جزافاً فاستدلوا بهذا النظام المدهش لاساطيس المفكرين على انكار واضعه جل جلاله ولو كان الجزاف سائداً في الكون لكان للمنكر شي* من الشبهة ، أما وهم المعترفون بالنواميس ودقتها والنظم وأحكامها في الكون كله من اصغر شي* وأحقه الى أكبر شي* وأعظمه ففسد اندحرت كل شبهة وقام اسطع البراهين لاعلى وجود الخالق فحسب يسر على كمال رحمته وحكمته وعنايته الى غير ذلك من صفات مجده الاعلى وكماله

(١)

الاسنى . يقول سبحانه : * صنع الله الذى اتقن كل شي* * ويقول

(٢)

جل ذكره : * الذى أحسن كل شي* خلقه * وقال أيضاً : * ماترى

٢

في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * فوجود

ع

الكائنات ناطق بوجود واهبها واكمال وجودها وتوابعه صارخ بجلال كماله

وعظيم حكمته ومناد بشدة ظهوره وسطوع نوره حتى لهو عند أهل الانظار

السديدة والافكار الرشيدة اظهر من الشمس وابين من كل ما يحسن ، بل

الكائنات كلها ظلمة وهو نورها فانها به كانت وبه تبقى فهو موجد لها وقيومها

فان وجود ذواتها وصفاتها لا يستفاد الا منه وحده قال تعالى : * كل

٥

شي* هالك الا وجهه * فالشي* في هذه الآية هو الموجود وكل موجود

سواه سبحانه فهو ملوك غير مالك ، ولا لوجوده حال تصافه به فهو من حيث

ذاته هالك بالفعل ، والكلية في الآية على هذا التقرير لا يستثنى منها الا

ما استثنى الآية وهو الحق جلت ذاته وتمالت صفاته ،

(١) الفرقان بين صفات الخالق وصفات الاكوان : ص ٢٥ - ٢٧ .

(٢) سورة النمل : الآية " ٨٨ " .

١ = سورة الحديد

٢ = سورة الممتحنة

٨٨ = سورة الفلق

قال القاضي : ولك ان تقول في الآية : ان الهالك بمنى
القابل للهلاك وان لم يقع هلاكه بالفعل فتكون الآية مقرة لنفسي
وجوب الوجود عن جميع الكائنات ماضيها وحاضرها وآتيها ومشتبة
لامكانها فان ماوجب وجوده لا يقبل الزوال كما مر ولا يقبل الهلاك الا
الممكن وعلى هذا التقرير فعموم الآية على ما هو عليه فيها لا يخص منسبه
الا الواحد الوهاب وما بقي منها أبدا كالجنة والنار وأصحابهما فانما
يقاوم لارادة الخالق ذلك وليس لأنه لا يقبل الهلاك ، والكلام فسي
الآية الكريمة مسوق الاثبات وحدانيته في الأولوية على طريقة برهانية
معمجة في انجازها كمادة القرآن في شأنه كله ، وسط هذا المعنى
الشريف ان يقال كيف تدعون مع اللها آخر وتدعونه أى تعبدونه ،

(١) والا له يجب له الكمال الأكمل والكائنات كلها واقعة من النقص في الدرك
الأسفل فما رأيت هلاكه بالفعل فهو ظاهر النقصان بدهي الامكان
لا يحتاج في نفي الألوهية عنه الى بيان وكل ما تظنون دوامه وتتخيلون
له عزة البقاء فهو قابل للهلاك والفناء ، فأين هو ما تدعون ، فهو بمعزل
عن القدم ، فان الموجود الذي له القدم يستحيل عليه المدم ، فأنه
لا يكون قديما الا اذا كان واجب الوجود لذاته .

أقول وبالله التوفيق : ان الكلمة المعمجة التي قدمت عن وحدانيته
سبحانه وتعالى وان كان ذلك لا يحتاج الى برهان لولا أن الذكرى تنفع
المؤمنين ، ونظرا لقوله صلى الله عليه وسلم : " قرب مبلغ أوعى من سامع "

- (١) تبرهن هذه الأدلة على انه سبحانه وتعالى واجب الوجود وموجود
المفقود ، ان عقيدة الاسلام في أصلها أقدم في التاريخ البشرى من
العقائد الوثنية كلها وجدت كاملة منذ وجدت لأنها ليست نابذة من
أفكار البشرية ومعلوماتهم المتروكة انما هي آتية من عند الله سبحانه فهي
حق من اللحظة الأولى وهي كاملة منذ اللحظة الأولى هذا اما يقرره
القرآن الكريم ، ويقوم عليه التصور الاسلامي ، فقد هبط آدم الى الأرض
ليقوم بمهمة الخلافة فيها بعد أن تلقى من ربه كلمات فتاب عليه وأخذ عليه
العهد والmithاق أن يثبغ بآياته من هدى الله ولا يتبع الشيطان فانه
عدوه وعدو الله ، قال تعالى : * قلنا اهبطوا منها جميعا فاسا
يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون * ، هبط آدم
الى الأرض مسلما لله متبعا هداى ، وما من شك في أنه علم بنيه الاسلام
جيلا بعد جيل وان الاسلام كان أول عقيدة عرفت البشرية في الأرض ثم
انحرفت عن الاسلام بفعل الشيطان عدو الله وعدو الانسان وعدت يفسوث
ويحقق ونسرا ، فجاء نوح ومن بعده من المرسلين ليعيدوها الى أول
عقيدة عرفت في الأرض أنها الاسلام القائم على الألوهية والربوبية ، كذب
علماء الأديان المقارنة القائلين بتطور العقيدة من التعدد الى الانتخاب
ثم التوحيد ..

(١) العقيدة الاسلامية ، للدكتور كمال محمد عيسى ص ١٣٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٢٨ " ص ٩٢

(٣) عقيدة الاسلام : ص ١٣٦ .

أقول وبالله التوفيق : في هذا المقام وحين دخلنا في هذا

البحث يجدر بنا أن نبين أنواع التوحيد في ظل الكتاب والسنة ،

فالتوحيد أقسام ، أولاً : توحيد الربوبية وهو توحيد الله بأفعاله ،

(١) قال تعالى : * قل من يرزقكم من السماء والأرض ^{من} يهلك السمع

والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر

الأمر فسيقولون الله ، فقال أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا

بعد الحق إلا الضلال فاني تصرمون * . هذه أسئلة يوجهها الله

على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام إلى المشركين في مكة ومن على شاكلتهم

من أهل الألحاد والشرك في كل زمان ومكان ، إنها توجه المقول السى

مايجرى حولها من نعم الله يلمسونها في واقعهم يعلمونها في نفوسهم ،

يشاهدونها في حياتهم إنها تلك : من يرزقكم من السماء والأرض ؟ من

ماء ونبات وطير وأسماك ، ومعادن ، وحيوانات ، ودفء ، وحرارة ،

(٢) وضياء ، وهداية ، قال تعالى : * أفأرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعون

أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطابا فظلمتم تفكهن ^{ما الخمر من بدو الخمر} ، أفأرأيتم

الماء الذى تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء

(٣) جعلناه أجاجا فلولا تشكرون * وقال جل ذكره : * امن هذا

الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور * يسأل الله سبحانه

العبيد ان أمسك رزقه ، أو أمسك ماءه ، من يأتي برزق ، من يأتي

(١) سورة يونس : الآية " ٣١ " .

(٢) سورة الواقعة : الآيات " ٦٣ - ٦٧ " .

(٣) سورة الملك : الآية " ٢١ " .

بما يشرب صالح للشرب ، * قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتكم بما معين ويسأل أيضا سبحانه عن يهلك السمع والبصر ، أم هي المنقطعة بمعنى : بل تفيد اضراب الانتقال من سوء ال الى سوء ال (١)

من يستطيع خلقها ؟ من يستطيع تسويتها ؟ من يقدر على حفظها من الآفات ؟ من يهبها القدرة على أداء وظائفها أو يحرمها ، ان العلم يكشف عن دقائق صنع الله ، فيها ما يلوى اعناق المكذبين المشركين ومن هنا كانت هذه الاعضاء امانة عند صاحبها وكان سوء ولا عنها أمام واهبها فيقال للانسان يوم القيامة لم سمعت ما لا يحل لك سماعه لم نظرت الى ما لا يحل لك النظر اليه ، لم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه ، * ان السمع والبصر والفؤاد ^{كل} اولئك كان ^{عنه} مسؤولا *

من يخرج الحي من الميت أى : الطائر من البيضة والنبات من الحبة والانسان من البويضة ، من يخرج الميت من الحي ، أى : البيضة من الطائر والحبة من النبات والبويضة من الانسان وما أعجب ذلك حتى بعد ان أثبت العلم ان في كل منها حياة واستعدادا ، أين كانت تكمن السنبلة في الحبة ^{أركان} كان الفرخ في البيضة ؟ أين كان الكائن البشرى في البويضة ينقضي المعجب العجيب ولا تفسير له ولا تأويل الا قدرة الله وخير مثل يصطيه العلم لاخراج الحي من الميت والميت من الحي هو : الدم الحي في اجسم الحي يتولد من الطعام الذى يموت بالطهو

(١) العقيدة الاسلامية : ص ٣٠ .

(٢) في ظلال القرآن : ص ١٢٨١ .

والنار ثم يتحول هذا الدم الحي الى فضلات ميتة بالاحتراق ، من يدبر الأمر أى : من يقدره ويقضيه بين الخلائق وهذا من عطف المصالح على الخاص ، من يدبر حركة الافلاك ؟ من يدبر حركة الحياة ، من يدبر السنن الاجتماعية بين الناس ، فيقولون الله ، هذا جوابهم عن كل سؤال بانه الله ، * فقل أفلا تتقون * ما بالكم لا تخشون قدرته وتشركون في العبودية سواء ، ثم يتهمهم القرآن بوعيد اجابتهم منددا بانحرافهم عن الفطرة ، وانصرافهم عن التوحيد الى الشرك ومن الحق الى الضلال ، والحق واضح لا يتعدد : * فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فاني تصرفون * .

ثانيا : توحيد الألوهية :

(١) توحيد الألوهية هو : توحيد الله بأفعال خلقه ، هناك أعمال

تصدر من العباد لا يصح أن يتوجهوا بها الا الى الله وحده لأنها تخص الله عز وجل دون سوان فان اتجهوا بها الى غيره فقد وقصوا في الشرك منها الدعاء ، قال تعالى : * فاذا ركبوا في الفلك يدعو الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر انهم يشركون * عن النعمان

ابن بشير رضي الله عنهما : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" الدعاء هو العبادة " ثم قرأ : * وقال ربكم ادعوني أستجب لكم * لكن الناس في تناقض عجيب فحين يكونون على صفحة الماء تلمب

(١) العقيدة الاسلامية : ص ١٤ .

(٢) سورة غافر : الآية " ٦٠ " .

بهم الرياح وتتقاذفهم الأمواج تستيقظ فطرتهم التي تحس وحدانية الله فيلبون نداءها ويستجيبون لوجبها لجوءاً الى الله بعشاعرهم ، ودعاء اليه بالسنتهم ، فاذا نجوا الى البر وآمنوا المخاوف عادوا الى ماكانوا عليه من الشرك بالله ودعاء لغير الله .

أقول وبالله التوفيق : من هذا النوع الثاني من التوحيد الذي

(١) التزمت تبينه في هذا البحث : النية والقصد ، قال تعالى : * من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون * اختلف المفسرون في هذه الآية فقال الضحاك : نزلت في الكفار وأهل الشرك واختاره النحاس ، وقال أنس : نزلت في اليهود والنصارى ، وقيل نزلت في المنافقين والأولى حملها على العموم لتشمل الناس كافريهم ومسلمهم وانما كانت النية مدار الثواب والعقاب فسي الأعمال يرجع اليها لقوله صلى الله عليه وسلم : " انما الاعمال بالنيات " وهذا حديث صحيح ثابت وسنتكم على صحته بعد قليل بحول الله تعالى .

(١) سورة هود : الآية * ١٥ .

انظره في كتابه كثير ح ٤ ص ٤٢٩
والله اكبر ح ٩ ص ٨٤

فان من قصدوا بعمل الخيرات والطاعات الدنيا وحدها
وأرادوا بسعيهم زخارفها الكاذبة وتمتعها الزائلة من ثراء ورثاء ينالون
أجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا ورزقا وصحة ومتاعا
لكن ليس لهم في الآخرة الا النار فكل عليهم ~~هكذا~~ باطل حيث لم يريدوا
الآخرة ، وفي الحديث القدسي : " انا أغنى الاغنياء عن الشرك ع من
عمل عملا أشرك فيه معي غيرى تركته وشركه " رواه مسلم . وفي هذا
القسم من التوحيد حقوق لله عز وجل منها حق التشريع قال تعالى :
* اتخذوا أهبأهم ورحبأهم أربأا من دون الله والمسيح ابن مريم
وما أمروا الا ليعبدوا اله واحدا لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون *
وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الطاعة بطاعتهم

-
- الكلام على الحديث المتقدم :
- (١) الحديث فرد غريب صحيح قال الحافظ ابوبكر البزار بمسند
تخرجه - فيما نقل عنه العراقي (ص ٨٥) : " لا يصح عن
النبي صلى الله عليه وسلم الا من حديث عمر ، ولا عن عمر الا من
حديث علقمة ، ولا عن علقمة الا من حديث محمد بن ابراهيم ،
ولا عن محمد بن ابراهيم الا من حديث يحيى بن سعيد .
(٢) قال ابن حجر العسقلاني في النخبة : كان قيل حديث :
" انما الاعمال بالنيات فرد لم يروه عن عمر الا علقمة . قال :
قلنا : قد خطب به عمر رضي الله عنه على المنبر بحضرة الصحابة ==

(١) الباعث الحثيث في علوم الحديث ص ٥٧ الهامش

(٢) نخبة الفكر في مصطلح أهل الاثر ص ٢٥ .

== قلولا انهم لا يعرفونه لأنكروه كذا قال ، وتعقب بأنه لا يلزم
 من كونهم سكتوا عنه أن يكونوا سمعوه من غيره ويأن هذا لو سلم
 في عمر منع في تفرد علقمة " ، فالحديث فرد كما بينت ،
 والغريب والفرد مترادفان لغة واصطلاحاً إلا أن أهل الاصطلاح
 غيروا بينهما من حيث كثرة الاستعمال وقلته فالفرد أكثر ما يطلقونه
 على الفرد المطلق والغريب أكثر ما يطلقونه على الفرد النسبي
 وهذا من حيث اطلاق الأسماء عليهما . وأما من حيث استعمالهم
 الفعل المشتق فلا يفرقون ، يقولون في المطلق والنسبي تفسرد
 به فلان ، أو أعرب به فلان ، وهذا مثل اختلافهم في المرسل
 والمنقطع هل هما متغايران أم لا ؟ وعلى أية حال هذا الحديث
 تواتر النقل عن الأئمة في تعظيمه فقد اتفق عبد الرحمن بسنن
 مهدي والشافعي فيما نقله البويطي عنه ، واحمد بن حنبل ،
 وعلي بن المديني ، وابو داود ، والترمذي ، والدارقطني ،
 وحزمة الكناني على أنه ثبت العلم ، ومنهم من قال رحمه
 واختلفوا في تعيين الباقي ، وقال ابن مهدي : يدخل في
 ثلاثين باباً من العلم ، وقال الشافعي يدخل في سبعين باباً ،
 وقد أخرجه الأئمة في كتبهم ، سوى مالك بن انس ووهب من زعم
 انه في الموطأ وقد جاء هذا الحديث بلفظ الأعمال والنيات
 بالجمع ، وجاء بالأفراد أيضاً - فهما - . وجاء كذلك بحذف
 " انما " وزعم قوم انه متواتر وليس كذلك ، ولكنه مجمع على
 صحته وهو أحد القواعد الثلاث التي ترد اليها الأحكام عند
 الامام احمد وهذا هو معنى : كونه ثبت العلم عنده ، إلا اذا
 عني بالتواتر ، التواتر المعنوي - نعم تواتر عن يحيى بسنن
 سعيد ، فقد حكى محمد بن علي بن سعيد النقاش الحافظ
 انه رواه عن يحيى مائتان وخمسون نفساً .

- (١) في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم ، فان قيل قد قال تعالى ﴿ اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ﴾ قيل هم العلماء وقيل هم الأمراء وهما روايتان عن احمد قال ابن القيم : والتحقيق : ان الآية تعم الطائفتين ، قيل انما تجب طاعتهم اذا أمروا بطاعة الله وطاعة رسوله ، فالأمراء منفذين له ، فحينئذ تجب طاعتهم تبعاً لطاعة الله (٢) ورسوله ، كما قال صلى الله عليه وسلم : " لا طاعة في معصية انما الطاعة في المعروف " وقال ايضاً : على المرء المسلم السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية فان أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة " فليس في هذه الآية ما يخالف آية براءة ومعنى الآية واضح : الاحبار : جمع حبر بالفتح والكسر وهم علماء اليهود ، والرهبان : جمع راهب ، وهم علماء النصارى . أما كيف اتخذهم اليهود والنصارى أرباباً فيفسره حديث عدى بن حاتم قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في سورة التوبة : ﴿ اتخذوا أربابهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ الآية ، فقال : اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكن كانوا اذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه واذا حرموا عليهم شيئاً حرموه " رواه احمد والترمذى وحسنه . انظر ص ٢٦ مدخله الى الرسالة

المصادر

- (١) سورة العنكبوت الآية " ٣٣ " .
 (٢) العقيدة الاسلامية : ص ١٤١ - ١٤٢ .
 (٣) أخرجه البخارى : ٢٠٣/١٣ ، فتح البارى ، وسلم : ١٥/٦ ، أبو داود رقم ٢٦٢٥ ، والنسائي : ١٨٢/٢ والطيالسي : ص ١٠٩ ، واحمد : ٩٤/١ ، وطرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة : ١٤١/١ - ١٤٤ ، للشيخ ناصر الدين .
 (٤) العقيدة الاسلامية : ص ١٤٤ .

أقول وبالله التوفيق : إذا قيل في الحديث زواه أحمد :

فالذى يتبادر الى الذهن أنه في المسند وليس هو فيه كما نص على ذلك
(١) غير واحد ممن تعرضوا لهذا الحديث ، والسيوطي في الدر المنثور لم
يمزه اليه مع أنه عزاء لمن هو دون أحمد . ، وللحديث
(٢) طريق واحد فقد أخرجه الترمذى وابن جرير عن غطف بن أعين ، وغطف
ضعيف ، وقال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث
عبد السلام بن حرب وغطف بن أعين ليس بالمصروف في الحديث وعلى أية
حال الحديث له شاهد موقوف من حديث حذيفة عن ابن جرير بنحوه
وربما تقوى به . وجاء في التقريب غطف بن أعين الشيباني الجزرى ،
ويقال بالضاد المعجمة ، ضعيف من السابعة ، وقال في ترجمته في
التهذيب : روى له الترمذى حديثا واحدا وقال : ليس بمصروف في
الحديث .

أقول وبالله التوفيق : الحديث الذى روى له الترمذى هو

(٣) هذا الذى تكلمت عليه وبينت مافيه . وفي هذه الآية ما يجر من كان له
قلب أو القى السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله تأشير ما يقوله
الاسلاف على ما في الكتاب والسنة المطهرة فان طاعة المتذهب لمن
يقتدى به في القول ويستن بسنة من علماء هذه الامة مع مخالفته لما جاءت
به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه هو : كاتخاذ اليهود والنصارى

(١) الدر المنثور : ٣ / ٢٣٠

(٢) الترمذى : ٨ / ٤٨٢ .

(٣) تحفة الاحوذى : ٨ / ٤٩٣ .

للأخبار والرهبان أرباباً من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم
 وحرّموا ما حرّموا وأحلّوا ما أحلّوا ، وهذا هو : صنيع المقلّدين من
 هذه الأمة وهو أشبه به ، قال السدى : استنصحو الرجال ونهّدوا
 (١) كلام الله وراء ظهورهم ، ولهذا قال : * وما أمروا الا ليمسّدوا
 إليها واحداً * أى : الذى إذا حرّم الشيء فهو الحرام وإذا أحلّه
 فهو الحلال وما شرعه اتبع وما نهى عنه نهى ، وقال الألوسى في تفسيره :
 الأكثرون من المفسرين قالوا : ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا أنهم
 آلهة العالم بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم * والآية تقرّر
 أن الشرك بالله يتحقّق بمجرد إعطاء حق التشريع لغير الله من عباده ولو
 لم يصحبه شرك في الاعتقاد بالالوهية ولا تقديم الشعائر التمجيدية له -
 (٢) ومن ثمّ تسوى الآية في الوصف بالشرك بين اليهود الذين قبلوا التشريع
 من أخبارهم وأطاعوهم وبين النصارى الذين قالوا بالوهمية المسيح ، ولقد
 واجه القرآن اليهود بأنهم يقولون : " عزيز بن الله وواجه النصارى
 بأنهم يقولون : المسيح بن الله فلم يمتروا على هذه التهمة الخطيرة
 ولم يكذبوا أنهم يدعون هذه الدعوى الكاذبة التي لا تصدر عن إيمان فحق
 عليهم أن يدفّعهم بأنهم لا يدينون دين الحق ولا يؤمنون بالله فدين
 الحق هو التوحيد والإيمان بالله يقتضي تنزيهه عن مشابهة البشر وعن اتخاذه
 الصاحبة والولد فالبشر انما يتخذون الأبناء لحاجتهم الى الامتداد فسي
 ابنائهم وإلى العمون في كبرهم ، والله سبحانه وتعالى هو الغني القوي
 الخالق الباقي الذى خلق كل شيء * انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول
 له كن فيكون * .

(١) في ظلال القرآن : ٥٥/١٠ .

(٢) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٥٢٧ ط ٢٠ / ٢٠

وأما معنى الحديث الذى تقدم : انا أغنى الأغنياء عن الشرك "

لما كان النرائى قاصدا بعمله الله تعالى وغيره كان قد جمل الله تعالى شريكا فاذا كان كذلك فالله تعالى هو الغنى على الاطلاق والشركاء بمل جميع الخلق فقراء اليه بكل اعتبار فلا يليق بكرمه وغناه التام ان يقبل العمل الذى جعل له فيه شريك فان كماله تبارك وتعالى وكرمه وغناه (١)

يوجب ان لا يقبل ذلك ، ولا يلزم من اسم التفضيل اثبات غنى للشركاء ، فقد تقع المفاضلة بين الشيئين وان كان أحدهما لا فضل فيه كقوله تعالى :

* آله خيرا ماتشركون * وقوله تعالى : * أصحاب الجنة (٢)

يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا * وقوله : * من عمل عملا أشرك فيه (٣)

غيرى * أى : من قصد بذلك العمل الذى يعمل له لوجهى غيرى من المخلوقين تركته وشركه .

وفي رواية عند ابن ماجه وغيره : " فانا منه برىء وهو للذى أشرك " .

قال الطيبي : الضمير المنصوب في تركته يجوز أن يرجع الى العمل والمراد من الشرك الشريك ، قال ابن رجب : واعلم أن العمل لغير الله أقسام : فتارة يكون رياء محضا فلا يراد به سوى مراعات الناس المخلوقين لفرض دنيوى كحال المنافقين في صلاتهم كما قال تعالى : * واذا قاموا الى (٤)

الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا * . وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام ، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من الاعمال الظاهرة أو التي

(١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد : ص ٥٢٧ .

(٢) سورة النمل : الآية " ٦٠ " .

(٣) سورة الفرقان : الآية " ٢٥ " .

(٤) سورة النساء : الآية " ١٤٢ " .

يتعدى نعمها فان الأخلاق فيها عزيز ، وهذا العمل لا يشك مسلم في أنه حابط وان صاحبه يستحق المقت من الله والمقوبة ، وتارة يكون العمل لله ويشاركه الزبىء فان شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلان نفسه كالحديث الذى قدمت وحديث شداد بن أوس " ممن صلى يراى " فقد أشرك وان الله عز وجل يقول : * أنا خير قسم لمن أشرك بى شيئاً * (١) فان جده وعمله قليلة وكثيره لشريكه الذى أشرك به أقول انا عنه غنى "

أقول وبالله التوفيق : الأحاديث كثيرة وكذلك نصوص القرآن التى تنص على ان الشرك محيط للأعمال فلا تطيل بذكر ذلك كله ، والآن نبدأ فى القسم الأخير وهو الثالث من هذه الأقسام التى سبق أن التزمت تبينها فى هذا البحث وهو : توحيد الأسماء والصفات .

(١) رواه احمد . فى مسنده / ١٢٦

توحيد الأسماء والصفات :

(١) قال الله عز وجل : * ولله الأسماء الحسنی فادعوه بهيها

ونذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ماكانوا يعملون * وقال :

(٢) * ليس كمثله شيء * وهو السميع البصير * وقال : * قل هو الله

(٣) أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد * قال الدكتور

كمال : هذه الآيات تقدم مفاهيم عن الله تبارك وتعالى تركوا بهيها

(٤) نفس المؤمن ويستقيم إيمانه انها تلك : لله الاسماء الحسنی جاء ذلك

في أربع سور من كتاب الله عز وجل : * ولله الأسماء الحسنی فادعوه

بها * قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ايما تدعوا فله الأسماء الحسنی *

وهو الله الخالق الباري والمصور له الأسماء الحسنی * وذلك اخبار بما

له سبحانه من أسماء على الجملة دون التفصيل وقد وصفها بالحسنی تأنيث

الأحسن أى : التي هي : أحسن الأسماء لدالتها على أحسن مسمى

(٥) وأشرف مدلول ، أخرج البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله

ﷺ صلى الله عليه وسلم : " ان لله تسعة وتسعين اسما - مائة الا واحدا من

أحصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر " وهذا لا ينهي أن يكون له

اسماء أخرى غيرها ، يقول ابن كثير وابن القيم : ان الأسماء الحسنی

(١) سورة الاعراف : الآية " ١٨٠ "

(٢) سورة الشورى : الآية " ١١ " .

(٣) سورة الاخلاص : الآية " ١ "

(٤) العقيدة الإسلامية : ص ١٤ .

(٥) البخاري : ٩٦/٩ ، الفجالة .

٢٦ = (المع) ٤٧٦/٩

لا تدخل تحت حصر ، ولا تحد بعدد فان لله تعالى اسماء وصفات
استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها مالك مقرب ولا نبي مرسل كما
١- جاء في الحديث " أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فسي
كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك " . فجعل أسماء ثلاثة
أقسام : قسم سمي به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل
به كتابه ، وقسم أنزله في كتابه فتعريف به الى عباده ، وقسم استأثر به
في علم الغيب فلم يطلع عليه احدا من خلقه ، ومن هذا قول النبي صلى الله
(١) عليه وسلم : " فيفتح على من محامده بما لا أحسن الآن " ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم : " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " .
ودعاء الله لا يكون الا بتلك الأسماء ودعاؤه بها مرتبتان :

أحدهما : ثناء وعبادة ، ثانيهما : دعاء طلب ومسألة ، فلا
يتشبه عليه الا بأسمائه الحسنی وصفاته العلی ، وكذلك لا يسأل الا بها
(٢) دون غيرها فأسماءه سبحانه توقيفية على ما جاء في كتابه او على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم وقد نص القرآن الكريم على أن من الناس من يلحد فسي
أسمائه تعالى فيميلون بها وينحرفون بحقائقها عن الحق الثابت ، والاحاد
في اسمائه تعالى انواع : أحدهما : تسميته الاصنام بها كتسميتهم
(٣) اللات من الالهية ، والعزى من العزيز ، الثاني : تسميته تعالى بما لا
يليق بجلاله كتسمية النصارى له ألها ، الثالث : وصفه بما يتعالى عنه

(١) رواه أحمد والحاكم .

(٢) بدائع الفوائد : ١٤/١ .

(٣) العقيدة الإسلامية : ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

١- جميع التواتر مدحاً مع الالهة وجميع التواتر
ص ٥٧٥ و ٥٧٦ من مدح / ٤٤

ويتقدس من النقائص كقول اليهود انه فقير ، الرابع : تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول : انها الفاظ مجردة ، لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع - والبصير ، والحي ويقولون : لا حياة له ولا سمع ولا بصر . خامسا : تشبيه صفاته بصفات المخلوقين تعالى الله عما يقول المشركون علوا كبيرا ، فهم اذن يلحدون في اسمائه تعالى بالتفجير او بالزيادة أو بالنقصان ، والأمر بترك الملحدين معناه : الوعيد كقوله تعالى : * نرني ومن خلقت وحيدا * وقوله : * نرهم يأكلوا ويتمتعوا * ، وهذا أولى لقوله : * سيجزون ما كانوا يعملون * والقرآن الكريم حين يعرف بالله عز وجل يتخذ اسلوبا مشرقا لا غموض فيه ولا التواء يقوم على تقدير بين الله بأوصافه وأفعاله .

روى الامام احمد في مسنده عن أبي بن كعب رضي الله عنه : ان المشركين قالوا : يا محمد انسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى : (١) * قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد * (٢) ليس كمثله شيء فلا يشبهه له ولا ند ولا نظير ، فيجب الايمان بكل صفة وصف الله بها نفسه على الحقيقة وعدم التعرض لها بشيء من التكيف أو للتمثيل أو التشبيه مع الاعتقاد بأنه سبحانه منزّه عن مشابهة المخلوقات ومن صفاته التي انفرد بها سبحانه : الأول ، والآخر ، قال تعالى :

(١) سورة المديثر : الآية " ١١ " .

(٢) سورة الاعراف : الآية " ١٨٠ " .

(٣) مسند الامام احمد . ترتيب الساعى ح ١٨ / ٢٩٢

(٤) سورة الاخلاص : الآية " " .

وهذا الكتاب المسمى " هاشم كثر العمال
مراد من ح ١٨ / ١٢١

(١) * هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم * وقال :
 * كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون * ، وقال
 (٢) جل ذكره : * كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذي الجلال
 والاکرام * فالأولية دالة على أزليته وأنه لا شيء قبله ، والأخيرية دالة
 على أبديته وأنه لا شيء بعده والظاهرية دالة على عظمته وأنه لا شيء
 فوقه ، والباطنية دالة على معيته وأنه لا شيء دونه أحاطت أوليته ،
 وأخريته بالزمان والمكان فلا أول لوجوده إذ لم يسبقه عدم كما لا آخر
 لوجوده فلا يلحقه سبحانه - فناء - ، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بالمكان
 كله فهو سبحانه محيط بكل شيء ظاهر وباطن كما أنه محيط بالأوائل
 والأواخر ، وتدل الآيتان الأخيرتان على أنه سبحانه الدائم الباقي
 الذي يموت الخلائق ولا يموت فكل الذوات فانية زائلة الا ذاته تعالى
 وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : " اصدق كلمة قالها ليبد الا كل شيء ما خلا الله
 باطل .

أقول وبالله التوفيق : بعد هذا نعود الى الآيات المتقدمة
 فنقول : لماذا جاءت هذه الاسماء الأربعة متعاطفة والأصل في ذكر
 صفات الله الذاتية تجريدها من العطف كما في الكتاب العزيز ،
 العليم ، السميع ، البصير ، الغفور الرحيم ، فيجيب عنها ابن القيم :

(١) العقائد الإسلامية : ص ١٥٥ - ١٥٦

(٢) سورة الحديد : الآية " ٣ " .

(٣) سورة الرحمن الآية " ٢٦ - ٢٧ " .

(١) فيجيب عن هذا ابن القيم فيقول : أتى بحرف العطف الدال على

التغاير بين المتعاطفات ايذانا بأن هذه المعاني مع تباينها فهي
ثابتة للموصوف بها لأن في العطف مزيد تقرير وتوكيد لا يحصل بدونه ،
يدراً به توهم الإنكار لاجتماع هذه المقابلات في موصوف واحد ،

فقطع هذا الوهم بحرف العطف الدال على ان الوصف بالاولية هو
الوصف بالأخروية فكأنه قيل هو الأول وهو الأخير وهو الظاهر وهو

الباطن لا سواء ، ولما كانت هذه المخلوقات محدثة ونحن نعلم من

طبائعها وصفاتها أنها لا توجد بذاتها ، بل لا بد لها من موجد ،
عرفنا أن موجدها هو الله تبارك وتعالى ولما كان كمال الألوهية يقتضي
عدم احتياج الاله الى غيره ، بل ان من صفاته قيامه بنفسه ، عرفنا ان الله
تبارك وتعالى موجود بذاته وغير محتاج الى من يوجد به ، واذا وضعت

التقطعتين السابقتين الى جانب هذا الكلام اتضح لك هذا المقام ،
والعقل البشري أقصر من أن يتورط في أكثر من ذلك . وبهذه الكلمة
نكون قد اتيت على الأقسام الثلاثة الذي سبق ان التزم ببيانها عندما
عنت في الموضوع أرجوان اكون قد تجنبت التطويل الممل والتقصير
المخل والله حسبي ونعم الوكيل .

ونكون أيضاً قد بينا الجانب الأول من الفصل الثاني في إنكار
الوحدانية ومعبدة الأصنام ، وان التوحيد حل محل هذا ، ونسردك

(١) بدائع الفوائد : ١ / ١٩٠ .

(٢) المعقائد الإسلامية : ص ٥٦ ، ٥٧ .

- ان عقيدة التوحيد هي الباقية وغيرها يذهب جفاً فلا يمكث فـسـي الأرض وهي كذلك العقيدة التي نزلت تامة متكاملة . والشرك طارىء على أهل الأرض عندما طال بهم الأمد ، وعبدوا يفوث ويمسوق ونسرا وبعد ذلك جاءت العقيدة السماوية لتحل محل الأوثان وتزيل الباطل والأوهام ، وكان هؤلاء الأضنام قد أضلوا كثيراً ، قال تعالى : * ولا يفوث ويمسوق ونسرا وقد أضلوا كثيراً * ولما جاءت هذه العقيدة السمحة كانت بشارة لأهل الأرض لان من حقق التوحيد دخل الجنة ، قال تعالى : * والذين هم بربهم لا يشركون * ومناسبة هذه الآية أن الله سبحانه وصف المؤمنين السابقين الى الجنات بصفات أعظمها الثناء عليهم بأنهم بربهم لا يشركون أى : شيئاً من الشرك في وقت من الأوقات فان الايمان النافع مطلقاً لا يوجد الا بترك الشرك مطلقاً ، ولما كان المؤمن قد يعرض له ما يقدح في ايمانه بشرك جلي أو خفي نقى عنهم ذلك ومن كان كذلك فقد بلغ من تحقيق التوحيد النهاية وفاز بأعظم التجارة ودخل الجنة بلا حساب ولا عقاب . قال لابن كثير : * والذين هم بربهم لا يشركون * أى : لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون انه لا اله الا الله أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وانه لا نظير له ولا كفوء له ، ويعلم ان كل شيء انما يصدر عن قضاء الله وقدره فالشقي من شقى في بطن امه والسعيد من سعد في بطن امه رفعت الاقلام وجفت الصحف .

(١) سورة المؤمنين : الآية ٦١ *

(٢) كتاب التوحيد ، تفسير الميزان الحميد : ص ١٠١

(٣) تفسير ابن كثير : ٢٤٨/٣ ط عيسى البابي الحلبي وأواده

- وهذا يبين من قوله تعالى : * ولقد بعثنا في كل قرية رسولا أن اعبدا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين *
- (١) وقال عز وجل : * ان تحرص على هواهم فان الله لا يهدي من يضل ومالهم من ناصرين * . قال ابو بكر محمد بن الحسن الأجرى بعد سرد الأبيات : كل هذا يبين لكم الرب عز وجل به ان الانبياء انما بعثوا مبشرين ومنذرين وحجة الله على الخلق فمن يشاء الله له الايمان آمن ومن لم يشأ الله له الايمان لم يؤمن قد فرغ الله عز وجل من كل شيء قد كتب الطاعة لقوم وكتب المعصية على قوم ويرحم أقواما بعد معصيتهم اياه فيتوب عليهم وقوم لا يرجعهم ولا يتوب عليهم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " . قال ابن تيمية : واذا عرفت حكمة الرب وعدله تبين أنه انما يرسل الرسل الذين اصطفاهم لرسالته واختارهم لها لاقامة الحق على الناس كما قال * الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس * وكما قال لموسى عليه السلام : * وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى * وأنه اذا بلغ الرسالة وقام بالواجب وصبر على تكذيب المكذبين وأذا هم كما قضت به السنة في الرسل الى سائر ما أخبر به من أحوال الرسل ، والرسل صادقون صدقون يخبرون بالحق . ويأمرون بالعدل ويدعون الى عبادة الله وحده
- (٤)

(١) سورة النحل : الآية " ٣٦ " .

(٢) سورة النحل : الآية " ٣٧ " .

(٣) كتاب الشريعة للأجرى : ص ١٦٢ .

(٤) كتاب : النبوات لابن تيمية ص ٩٩ ، ط ١٣٤٦ هـ .

- لا شريك له . أقول وبالله التوفيق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم قاموا بالتبليغ على أتم وجه وأكملهم فهم مأمورون بالتبليغ والهداية التي هي هداية : ارشاد وتوجيه فقط . كما قال تعالى : ﴿ انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ * ، قال ابن القيم : جمع المنتسبين الى العلم من أصحاب مالك وأحمد والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم يقطعون بأن الله يعذب بعض أهل الذنوب بالنار ويمحو عن بعضهم . قال الجويني : اعلم وفقك الله تعالى لمرضاته ان كتاب الله العزيز اشتمل على أية دالة على تفرد سبحانه بهداية الخلق واذلالهم والطبع على قلوب الكفرة منهم ، وهي نصوص لا يبطال مذاهب مخالفي أهل الحق ، ونحن نذكر غرضنا من آيات الهدى والضلal ثم نتبعها بالآي المحتوية على ذكر الختم والطبع فما يعظم موقعه عليهم قوله تعالى : ﴿ والله يدعو الى دار السلام ويهدي الله من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ * ، وقوله تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأن ما يصعد الى السماء ﴾ * وقال أيضا : ﴿ من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ﴾ *

- الهدى في هذه الآيات لا يتجه حمله الا على خلق الايمان ، وكذلك لا يتجه حمل الأضلال على غير خلق الضلال ، ولسنا ننكسر

(١) كتاب : الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد للجويني

ص ٣١٠ .

(٢) سورة يونس : الآية " ٢٥ " .

(٣) سورة القصص : الآية " ٥٦ " .

(٤) سورة الانعام : الآية " ١٢٥ " .

(٥) كتاب الارشاد للجويني : ص : ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ .

١- سور الارشاد الآية ١٧٨

- ورود لفظ الهداية في كتاب الله عز وجل على غير المعنى الذي رماه ،
 فقد يرد والمراد به الدعوة قال تعالى : * وانك لتهدى الى
 صراط مستقيم * وقد ترد الهداية المراد بها الارشاد للمؤمنين الى
 مسالك الجنان والطريق المفضية اليها يوم القيامة ، قال تعالى :
 * فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم * فذكر الله تعالى
 المجاهدين في سبيله وعنهم المهاجرين والأنصار ثم قال :
 * سيهديهم ويصلح بالهم * فينبغي حمل الآية على ما ذكرناه ،
 وقال تعالى في الكفار : * فاهدوهم الى صراط الجحيم * ،
 معناه : فاسلكوا بهم ، والمعنى قوله تعالى : * واما ثمود فهديناهم
 فاستحبوا العمى على الهدى * أى : على ما دعوا اليه من الهدى
 يقول الامام الجويني : انما أشرنا الى انقسام معنى الهدى والضلال
 ونحيطوا علما بأننا لاننكر ورود الهدى والضلال على غير معنى
 الخلق ولكنا خصصنا بالآى التي صدرنا الفصل بها ولا سبيل الى حملها
 على الدعوة فانه تعالى فصل بين الدعوة والهداية فقال : * والله يدعو
 الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم * فخصص الهداية
 وعم الدعوة وهذا مقتضى ما استدلت به من الآيات ولا وجه لحملها على
 الارشاد الى طريق الجنان فان الله تعالى علق الهداية بمشيئته

-
- (١) سورة الشورى : الآية " ٥٢ .
 (٢) سورة محمد : الآية " ٤ .
 (٣) سورة الصافات : الآية " ٢٣ .
 (٤) سورة فصلت : الآية " ١٧٨ .

وارادته واختياره ، وكل من يستوجب الجنان فحتم على الله عند
(١) الممتزلة أن يدخله الجنة وقوله تعالى : * فمن يرد الله أن يهديه
يشرح صدره للإسلام * فصرح بأحكام الدنيا وشرح الصدور وخرجها
وذكر الاسلام من أصدق الآيات على ما قلته .

أقول وبالله التوفيق : لا يجب على الله سبحانه وتعالى شيء
الا ما أوجب على نفسه تفضيلاً منه كما جاء في الحديث الصحيح : " ما
حق الله على العبيد وما حق العبيد على الله " فذلك حق أوجبه على
نفسه ، وأما آيات الطبع والختم فمنها قوله تعالى : * ختم الله على
قلوبهم * وقال جل ذكره : * بل طبع الله عليها بكفرهم * (٢)
(١) وقال أيضاً : * وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم
(٣) وقرا * وقوله تعالى : * وجعلنا قلوبهم قاسية * .

يقول الجويني : وقد حارت الممتزلة في هذه الآيات واضطربت
لها آراؤهم فذهبت طائفة من البصريين الى حملها على تسمية الرب تعالى :
الكفرة بنهذ الكفر والضلال ، قالوا : فهذا معنى الطبع ولا خفاء في
سقوط هذا الكلام ، فان الرب تعالى تدح بهذه الآيات وأنها بها
عن اقتضائه واقتداره على ضمائر العباد واسرارهم وبين ان القلوب بحكمه
يقلبها كيف يشاء وصرح بذلك في قوله تعالى : * نقلب أفئدتهم
(٤) وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة * .

(١) سورة الانعام : الآية " ١٢٥ " .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٧ " .

(٣) سورة النساء : الآية " ١٠ " .

(٤) سورة الانعام : الآية " ١١٠ " .

الحمد لله / ٥ / ١٤٨

فكيف يجاز حمل هذه الآيات على تسمية وتلقيب وكيف
يسوغ ذلك للبهب ؟ قال محمد الفزالي : في كتابه عقيدة المسلم في
الكلام على قوله : * يضل من يشاء * : يقول الخطب في ذلك
سهل كذلك ولن نذهب في بيانه الى أبعد من كلام الله لمن شاء ان
(١) يفهم * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * ونحن نجد أن
اطلاق المشيئة في آيات تفيده آيات أخرى يذكر فيها الاعتبار الانساني
صريحاً : أى : ان اضلال الله لشخص معناه ان هذا الشخص
آثار الضي على الارشاد فأقره الله على مراده وتم له ما ينفي لنفسه ،
* فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين * ،
وانظر الى قيمة التنويه بالاتجاه : البشرى المعتاد ، قال تعالى :
(٢) * ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سهيل
المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم ^{دسائس} * فهل بقي غموض في اطلاق
المشيئة لا ان معنى قوله * يضل من يشاء * لا يتمدو قوله :
ع * وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه *
وكذلك الحال في * يهدي من يشاء * انظر الى قيمة الارادة
الانسانية في قول الحق وهو يتكلم عن ارادته ، * قل ان الله يضل
من يشاء ويهدي اليه من أناب * الذين آمنوا وتطمأن قلوبهم بذكر الله
ألا بذكر الله تطمئن القلوب * .

(١) كتاب عقيدة المسلم للشيخ محمد الفزالي : ص ٨٨ - ٨٩

(٢) سورة الرعد الآية ٢٨ ^{الماء} (١٥٧)

٤٨ سورة الرعد الآية
٤٦ - ٤٧ سورة التوبة الآية
١٥ سورة القمر الآية

فهو يهدي اليه من أناب : * ان الله لا يهدي القوم
 الفاسقين * اجعل أيها المسلم هذا النور بين يديك وسر في نوره
 بين شتى السور فلن تجد في دين الله قلقا أو اضطرابا وانما القلق
 والاضطراب في عقول الحمقى وقلوب الخافلين ، ثم يعترض فضيلة
 الشيخ سؤالا فيرد عليه ويقول : مع أنه لا مبرر له فنحن نتبرع بالاجابة
 عنه . أما السؤال نفسه يدور حول حدود الارادة الدنيا والعلينا
 في الأعمال ، ويقول الشيخ أن سبب اجابته عن هذا السؤال كسي
 يظهر السر في نسبة الهداية والاخلال تارة الى الله عز وجل وتارة
 للانسان ، ويضرب لذلك مثلا بما يفعله الفلاح في حقله انه يلقى
 البذور ويتعمده بالسقي وعلى الله الانبات والاشمار فتستطيع ان تسمي
 الفلاح زارعا وأنت صادق لقيامه بالسبب ، وتستطيع ان تسمي الحق
 سبحانه زارعا لقيامه بالممل : * افرأيت ما تحرثون أنتم تزرعون أم
 نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما * فما للانسان في سعيه مثل
 ما للفلاح في زرع . فزرع عرك ان شئت خيرا فان يد القدرة سوف تنمي
 لك ورعا يانعا وأل زرع ان شئت شرا فان يد القدرة تنمي شوكا رائعا .
 * وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون * . (١)

أقول وبالله التوفيق : لاشك أن الأمر كله لله وان قلوب
 العباد يقلبها الرب سبحانه كيف يشاء . ولذلك كان من دعائه
 صلى الله عليه وسلم : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " . (٢)

- (١) سورة :
 (٢) كتاب الايمان لابي شيبة المصنف : ص ١٧ .

١ - سور الراتعة (الراية) ٢٣١

- (١) أخرج ابن أبي شيبة في كتاب الايمان : حدثنا أبو معاوية
من الاعمش عن أبي سفيان عن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه
(٢) وسلم يكثر أن يقول : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " ،
قالوا : يا رسول الله آمنا بك وبما جئت فهل تخاف علينا ؟ قال :
نعم . ان القلوب بين اصبحين من أصابع الله يقلبها " وقال أيضا :
حدثنا معاذ بن معاذ أنبأنا أبو كعب صاحب الحريري أنبأنا شهر بن
حوشب قال : قلت لام سلمة : يا أم المؤمنين ما كان دعاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان عندك ؟ فقالت : كان أكثر
دعائه : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " ، قلت :
يا رسول الله ما أكثر دعائك : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ؟
(٣) قال : يا أم سلمة ليس من أدبي الا وقلبه بين اصبحين من أصابع الله
ما شاء أقام وما شاء أزاغ .
(٤) قال صاحب كتاب فتح المجيد : العبد وان كانت له مشيئة
فشيئته تابعة بمشيئة الله ولا قدرة له على أن يشاء شيئا الا اذا كان الله
قد شاء كما قال تعالى : * لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون الا أن
يشاء الله رب العالمين * .

- (٢) كتاب الايمان لأبي شيبة الميسي : ص ١٧
(٢) الحديث موقوف صحيح كما قال الالباني في تعليقه على كتاب
ابن أبي شيبة .
(٣) صحيح الاسناد على شرط مسلم واخرجه احمد : ٢٥٧/٢ ، من
طريق أخرى عن الاعمش والترمذي : ٢٠/٢ عن أبي معاوية به
وقال : حديث حسن ، وزاد في آخره كيف يشاء .
(٤) كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ص ٤١٩ تأليف الشيخ
عبد الرحمن آل الشيخ .

٢١ وقوله تعالى : * ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاءون الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيمًا * .
وفي هذه الآيات والأحاديث الرد على المعتزلة القدرية الذين يشنون للمبدع مشيئة تخالف ما أَرَادَهُ الله تعالى من المبدء وشاءه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فهو القاهر لخلقه والمخالص لهم في صفاته وأفعاله . ان من يتحقق لديه من صفات الله تعالى انه مخالف للحوادث ومنزه عن مشابهتها تنزيها تاما ثم يلاحظ تأكيد هذه الحقيقة من خلال اسماء الله الحسنی المأثورة التي تعود الى مخالفته تعالى للحوادث فيتمتع معنى اسماء الله " السلام " والقدوس " والفني " " والصمد " " والأول والآخر والباقي " فانه لا يمكن أن يقع في خطأ تشبيهه جل وعلا بمخلوقات ، أو تشبيه مخلوقات به . . .

- أقول وبالله التوفيق : كل المسلمين يعلمون ان الله سبحانه وتعالى نفى أن يكون لغيره ملك وذلك في قوله تعالى : * لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومن لا يملك هذا المقدار فليس بأهل أن يدعى . قال ابن تيمية : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفي ان يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله ،
- (٢)
- (٣)

(١) عقيدة المسلم : ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ط ١ ، عبد الرحمن حبنكة الميداني .

(٢) سورة سبأ : الآية ٢٢ .

(٣) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد : ص ٢٨٨ - ٢٨٩

ولم يبق الا الشفاعة فبين أنها اتلاتنفع الا لمن أذن له الرحمن كما
 قال : * ولا يشفعون الا لمن ارتضى * فهذه الشفاعة التي يظنها
 المشركون هي : منفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأخبر النبي صلى الله
 عليه وسلم انه يأتي فيسجد لربه يحبده لا يبدأ بالشفاعة أولا ثم يقال
 له ارفع رأسك واشفع تشفع الى آخر الحديث المعروف .

ومعنى كلام ابن تيمية : القسط بكسر القاف هو : النصيب من
 الشيء وذلك في قوله : " ومالهم فيها من شرك " أى : ما لمن تدعونه
 من الملائكة وغيرهم فيها أى : في السموات ولا في الارض من شرك " .
 ومن ليس بمالك ولا شريك للمالك فكيف يدعى من دون الله ، قوله : أو
 أن يكون عوناً لله ، ذلك في قوله : * وماله منهم من ظهير * ،
 أى : ماله ممن تدعونهم عون . وعلى أية حال فجملة الشروط التي لابد
 وان يكون أحدها في المدعو اربعة حتى يقدر على اجابة من دعاه ،
 الأول : الملك ونفاه سبحانه بالآية التي قدمت وهي قوله : * لا يملكون
 مثقال ذرة في السموات ولا في الارض .

(٢) الثاني : اذا لم يكن مالكا يكون شريكا للمالك فنفاه أيضا
 بقوله : * ومالهم فيهما من شرك * .

الثالث : اذا لم يكن مالكا ولا شريكا للمالك فيكون عوناً
 (٣) ووزيراً فنفاه بقوله تعالى : * وماله منهم من ظهير * .

(١) سورة الأنبياء : الآية " ٢٩ " .

(٢) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٢٩٠

(٣) سورة سبأ : الآية (٢٣) .

- الرابع : اذا لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عونا فيكون شفيها
 فنفي سبحانه الشفاعة عنده الا باذنه فهو الذي يأذن للشافع ابتداءً
 فيشفع ، فنفي هذه الأمور بطلت دعوة غير الله ان ليس عند غيره
 من النفع والضرر ما يوجب قصده بشي* من العبادة كما قال تعالى :
 * واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم (١)
 وهم لهم جند محضون * وقال جل ذكره : * واتخذوا من دونه
 آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون
 موتا ولا حياة ولا نشورا * . (٢)

وهذه الآيات المعنى المراد من ايرادى لها بين منها نصا
 ومعنى ، وأرجو أن اكون قد أعطيت عرضا كافيا لهذا الموضوع الأنف
 الذكر والذي بينت فيه انفراد الله بصفاته وأفعاله ومشيتته وان العبد أضعف
 من أن يكون سائلا او شريكا او مميئا أو شفيها الا بأذنه تعالى الله عن
 الاعتقادات الفاسدة علوا كبيرا ، ونود أن نبين هنا ان التكليف عملية
 وعملية كما قال الشيخ محمود شلتوت حيث قال : للانسان قوتان
 أحدهما : نظرية وكمالها في معرفة الحقائق على ماهي عليه ،
 والأخرى : عملية وكمالها في القيام بما ينبغي من الشئون في الحياة ،
 وقد قرر الاسلام هذا الجدا أساسا لسعادة الانسان في الدنيا والآخرة
 كما جاءت تكاليفه نوعين منها ما يطلب علما ومنها ما يطلب عملا ونسرى

(١) سورة يس : الآيات - " ٧٥ = ٧٦ " .

(٢) سورة طه : الآية * ٢ " ،

ذلك واضحاً جلياً في هذه الكثرة من الآيات القرآنية التي تجمع بين
الايان والعمل وترتبط بينهما النجاة والسعادة * من عمل صالحاً
من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة * ان الذين آمنسوا
وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً * والمصر ان
الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات *

وقد اصطلح العلماء على تسمية التكليف التي تتطلب علماً
" بالمقائد " أو اصول الدين كما اصطلحوا على تسمية التكليف التي
تتطلب عملاً " بالشرعة " أو الفروع . ولما كانت الحقائق التي يمكن
ان يعملها الانسان كثيرة وكان أكثرها لا يتصل من قريب بالسعادة التي
يقصدها الشارع قضت الحكمة ان يبين للناس ما يجب عليهم أن يؤمنوا به
في سبيل الحصول على تلك السعادة وذلك عند التحقيق يرجع إلى
الأصول التي اشتركت فيها المقائد السماوية جميعها من الايمان بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

أقول وبالله التوفيق : هذه الأمور أتفقت عليها الشرائع
السماوية كلها وحددها الشارع وطلب من الناس الايمان بها فلا يطلب
منه أن يقوم بعمل ما قبلها أي : قبل الايمان بها والايمان كما هو معروف
هو : الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل ، يقول محمود شلتوت :
ومن الواضح ان هذا الايمان لا يحصله كل ما يسمى دليلاً وانما يحصله
الدليل القاطع الذي لا تعثره شبهة ، وهذه النبهة نذكر أن
العقيدة الإسلامية حلت محل الكفر والشرك بالله وأن الكتب المنزلة
بينت ما يجب بآياته وبلغت الرسل الأوامر والنواهي على أكمل وجه .

كما قال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع آخر حجة حجها :
" اللهم اشهد هل بلغت ، وقد شهد الله له بالتبليغ في قوله :
أ - فتول عنهم فما أنت بطوم * والشرائع متفقة كما قدمت على ما يتعلق
بالمقائد . .

ونلاحظ هنا ان الذين وقع بينهم بعض الخلافات سواء في أسماء
الله أو صفاته أو أفعاله متفقون أيضا على تنزيه الله وان اختلفت الافهام
فالمقصد واحد وهو : تقديسه تعالى وتنزيهه عن النقائص فسن
أول ~~الكبرى~~ بعض الصفات أو الأسماء فذلك فرارا من التشبيه ومن أثبتتها
فرارا من التعطيل . وان كان الصواب اثبات ما أثبتته الله لنفسه ،
ونفي مانفاه عنها .

وهنا ننهي هذه الكلمة بعد أن بينا كيف حلت العقيدة محل
الشرك . ونبدأ بالفقرة الثانية لننفي فيها مانفاه الله في كتابه العزيز
ما اتخذ الكفار من تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم افتراء عليه
سبحانه وتعالى : * ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال
وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب * وأول هذه التشريعات الشيطانية
التي جاءوا بها من وحيه ما جعلها الله سبحانه وتعالى وما أمر بها ولا
أقرها هي : البهيرة .

١ - سورة الزمر الآية ٥٤
٢ - سورة النحل الآية ١١٦

باب البحيرة والسائبة والوصيلة والحلم

البحيرة

- (١) قال الراغب الأصفهاني في بحر أصل البحر كل مكان واسع جامع للماء الكثير ، هذا هو الأصل ، ثم اعتبرتارة سعة المعاينة ، فيقال : بحر كذا أو سعة سعة البحر تشبيها به ومنه يحرث البعير شققت أذنه شقا واسعا ومنه سميت البحيرة قال تعالى : * ما جعل الله من بحيرة * وذلك ما كانوا يجعلونه بالناقة اذا ولدت عشرة أبطن شقوا أذنهما فيسيوها فلا تركب ولا يحمل عليها وسعوا كل متوسع في شي* بحرا حتى قالوا فرس بحر باعتبار سعة جريه ، وللمتوسع في عليه بحر وقد تبحر أى : توسع في كذا ، والتبحر في العلم التوسع ، واعتبر من البحر تارة ملوحتة فليل ماء بحراني ، أى : ملح . وقال بعضهم : البحر يقال في الأصل للماء الملح دون العذب وقوله تعالى : * البحران هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج * انما سمي العذب بحرا لكونه مع الملح كما يقال للشمس والقمر x قران ، وقيل للسحاب الذى كثر ماؤه : نبات بحر ، وقوله تعالى : * ظهر الفلج في البر والبحر * قيل اراد في البوادي والارياف لافيا بين الماء وقولهم لقيت : صحرة ، بحرة ، أى : ظاهرا .

(١) مفردات الراغب في غريب القرآن : ص ٣٧ ، ط / الاخيرة .

١ - حرم الماء لذة الرب ١٢
٢ - حرم قاطر الاثم ١٢
٣ - حرم الرجم الرب ٤١

حيث لا شيء يستتره .

- أقول وبالله التوفيق : أكثر ما رأيت من المفسرين وكتب اللغسة
حاصل بينهم الاتفاق على هذه المادة أن أصلها التوسع وتستعمل فـ في
أشياء من ضمنها : شق اذن الدابة وهو : المطلب عندى بايراد هذه
(١)
المادة ، قال ابو حيان : البحيرة فعيلة بمعنى مفعولة كالنطيحة بمعنى
المنطوحة قال أبو عبيدة : هي الناقة اذا انتجت خمسة أبطن فـ في
آخرها ذكر شقوا أذننها وخلوا سبيلها ، لا تركب ولا تحلب ولا تطرد عسن
ما ولا مرعى . وروى نحوه عن ابن عباس ، الا أنه لم يذكر عنه آخرهسا
ذكر . وقال الشوكاني : والبحيرة فعلية بمعنى مفعولة فمرها بما عرف
(٢)
به البحر وغيره . وبهذا القول أيضا قال ابن جرير الطبرى وفي الصحيح
(٣)
من سعيد بن المسيب : البحيرة هي : التي يوضع درها فلا يحلبها
أحد من الناس . وهكذا قال القرطبي في كلامه على هذه الآية فنقل كلام
الطبرى بالحرف وأورد ما رواه سعيد بن المسيب في معنى البحيرة الا أن
القرطبي قال : وقيل : البحيرة لغة هي : الناقة مشقوقة الأذن يقال :
بحرت اذن الناقة أى : شققتها . شقا واسعا وهذا في رأي راجع
الى أصل المادة كما بينت آنفا .

-
- (١) تفسير البحر المحيط لابن حيان : ٢٨/٤ - ٢٩ .
(٢) تفسير الشوكاني المسمى فتح القدير : ٧٧/٢ .
(٣) تفسير ابن جرير الطبرى : ٣٣٧/٦ ط / الثانية .
(٤) تفسير القرطبي : ٣٣٥/٦ .

قال الشاعر :

محرمه لا يطعم الناس لحمها

ولا نحن في شي* كذاك البعائر

أقول وبالله التوفيق : ظاهر كلام القرطبي انه جعل هذه الفملة التي تعمل للناقة هي : أصل هذه المادة وليس كذلك بل الأصل هو : كما يبين الراغب مفرداته ، وأبو حيان في البحر ، وابن جرير الطبري فسي (١) تفسيره وقد تقدم هذا كله قبل قليل . وقال في تفسيره : كانوا اذا انتجت الناقة عشرة بطون شقوا أذنبا نصفين طولا فهي محورة وذلك كله ضلال

أقول وبالله التوفيق : اذا كان وقع بعض من الخلاف الطفيف في أصل هذه المادة ومشتقاتها فكذلك وقع الخلاف في مفردات هذه الآية الكريمة من سورة " المائدة " وأنا اتبع ذلك وابين الراجح فيه عندى بعد الاطلاع على الاقوال وأدلتها من ذلك قوله " اجعل الله " جعل هنا اكثر المتعرضين للآية على أنها بمعنى : سعى قال الطبري : جعل هنا بمعنى : سعى ، كما قال تعالى : * انا جعلناه قرآنا عربيا * ، أى : سميناه والمعنى في هذه الآية : ماسى الله ولا سن ذلك حكما ولا تعبد به شرعا بيد أنه قضى به علما وأوجده بقدرته خلاقا فان الله خالق كل شي* من خير وشر ونفع وضر وطاعة ومعصية وهو قول القرطبي والشوكاني : قال عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره : " وجعل في هذه الآية لا يتجه أن يكون بمعنى خلق ولا بمعنى صير وإنما هي بمعنى : ماسن ولا شرع ،

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ٤٩٢/١ لعبد الرحمن الثعالبي

- (١) قال جابر الله ابو محسود في كتابه الكشف : " ما جعل الله بمعنى :
 ما شرع ذلك ولا أمر بالتبشير والتسيب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا
 (٢) على الله الكذب وأكثرهم لا يمقلون " قال الحافظ ابن كثير في تفسيره :
 فأما البحيرة فقال علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما هي : الناقة
 اذا انتجت خمسة أبطن ، قلت : قد تواترت أخبار المفسرين في تفاسيرهم
 (٣) على هذا المعنى . قال ابو حيان قال ابو عبيدة هي : الناقة اذا انتجت
 (٤) خمسة أبطن ، وقال ابن جرير : البحيرة وهي : التي ينزع درهما
 فلا يحلبها احد من الناس .

أقول وبالله التوفيق : الظاهر ان المرب كانوا يختلفون في
 الطريق التي كانوا يفعلون في هذه المادة السيئة التي جعلوها عبادة
 كالنذر في الاسلام والعتق فيه قال ابن جرير : وأما كيفية عمل القوم في ذلك
 فلا علم لنا به وقد وردت الاخبار بوصف عملهم ذلك على ما قد حكينا وفيه
 ضائر الجهل بذلك اذا كان المراد من علمه المحتاج اليه موصل الى
 حقيقة وهو ان القوم كانوا يحرمون من أنماهم على انفسهم ما لم يحرمه الله
 اتباعا منهم خطوات الشيطان فويخهم الله تعالى بذلك وأخبرهم ان كل
 ذلك حلال ، فالحرمان عندنا من كل شيء ما حرم الله تعالى على لسان
 نبيه صلى الله عليه وسلم والحلال كذلك . وقد اختلف أقوال أهل العلم
 في المعنى " بالذين كفروا " في هذا الموضوع ، والمراد بقوله : * وأكثرهم
 لا يمقلون * .

-
- (١) الكشف عن حقائق عوامى التنزيل : ٦٨٥/١ .
 (٢) تفسير ابن كثير : ٥٧/١ .
 (٣) تفسير البحر المحيط لابي حيان : ٢٨/٤ - ٢٩ .
 (٤) تفسير ابن جرير الطبري : ٣٣٨/٦ .

- (١) قال ابن جرير : وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب أن يقال ان الممنيين بقوله : * ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون * الذين بهروا البحائر وسيبوا السوائب ووصلوا الوصائل ، وهموا الحامي مثل عمرو بن لحي وأشكاله من سنوا لأهل الشرك السنن الرديئة وغيروا دين الله دين الحق . وأضافوا اليه تعالى انه هو الذي حرم ما حرموا وأحل ما أحلوا افتراء على الله الكذب وهم يعلمون واختلافا لعله الا فك وهم يعلمون فكذبهم الله تعالى في قلوبهم ذلك ،
- (٢) أقول وبالله التوفيق : اذا كنت بهت جانبا من الحادات الجاهلية التي اتخذها الكفار تشريعا يحلون به ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل افتراء عليه وبالأخص ما يتعلق " بالبهيرة من ذلك " فان هذه الآية الكريمة من سورة المائدة صدرت بذكر السائبة ، والوصيلة والحام فينبغي ايضاح ما قام به الكفار من عادات نهوهم فهم مثل البهيرة من ناحيتي الاعتقاد والمادة والان نجمل القول فيهم في هذا المقام حسب تعاريف العلماء .

- (٣) قال ابو حيان : السائبة فاعلة من ساب اذا جرى على وجهه يقال : ساب الماء وسابت الحية . وقيل هي : السبيبة اسم الفاعل بمعنى المفعول نحو قولهم : عشية راضية أى : مرضية . قال أبو عبيدة : كان الرجل اذا قدم من سفرا ونذر نذرا أو شكر نعمة سيب بميرا فكان

(١) المصدر السابق : ٩٢/٧ .

(٢) ابن جرير الطبري : ٩٢/٧ .

(٣) البحر المحيط : لابي حيان : ٢٩/٤ .

(١) بمنزلة البحيرة في جميع ماحلوا لها ، وقد قال مجاهد : تد البحيرة :
مانتجت السائبة قال الشافعي : كانوا يهرون البحائر ويسبون السوائب
ويوصلون الوصيلة ويحمون الحامي على غير معان ، سمعت كثيرا من طوائفهم
يحكون فيه فتجتمع حكاياتهم على ان ماحكوا منه عندهم من العلم العام
الذي لا يشكون فيه ولا يمكن في مثله الغلط لأن فيما ذكروا أنهم سمعوا
عوامهم يحكون عن عوام من كان قبلهم فكان ما حكوا مجتمعين على حكاية
أن قالوا : " البحيرة : الناقة تنتج بطونا فيشق مالكا اذنها
ويخلي سبيلها ويجلب لونها في الأبطح ولا يستجيزون الانتفاع بها
ثم زاد بعضهم على بعض ، والسائبة المبد يمتقه الرجل عند
الحادث مثل البرء من المرض أو غيره من وجوه الشكر ويقول : قد أعتقتك
سائبة ولا ولا ، لنا عليك ولا ميراث يرجع منك ليكون أكمل لتبرنا فيك
وقال في أحكام القرآن : ولما كان المتق لا يقع على البهائم رد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ملك البحيرة والوصيلة والحام الى ملكه وأثبت المتق
وجمل الولاء لمن أعتق ، والبحر أيضا : داء يصيب الابل من كثرة
شرب الماء ، ومنه قول الشاعر :

لا ملطنك وسما لا تفارقه

كما يحمر بحمي الميسم البحر

(٢) قال ابن جرير بنحو الذي قلنا في البحيرة جاء الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وساق بسنده عن أبي الأحوص عن أبيه قال : دخلت

(١) احكام القرآن للشافعي : ص ١٤٣/١

(٢) تفسير ابن جرير الطبري : ٨٦/٧ - ٨٧ -

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : رأيت اهلك الست تنتجها
مسلمة آذانها فتأخذ موسى فتجدها تقول هذه بحيرة وتشق
آذانها تقول : هذه حرام ؟ قال : نعم ، قال : فان ساعد الله
أشد وموسى الله أحد كل مالك لك حلال لا يحرم عليك منه شي " ،
قال الفخر الرازي : اعلم انه تعالى لما صنع الناس من البحث عن
امور ما كلفوا بالبحث عنها كذلك منعه عن التزام أمور ما كلفوا التزامها
ولما كان الكفار يحرمون على أنفسهم الانتفاع بهذه الحيوانات وان كانوا
في غاية الاحتياج الى الانتفاع بها . بين تعالى ان ذلك باطل فقال :
* ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام * .

أقول وبالله التوفيق : قد تكلمت قبل قليل على معنى : ما جعل

- (١) الله وانها بمعنى : ما شرع ويتزيد ذلك وضوحا هنا ، قال الفخر :
اعلم انه يقال فعل ، وعمل ، وطفق ، وجعل ، وانشا ، وأقبل وبعضها
ام من بعض وأكثرها عموما . فعمل لانه واقع على أعمال الجوارح وأعمال
القلب أما انه واقع على أعمال الجوارح فظاهر وأما انه واقع على أعمال
القلب فالدليل عليه قوله تعالى : * لو شاء الله ما عبدنا من دونه من
شيء " نحن ولا آباؤنا الى قوله تعالى : * كذلك فعل الذين من قبلهم *
وأما عمل فانه أخص من " فعل " لأنه لا يقع الا على الجوارح ولا يقع على
الهم ، والمزمع ، والقصد ، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم :
- (٢)

(١) كتاب : الأم للشافعي : ١٨١ / ٦ ط ١

(٢) احكام القرآن للشافعي : ١٤٣ / ١ .

" نية المؤمن خير من عمله " جعل النية خير من العمل فلو كانت النية عملا لم كون النية خيرا من نفسها ، وأما جعل فله وجوه :

(١) أحدها : الحكم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناسا " . وثانيها : الخلق ومنه قوله : ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ . وثالثها : بمعنى التصير ومنه قوله : ﴿ انما جعلناه قرآنا عربيا ﴾ اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى : ﴿ ما جعل الله أى : ما حكم ولا شرع ولا أمر به ، وقد ذكر الله سبحانه هنا امورا ؛ الأولى البهيرة وسينت معناها وحكمها وأنها : الناقة تشق أذنهما وتترك للطافوت وهذا لا يعرف له وجه سوى الحرمة وانه من أعمال المشركين التي حرمها الله وحذر منها بالاضافة الى ذلك التحريم والتشنيع لا معنى لها كما أشار الى ذلك ابن جرير ، قال ابن حجر في الفتح : والفصل لا يتناول القول حقيقة ويتناوله مجازا .

أقول وبالله التوفيق : قول الفخر الرازي ان فعل تتناول فمسل الجوارح والقلب ليس على اطلاقه كما اشرنا له آنفا .

الثاني : من هذه المسائل ، السائبة وقد بينتها لغة ومعنى ،

والثالث : الوصيلة وأكثر المفسرين على أنها الشاة تلك ذكرنا وانثى قاله الزمخشري اذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلئتهم ذكرنا وانثى ، قالوا : وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلئتهم ، هذا هو معنى الوصيلة والشائع بين المفسرين بيد انه روى عن ابن عباس ان الوصيلة في الابل ، وقال القرطبي : الوصيلة ، الشاة اذا تمت

(١)
المررت

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل : ح ١ / ٢٩٩

(٢) تفسير القرطبي : ٢ / ٥٠٩ - ٣٣٦ .

- (١) عشرة أبطن ، وقال الراغب الأصفهاني في قول الله عز وجل " ولا وصيلة " هو ان احدهم كان اذا ولدت له شاة ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاهها
(٢) فلا يذبحون أخاهها من أجلها قال الحافظ ابن كثير : والوصيلة ، قال علي بن أبي طلحة ت عن ابن عباس هي : الشاة اذا انتجت سبعة أبطن نظروا الى السابع فان كان ذكرا وأنثى في بطن واحد استحيوهما وقالوا :

وصلت اخت فحرمته علينا . رواه ابن أبي حاتم ، وقال عبد الرزاق :
انبأنا معمر عن الزهري عن سميع بن مسيب " ولا وصيلة " قال :
فالوصيلة من الابل ، وكذا روى عن الامام مالك بن أنس .

- أقول وبالله التوفيق : هذه الخلافات لانجني من تحقيقها كثير
(٣) فائدة لذلك نكتفي بحزوا الاقوال فيها الى اصحابها : والاكترون كما
قدمت على ان الوصيلة من الغنم كما قال الثعالبي في تفسير الجواهر
(٤) الحسان ، فقال : وعلى ان الوصيلة في الغنم جاءت أكثر الروايات ،
قال السيد قطب عليه رضوان الله وعلى اية حال هناك روايات شتى عشتن
تعريف هذه الانواع من الطقوس لا ترتفع على هذا المستوى من التصوير
ولا تزيد الاسباب معقولية على هذه الاسباب وهي كما ترى أوهام مسن

-
- (١) مفردات الراغب في غريب القرآن ص ٥٢٥ .
(٢) تفسير ابن كثير : ١٠٨/٢ .
(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ٤٩٢/١ .
(٤) في ظلال القرآن : ٢٠٧ / ٢٦ - ٢٧ .

ظلمات الوتية المخيم ، وحين تكون الأوهام هي الحكم لا يكون هناك حد ولا فاصل وسرعان ما تتفرغ الطقوس ويضاف اليها وينقص منها بلا ضابط الا الأهواء والأوهام وهذا هو الذي كان في جاهلية العرب والذي يمكن ان يحدث في كل زمان ومكان حين ينحرف الضمير البشري عن التوحيد المطلق الذي لا منحرجات فيه ولا كلام ، والجاهلية فترة من الزمان ولكنها حالة في الوجدان ، فأما وجدانية واضحة تجمع كسل غيوط المشاعر والأفكار والاتجاهات والنشاط ، وأما وثية في صورة من الصور لا ضابط لها ولا حدود لأن العقل البشري وحده لا يكفي اذا لم يكن الضابط الموزون في الضمير ، فالمقل يتأثر بالهوى كما نشهد في كل حين اذا لم يكن هناك ذلك الضابط الموزون ، الى أن قال سيد قطب، اما الوصيلة فان بعض أهل اللغة ذكر أنها الانثى من الفم اذا ولدت مع الذكر .

أقول وبالله التوفيق : هذا يميز الأقوال التي سبق ذكرها واتفاقها على ان الوصيلة من الفم ، وأرجو ان يكون هذا كافيا فسي بيانها وتعريفها ومعناها والله الموفق .

- أما الحام فهو من الابل بلا شك وهو أيضا من الأنعام التي حرمت ظهورها كما قال الفخر الرازي : وهو قول السدي ، وقيل (١) الراغب " ولا حام " قيل : هو الفحل اذا ضرب عشرة أبطن . كان يقال : حمى ظهره فلا يركب ، وقال ابن كثير في تفسيره وقال علي (٢)

(١) في ظلال القرآن : ٧ - ٢٥ - ٢٦

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ١٢٣ .

(٣) تفسير الحافظ ابن كثير : ١٠٩/٢ .

ابن ابي طلحة عن ابن عباس ، وأما الحام فالفحل من الابل اذا ولد ولده ، قالوا : حمى ظهره فلا يحملون عليه شيئا ولا يجزون له وبرا ولا يمنعون من ماء ولا حمى وان كان الحوض لغير صاحبه ، وقال ابن وهب سمعت مالكا يقول : اما الحام فمن الابل كان يضرب في الابل فاذا انقضى ضرابه جعلوا عليه ريش الطوالييس وسيوه وقد قيل غير ذلك في تفسير هذه الآية ، وقال سيد قطب : الحام الفحل من الابل كان يضرب الضراب المعداد فاذا بلغ ذلك العدد يقال : حمى ظهره فيترك فيسمونه : الحامي ، قال الشاعر :

(١)

حماها أبو قابوس في عز ملكه
كما قد حمى أولاد الفحل

وهذا أيضا قول الطبري والشوكاني وغيرهما من المفسرين .
أقول وبالله التوفيق : بعمد أن بينت معنى مفردات هذه الآية من قوله عز وجل : * ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام * يجدر بنا ان نتعرض لمعرفة أول من اتخذ هذه الطريقة الفاسدة الذي تحمل وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة والعيان بالله تعالى .
ويعد معرفة ذلك والتأكد منه بما يدل عليه من نصوص محكمة نرجع بعمون الله الى الآية أيضا لنعرف ماذا أخذ العلماء منها وما الذي استنتجوه من أحكام على ضوء ما نصت عليه تصريحاً أو تلويحاً ، أما المسألة الاولى التي هي : أول من اتخذ هذه الفعلة الشنيعة فان العلماء اعطوا ذلك اهتماما

(٢)

(١) لكبر جريمته ، فقد روى الامام البخارى قال : حدثنا موسى بن اسماعيل

حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد
ابن المسيب : قال البهيرة : التي يمنع درها للطواغيت فلا يحملها
أحد من الناس ، والسائبة كانوا يسيئون بها لآلهتهم لا يحمل عليها شي .

قال : وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رأيت

عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب " (٢)

قال ابن كثير ورواه مسلم والنسائي من حديث ابراهيم بن سعد به ، ثم
قال البخارى وقال لي أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال :

سمعت سعيدا يخبر بهذا وقال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

نحوه ، ورواه ابن الهاد ، عن ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الحاكم : أراد البخارى

أن يزيد بن عبد الله بن الهاد رواه عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهري

كذا حكاه أبو الحجاج المزي في الأطراف وسكت ولم ينهه عليه وفيما قاله

الحاكم نظر فان الامام احمد وأبا جعفر بن جرير روياه من حديث

الليث بن سعد عن ابن الهاد عن الزهري نفسه والله أعلم ، ثم قال

البخارى : حدثنا محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرمانى حدثنا

حسان بن ابراهيم حدثنا يونس عن الزهري عن عروة ان عائشة رضي الله

عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رأيت جهنم يحطم

بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه في النار ، وهو أول من سيب (٣)

(١) صحيح البخارى : ٤٦/٦

(٢) تفسير ابن كثير : ١٠٧/٢

(٣) القصب بوزن قفل : اسم للأعماء كلها .

السوائب ، قال ابن كثير تفرد به البخاري ، وقال ابن جرير : حدثنا
عبد الله بن يونس بن بكير حدثنا محمد بن اسحاق حدثني محمد بن ابراهيم

ابن الحارث عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول **أَكْثَمُ** **بَنُ الْجَوْنِ** * **يَا أَكْثَمُ** رَأَيْتَ **عَمْرُو** **بَنَ لَحْيٍ**

١٠ ابن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبه بهرجل به

(١) منك ولا بك منه " فقال : أكنتم أتخشى أن يضرني شبهه يارسول الله

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الا انك مؤمن وهو كافر انه أول

من غير دين ابراهيم وحر البهيرة وسيب السائبة وحمى الحامي " قال

ابن كثير ثم رواه عن هناد عن عبدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن

أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه أو مثله .

(٢) وقال الامام احمد : حدثنا عمرو بن مجمع حدثنا ابراهيم

عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم :

” ان أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وانسي

رأيت يجرأسماء في النار " تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وقال :

(٣) عبد الرزاق : أنبأنا معمر بن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : " اني لأعرف أول من سيب السوائب وأول من

غير دين ابراهيم عليه السلام قالوا : ومن هو يا رسول الله ، قال :

”رجل من بنی مدلج کانت له ناقتان فجذع آذانها وحرّم البانیها

ثم شرب البانها بعد ذلك فلقد رأيت في النار وهما يعضانه بأفواههما

(١) تفسير ابن جرير الطبري : ٣٣٨/٦ .

(۲) مستند الامام احمد :

(٣) مصنف عبد الرزاق : ٢٦/٩ •

(١) ويطأه بأخفافهما ، فعصرو هذا هو : ابن لحي بن قمعة أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جرهم وكان أول من غير دين ابراهيم الخليل ف أدخل الأصنام الى الحجاز ودعا الرعاء الى عبادتها والتقرب بها وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيرها كما ذكره الله تعالى في سورة " الانعام " قال تعالى : * وجعلوا لله مازراً أمن الحرث والأنعام نصيباً *

أقول وبالله التوفيق : هذه النصوص التي أوردت لبيان أول من فعل هذه الفعلة تختلف مراتبها اختلافا كبيرا فبعضها ثابت في الصحيح لا مطعن فيه ، والثاني منها ان لم يثبت الى درجة حديث البخاري فعلى الأقل يقوى بعضها بعضها فتصبح لجموعها دليلا قاطعا على أن هذا الرجل هو أول من دعا الى هذه العبادة الوثنية الشنيعة ونضيف هنا الى ذهن القارئ الكريم أن حديث البخاري في هذا الموضوع والذي تقدم تقريره وجاء فيه : " رأيت عمرو بن عامر الخزامي يجبر قسبة في النار وكان أول من سيب السوائب وبحر البحائر " المرفوع منه قوله : " رأيت عمرو بن عامر فقط " كما نص على ذلك ابن حجر في الفتح . وقد أشار المناوي في قبض القدير شرح الجامع الصغير الى أن الحديث متفق عليه (٣) من حديث ابي هريرة وان الامام أحمد اخبره في مسنده كذلك .
والحديث أيضا له طريق أخرى من رواية عائشة في البخاري

(١) البخاري : ٤٦/٦ .

(٢) فتح الباري : ٢٨٤/٨ .

(٣) قبض القدير : ٩/٤ ط / الاولى .

الا أن روايتها في صحيح البخاري رأيتها بدون " كلمة " في " النار " وجميع تفسير الأربعة المذكورة في الآية عن سعيد بن المسيب وقع فسي رواية الاسماعيلي من طريق يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه بهذا الاسناد الا انه بعد ايراد المرفوع قال وقال : سعيد بن المسيب : الوصلة الناقصة الى آخره " فأوضح أن التفسير جميعه موقوف وهذا هو المعتمد ، قال ابن حجر وهكذا أخرجه ابن مردويه من طريق يحيى ابن سعيد وعبد الله بن زياد عن ابن شهاب مفصلا وقوله في المرفوع : " وهو اول من سيب السوائب " زاد في رواية ابي صالح عن أبي هريرة عند مسلم " وبحر البحيرة وغير دين اسماعيل " وروى عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم مرسلا " أول من سيب السوائب عمرو بن لحي ، (١) وأول من بحر البحائر رجل من بني مدلج جدع اذن ناقته وحرم شرب لبنها والأول أصح والله أعلم .

أقول وبالله التوفيق : الأثر الذي نحن فيه رواه الطبراني باسنادين أولهما محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين المصري ثقة وأبوه عبد الله بن عبد الحكم بن أعين الفقيه المصري ثقة مترجم له - في التهذيب ، وشعيب بن الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري ثقة وأبوه الليث بن سعد الامام الجليل القدير ، وابن الهاد هو يزيد بن الهاد منسوب الى جده وهو : يزيد بن عبد الله بن اسامة ابن الهاد " ثقة .

الاسناد الثاني

يونس هو : يونس بن عبد الأعلى الصدفي " ثقة " وعبد الله
يونس الكلاعي " ثقة " من شيوخ البخاري مترجم له في التهذيب ، وخبر
أبي هريرة هذا من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن
ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رواه أحمد في المسند
رقم ٨٢٢٣ من طرق وأشار إليه البخاري في صحيحه ٤٦/٦ وذكره
ابن حجر في الفتح ٢١٤/٨ ، وقد رواه قبل من طريق صالح بن
كيسان عن ابن شهاب عن سعيد ، ورواه أحمد قبل ذلك منقطعا رقم
٢٦٩٦ من طريق عبد الرزاق عن معمر وعن الزهري عن أبي هريرة ،
وأما مسلم فرواه في صحيحه ١٨٩/١٢ من طريق صالح بن كيسان عن
ابن شهاب عن سعيد وذكره ابن كثير : ٢٥٣/٣ في تفسيره وأشار
إلى أن ابن الهاد قد ثبت سماعه عن الزهري ولم يبين هو ما أراد أبو
الحجاج بما قال ولم يفسر الحافظ في الفتح كلام المزي ولم يتظن سرق
إليه ، وما قدمته من الكلام على هذه الآثار أرجو أن أكون قد بينت ما فيه
كفاية من النصوص المتعلقة بهذه الفعلة التي ضل فيها المشركون كغيرها
من أفعالهم القبيحة الشنيعة وإذا نظرنا قليلا إلى هذه الأفعال الستة
ظلموا عليها يرجون بها التقرب إلى الباري جل وعلا وفكرنا مليا فلا
نجد لها مبررا يحفز على فعلها سوى ما يميله الشيطان على أوليائه
ومن هذه الزاوية ندرك أن الله سبحانه وتعالى لا يعبد إلا بما شرع
وإن العبادة لا تنفع إلا إذا وافقت الشرع السماوي فلم يكن الأمر فيها
متروكا للرأى ، ولا لما يصبوا إليه الإنسان ولا ما يستحسنه فقد يرى

حسنا ما ليس بالحسن والنص الشرعي هو الفصل في كل ما يأتي الانسان وما يدع والتشريع قد تم والوحي انقطع كما هو معروف فلا يتطلع الانسان الى غير الموجود الا لغرض مشبوه والموجود فيه الكفاية التامة ،

١ - * اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً *

وبعد هذا النص القرآني يتضح أن من زاد أو استزاد فقد ساهم في التشويش على الاسلام وأهله ، نسأل الله العفو والمغفرة وأن نكون عند أوامره ونواهيه انه سميع مجيب .

والآن نبدأ في بيان النقطة الثانية التي استنتجها بعض العلماء من هذه الآية الكريمة والتي ذكرت في مطلبها اني سأعرض لمـا دلت عليه الآية تصريحاً أو تلويحاً ، ونناقش ما عزي الى الامام ابي حنيفة رضي الله عنه من تعلقه بهذه الآية في منع : الأحباس ورد الأوقاف بل نتبع نسبة القول اليه لمعرفة حقيقة والله الموفق والهادي الى أقوم سبيل .

١ - سورة المائدة الآية ٣

الفصل الرابع مخرج سد اخنوخ الفقراء لبيارة اشرارهم في تحرير العدل

- ٢٥٦ -

مناقشة استنتاج ابي حنيفة من الآية

(١)

أقول وبالله التوفيق : ان الامام ابا حنيفة رضي الله عنه تعلق بهذه الآية في منع الاحباس ورد الأوقاف بحجة ان الله تعالى عاب على العرب ما كانت تفعل من تسييب البهائم وحمائتها وحبس أنفاسها عنها وقاس على البحيرة والسائبة ، والفرق بين ، ولو عمد رجل السي ضيعة له فقال : هذه تكون حبسا لا يجتنى ثمرها ، ولا تزرع أرضها ولا ينتفع منها بنفع لجاز أن يشبه هذا بالبحيرة والسائبة وقد قال علقمة لمن سأله عن هذه الأشياء ما تريد الا شيئا كان من عمل الجاهلية وقد ذهب وقال نحوه ابن زيد وجمهور العلماء على القول بجواز الاحباس والأوقاف ماعدا ابي حنيفة وأبي يوسف وزفر ، وهو قول شريح الا أن أبا يوسف رجع عن قول ابي حنيفة في ذلك لما حدثه ابن عليه عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يتصدق بسهمه من خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " احبس الاصل وسبل الشجرة " وبه يحتج كل من أجاز الاحباس وهو حديث صحيح قاله ابو عمر ، وأيضا فان المسألة اجماع من الصحابة وذلك أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وعائشة وفاطمة ، وعمر بن العاص وابن الزبير وجابر كلهم وقفوا الأوقاف بمكة والمدينة وهي معروفة مشهورة وروى أن ابا يوسف قال لمالك بحضرة الرشيد : ان الحبس لا يجوز . فقال له مالك هذه أحباس رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك ، وأحباس أصحابه ،

(١) تفسير القرطبي : ٣٣٨/٦ / ط وزارة التعليم والتربية بمصر.

٥- صريح الجامع الصغير ١/ ١١١ والنبار ١/ ١٤

والسائق ١/ ٩٢٠ والله ما جده ١/ ٨١١

١ كد س زحم ٢٩٧

وأما ما احتج به أبو حنيفة من الآية فلا حجة فيه لأن الله سبحانه انما
عاب عليهم ان تصرفوا بمعقولهم بغير شرع توجه اليهم أو تكليف فرض عليهم
في قطع طريق الانتفاع وانهاب نعمة الله تعالى وازالة المصلحة التي
للعباد في تلك الابل ، وبهذا فارقت هذه الأمور الاحباس والأوقاف
وما احتج به أبو حنيفة وزفر أيضا مارواه عطاء عن ابن المسيب قال :
سألت شريحا عن رجل جعل داره حبسا على الآخر من ولده فقال :
لا حبس عن فرائض الله ، قالوا : فهذا شريح قاضي عمرو عثمان وعلي
الخلفاء الراشدين حكم بذلك ، واحتج أيضا بما رواه ابن لهيعة عن
أخيه عيسى عن عكرمة عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ما أنزلت سورة " النساء " وأنزل الله فيها الفرائض ينهي عن الحبس

(١)

أقول وبالله التوفيق : الصدقة التي يضيها المتصدق في
حياته على ما أذن الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وعمل بها
الأئمة الراشدون رضي الله عنهم ليس من الحبس عن فرائض الله ولا حجة في
قول يخالف قول الرسول صلى الله عليه وسلم سواء كان مصدره شريحا
أو غيره . بعد عمل الصحابة الذين هم الحجة على جميع الخلق .
وأما حديث ابن عباس فرواه ابن لهيعة ، وهو : رجل اختلط عقله فسي
آخر عمره وأخوه غير معروف فلا حجة فيه ، قال ابن القصار : فان قيل
كيف يجوز أن تخرج الأرض بالوقف عن مالكها لا إلى ملك مالك ؟ قال
الطحاوي يقال لهم : وما ينكر من هذا وقد اتفقت أنت وخصك على
الأرض يجعلها صاحبها مسجدا للمسلمين ويخلي بينهم وبينها وقد
خرجت بذلك من ملك إلى غير مالك ولكن إلى الله تعالى وكذلك السقايات

والجسور ، والقناطر ، فما ألزمت مخالفك بحجتك عليه يلزمك بهذا كله والله أعلم ، وعق السائبة كما نص على ذلك القرطبي وعزاه لمالك وأصحابه جائز وهو ان يقول السيد لعبد انت حر وبنو العتق ، أو يقول اعتقتك سائبة فالمشهور من مذهب مالك عند جماعة أصحابه ان ولاه لجماعته المسلمين وعقته نافذ هكذا رواه عنه ابن القاسم وابن عبد الحكم واشهب وغيرهم وه قال ابن وهب ورواه عن مالك قال : لا يعتق أحد سائبة لان الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الولا وعن هبته قال ابن عبد البر : وهذا عند كل من ذهب مذهبه انما هو محمول على كراهية عتق السائبة . فان وقع نفذ وكان الحكم فيه مذكروا . وروى ابن وهب ايضا وابن القاسم عن مالك انه قال : انا اكراه عتق السائبة وانهى عنه . فان وقع نفذ وكان ميراثا لجماعة المسلمين وعقله عليهم ، وقال أصبغ لا بأس بعتق السائبة ابتداء ، ذهب الى المشهور من مذهب مالك ، قال ابن نافع لا سائبة اليوم في الاسلام ومن اعتق سائبة كان ولاه له " وه قال الشافعي وأبو حنيفة ومال اليه ابن العربي واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم : " من اعتق سائبة فلا ولاه له " ويقولون : " انما الولا لمن اعتق " نفى ان يكون الولا لغير معتق .

واحتجوا ايضا بقوله تعالى : * ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام " . وحديث : " لا سائبة في الاسلام ، ولما زواه

قيس بن هزيل بن شرحبيل قال رجل لعبد الله اني اعتقت غلاما لسي سائبة فماذا ترى فيه ؟ فقال عبد الله : ان أهل الاسلام لا يسييرون انما كانت تسبب أهل الجاهلية انت وارثه وولي نعمته .

أقول وبالله التوفيق : بعمد ان وقع موضوع الحبس في هذا البحث حيث جر له استنتاج ابي حنيفة من الآية التي نحن في الكلام عليها بما أني قد قدمت في أول هذا البحث اني سنتعرض لما دلت عليه الآية تصريحاً او تلويحاً وما استنتج منها من احكام وأناقش ذلك وأبدى فيه رأيي وعمد رؤس الاقلام الذي قدمت في أول الكلام على هذه الفقرة ايذاناً بأن فيها خلافاً يحتاج من الكتاب ادراك حقيقته والوقوف على صحة عزوه لهذا الامام الجليل مع أن الثابت عند الجمهور هو مشروعية الوقف وحديثه ثابت وصحيح وقول يخالف هذا يحتاج الى دليل كهذا أو أعلى منه على الأقل لا سيما ان كان من هذا الامام الجليل وعندئذ يجب البحث والتحقيق والتنقيح لنصرف مدى صحة عزو هذا القول اليه ومصدره فيه وهذا يطلب مني اطلاعا واسما وبحثا كبيرا في المراجع وتتبع الخلافات وسبب الخلاف وبالتالي ثمرته وسوف نسند الأقوال الى قائلها ونصحح عزوها ونترجم لما يحتاج ترجمة ليكون ذلك أشد تثبيتاً وأقوى ثقة بأقواله وأبعد به عن الجهالة والله الموفق والهادي الى الصواب ،

قال تعالى : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة

ولا حام ﴾ هذه الآية من كتاب الله عز وجل هي التي استنتج منها

ابو حنيفة رضي الله عنه منع الاحباس ورد الأوقاف ، وقد اختلف الفقهاء في مشروعية الوقف فمنهم من أجازة مطلقا ومنهم من منعه مطلقا وهناك من أجازة في حال ومنعه في أخرى وأنا اتبع ذلك وأبينه بحول الله فيما يلي :

” اختلاف الفقهاء ”

- اختلف الفقهاء في مشروعية الوقف على أقوال ثلاثة وبمبناها قريبا ، والآن أتبع الطوائف وبالاخص الحنفية لمعرفة أخبار الوقف عند فقهاءهم لنعرف ما يقولونه عن امامهم ابي حنيفة من نسبة المنع اليه ، أما الطوائف الثلاث : فالأولى رأيها الجواز المطلق على وجه الاستحباب ، ذهب الجمهور من الفقهاء الشافعية ، والمالكية (١) والحنابلة ، والحنفية (٢) إلا رواية عن أبي حنيفة وزفر الى جواز (٣)

- (١) الام للامام الشافعي : ٢٧٤/١ - ٢٧٥ ، ومختصر العزني بهامش الام : ١١٥/١ .
(٢) الخرشي على خليل : ٧٨/٧ ، ومنح الجليل للشيخ عتيق : ٣٤/٣ .
(٣) المغني لابن قدامة بهامش الشرح الكبير : ٨٥/٦ والشرح الكبير ٨٥/٦ .
(٤) المبسوط : ٢٧/١٢ ووقف هلال ص ٦ ، والاسعاف : ص ٣ .
(٥) زفر هو ابن الهذيل بن قيس ابوالهذيل الحنظلي البصري من أكابر أصحاب ابي حنيفة وأبرعهم في القياس أمام من أئمة المسلمين وعلم من أعلامهم ولي قضاء البصرة ولد سنة عشرومئة وتوفي بالبصرة سنة ثمان وخمسين ومائة انظر ترجمته في تاج التراجم ص ٢٨ ، والجواهر المضيئة : ٢٤٣/١ ، وانظر المحلى لابن حزم : ١٥٠/٩

الوقف في الدور والأرضين بما فيها من البناء والفرس ، وفي العبيد ،
والسلاح والكراع والثياب والمصاحف وغيرها ، وقيد الهمض الجواز
بالسلاح والكراع فقط وأبطله فيما عدا ذلك ، وهذا الرأي منقول عن
ابن مسعود وعلي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم .

الأدلة :

استدل الفقهاء القائلون بالجواز مطلقا بجمللة أدلة منها أدلة

عامة تشمل الوقف وغيره ومنها أدلة خاصة بالوقف . أولا الأدلة العامة :

استدل الفقهاء على الصدقات عموما ومنها الوقف بما يلي : الكتاب :

مثل قوله تعالى : * لن نتناولا البرحتى تنفقوا ما تحبون * ووجه (١)

الاستدلال أن الصدقات مندوب إليها والوقف صدقة فهو مندوب إليه ، (٢)

ومن أنس بن مالك قال : لما نزلت هذه الآية قال أبو طلحة : (٣)

(١) سورة آل عمران : الآية " ٩٢ " .

(٢) أنس بن مالك بن النضر الانصاري الخزرجي أبو حمزة خادم النبي

صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهو ابن عشر وقيل ثمان سنين توفي

سنة اثنتين وقيل احد وقيل ثلاث وتسعين وكان آخر من توفى

من الصحابة بالبصرة انظر ترجمته في الاصابة : ٧١/١ ،

والاستيعاب : ٧١/١ ، واسد الغابة : ١٢٧/١ ، وتهذيب

التهذيب : ٣٧١/١ ، وتذكرة الحفاظ : ٤٤/١ .

(٣) أبو طلحة هو : زيد بن سهل بن الأسود بن حزم عمرو بن زيد

مناة الانصاري الخزرجي النجاري أبو طلحة من أكابر الصحابة

وفضلائهم وشجعانهم شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم بيعة

الحقبة والمشاهد كلها ولد سنة (٣٦) قبل الهجرة وتوفي سنة ==

- ان ربنا ليسألنا فاشهدك يا رسول الله : اني جعلت ارضي لله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اجعلها في قرابتك ، في حسان بن ثابت ، وابي بن كعب ، وقال القرطبي في تفسير هذه الآية : ففي هذه الآية دليل على استعمال ظاهر الخطاب وعمومه ، فان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين لم يفهموا من فحوى الخطاب حين نزلت الآية غير ذلك ألا ترى أن ابا طلحة حين سمع الآية لم يحتج أن يقف حتى يسرد البيان الذي يريد الله أن يقف منه عباده بأية أخرى أو سنة معينة لذلك فانهم يحبون اشياء كثيرة ، واستدلوا ايضا بما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية او علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له رواه مسلم واللفظ له . وابن ماجه (٣) والترمذى ،
- (١)
- (٢)

- == اربع وقيل اثنتين وثلاثين وقيل سنة خمسين او احدى وخمسين ترجمته في الكتب السالفة الذكر اعني : الاصابة : ١/٥٦٦ ، والاستيعاب بهامش الاصابة : ص ٥٤٩ .
- (١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ١١/٨٥ ، وسنن أبي داود : ٣/١١٧ ، والفتح الرباني : ١٥/١٧٧ ، وسنن ابن ماجه : ١/٨٨ ، وسنن الترمذى بشرح تحفة الاحوذى : ٢/٣٩٨ .
- (٢) هو الامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري وقد اجمع العلماء على جلالته وامامته وعلو مرتبته وحذفته في الحديث وتقدمه فيه واكبر الادلة على ذلك كتابه الصحيح " توفي رحمه الله سنة ٢٦١ انظر ترجمته في خلاصة التهذيب ص ٣٢٠ ، ووفيات الاعيان : ٤/٢٨٠ وطبقات السيوطي ص ٢٦٠ .
- (٣) ابن ماجه هو محمد بن يزيد بن ماجه القزويني احد الاعلام ==

وابوداود واحد ، ووجه الاستدلال انه نص على الصدقة الجارية
مما لا ينقطع اجرها عن العبد ولا يمكن تصوير جريان الصدقة الا حسب افهوم مندوب اليه .
قال النووي : مانعه : وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظم
ثوابه " .

==
وصاحب السنن والتفسير ثقة كبير متفق عليه في الحديث محتج
به له معرفة وحفظ توفي سنة ٢٧٣ وانظر ترجمته في خلاصة
التهذيب : ص ٣١٢ وتهذيب التهذيب : ٥٣٠/٩ ،
وطبقات السيوطي : ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

الأدلة الخاصة بالوقف

استدل لرأى القائلين بجواز الوقف بمايلي :

(١) وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام وقف في سبيل الله ارضا له ، فقد روى عن عمرو بن الحارث

(١) انظر البخارى بهامش الفتح : ٢٣١/٥ ، والسنن الكبرى : ١٦٠/٦ ، وسنن النسائي : ٢٢٩/٦ ، وسنن الدارقطني : ٥٠٢/٢ .

” الأعلام في الحديث السابق ”

الترمذى هو محمد بن عيسى بن سورة السلي ابو عيسى الترمذى الحافظ الضهير وصاحب الجامع الصحيح ” في الحديث ” وألف في تفسيره ايضا مات سنة ٢٧٩ ، انظر ترجمته في خلاصة التهذيب ص ٢٩٣ ، والأعلام : ٢١٣/٧ ، وطبقات السيوطي ص ٢٧٨ النسائي هو محمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي ابا عبد الرحمن القاضي الحافظ صاحب السنن وأحد الاعلام المبرزين والحافظ توفي في فلسطين ودفن ببيت المقدس وقيل بمكة سنة ٣٠٤ شهيدا رحمه الله ” لانه مات من التهذيب ” انظر ترجمته في خلاصة التهذيب ص ٦ ، وطبقات السيوطي : ٣٠٣ ، والبداية والنهاية : ١٢٣/١١ وتهذيب التهذيب : ٣٦/٢ ، وشذرات الذهب : ٢٣٩/٢ .

الدارقطني : هو الامام الكبير علي بن عمر الدارقطني (٣٠٦ - ٣٨٥) حافظ عصره الفذ في علم الحديث ومعرفة علله ورجاله وكان فقيها على مذهب الشافعي له مؤلفات منها ” السنن ” والمختلف والمؤتلف (انظر ترجمته في البداية والنهاية : ٣١٧/١١ وتاريخ بغداد ٣٤/١٢ ، وطبقات السيوطي : ص ٣٩٣ ، وشذرات الذهب : ١١٦/٣ ، والنجوم الزاهرة : ١٧٢/٤ .

- ابن المصطلق انه قال : ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بغلته
البيضاء* وسلاحه وارضاً تركها صدقة* رواه البخارى واللفظ له ،
والبيهقي - والنسائي ، والدارقطني ، وروى عن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل سبع حيطان له بالمدينة صدقة
على بني عبد المطلب وبني هاشم رواه البيهقي . (١)
- وروى عن ابن طاوس عن ابيه انه قال اخبرني المدري ان صدقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل منها أهله بالمعروف غير المنكر (٢)

- (١) البيهقي هو : احمد بن الحسن بن علي البيهقي ابوبكر
أحد اعلام الشافعية وامام من أئمة الحديث صاحب السنن الكبرى
ولد في شعبان سنة اربع وثمانين وثلاثمائة وتوفي في الماشر
من جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وأربعمائة .
انظر ترجمته في الطبقات للسبكي : ٨/٤ ، وطبقات
الأسنوى : ١٩٩/١ ، وطبقات الحسين : ص ٥٥ ، والبداية
والنهاية : ٩٤/٢ ،
- (٢) حجر المدري : هو ابن قيس الهمداني المدري اليمني
تابع شقة وكان من خيار التابعين . وذكره ابن حبان فسي
الثقات .

انظر تهذيب التهذيب : ٢١٥/٢ .

- (١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، وقد أخرج الشيخان ، واللفظ للبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما . قال : أصاب عمر بخير أرضا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنقص منه فكيف تأمرني به . قال : " ان شئت حبست أصلها وتمدقت بها " فتصدق عمر انه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقهاء والقرى . والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل لا جناح على من وليها ان يأكل منها غير محمول فيه " متفق عليه .

- (١) ابن أبي شيبة هو : ابوبكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان المكي مولاهم الكوفي الحافظ المحدث الفقيه ، روى عن البخاري ومسلم وأبي داود وابن ماجه وأبي زرعة وأبي حاتم وغيرهم ومن تصانيفه : السنن في الفقه ، والمستند في الحديث ، توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين . انظر ترجمته في طبقات السيوطي : ١٧٩ وخلاصة تهذيب الكمال : ١٧٩/١٠ ، ومجمع المؤلفين : ١٠٥/٦ .
- (٢) انظر البخاري مع فتح الباري : ٥ / ٢٥٩ - ٢٦٠ ومسلم بشرح النووي : ١ / ٨٥ - ٨٦ والسنن الكبرى للبيهقي : ١٥٨/٦ - ١٥٩ وسنن الدارقطني : ٢ / ٥٠٣ ، وتعليق المفني بهامش الدارقطني : ٢ / ٥٠٤ ، والمستند للإمام احمد : ٧ / ١٦٤ و٦ / ٢٧٧ ، والترمذي بهامش تحفة الأئمة : ٢ / ٣٩٧ - ٣٩٨ وسنن أبي داود : ٣ / ١١٦ - ١٨٨ ، ونيل الأوطار : ٦ / ١٨ ، وسبل السلام : ٣ / ٨٦ .

- (١) أما الحديث الذي جاء في مصنف ابن أبي شيبة فقد قال الزيلعي في نصب الراية مانعه : " وفي مصنف ابن أبي شيبة في باب الاحاديث التي اعترض بها على أبي هنيئة حد ثنا ابن عيينة عن ابن طاوس عن ابيه اخبرني حجر المدري قال في صدقة النبي صلى الله عليه وسلم يأكل منها أهلها بالمعروف غير المنكر وايضا ماروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أمر بالمسجد وقال : " يا بني النجار ثامنوني حائطكم هذا . فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله رواه البخاري ، وماروي عن ابي هريرة رضي الله عنه أنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم عربن الخطاب على الصدقات فمضى ابن جميل وغالد بن الوليد والعباس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما ينقم ابن جميل الا ان كان فقيرا ماغناه الله

- (١) نصب الراية للامام الزيلعي : ٤٧٩/٣ .
 (٢) البخاري بهامش فتح الباري : ٢٦٣/٥ .
 (٣) ابو هريرة ، هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، اختلف الناس في اسمه واسم ابيه وما اثبت هو المشهور صحابي جليل ، وهو أكثر الصحابة رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحفظهم لحديثه . قال الشعبي : ابو هريرة احفظ مسنن روى الحديث في الدنيا - توفي بالمدينة سنة سبع وقيسلس ثمان وقيل تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين ، انظر ترجمته في الاصابة والاستيعاب : ٢٠٢/٤ ، وأسد الغابة :

٠ ٣١٥/٥

١ = صحاح الجامع الصغير ١٩٤/٥

وأما خالد فانكم تظلمون خالد . وقد احتبس اذ راعه واعتده فـسـي سبيل الله ، وأما العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهي على ومثلها " رواه البخاري واللفظ له ، ومسلم والبيهقي ، ووجه الاستدلال ان النبي صلى الله عليه وسلم أقر لخالد حبس اعتده فيكون النهي دليلا على صحة الوقف وجوازه ولو كان الحبس غير جائز لما أقر النبي صلى الله عليه وسلم خالد ا على فعله .

أقول وبالله التوفيق : أوقاف الصحابة والتابعين مشهورة معروفة حتى الآن ، وجواز الوقف واستحبابه أشهر من أن يطلب له دليل بل هو من أجل أعمال البر وأحاديث ما بين متفق عليه وحسن ومشهور ، ويعد أن قدمت من الأدلة الصريحة ما يكفي لثبوته انتقل الى أدلة الإحناف لنرى ما قال فيه الامام الجليل ابو حنيفة رضي الله عنه ونتتبع ما عزي اليه من قول في منع الاحباس ورد الأوقاف علما بأن الذين عزوا اليه القول بالمنع هم من أهل التحقيق والتنقيح وعلى رأسهم ابو عبد الله القرطبي في تفسيره جامع البيان .

" رأى الطائفة المانعة للوقف مطلقا "

وقد ذهب الى منع القاضي شريح وابو حنيفة في رواية عنه وهو قول عامة أهل الكوفة . (١)

(١) انظر وقف هلال : ص ٥ ، والمبسوط : ٢٩/١٢ حيث يقول : وسئل الشعبي عن الحبس فقال : جاء محمد صلى الله عليه وسلم يبيع الحبس وقال ابن عود وابن عباس لا حبس عن فرائض الله .

وقبل أن انقل أدلة هذه الطائفة وأقوالها لابد من تحريـر
الرواية في هذا الموضوع عن أبي حنيفة وما استند اليه من منع الوقف لأن
هذه الرواية عنه فيها ارتباك بسبب عدم اتفاق فقهاء الحنفية على
المراد بها عنده .

رأى أبي حنيفة في جواز اهل الوقف

انقسم الحنفية فيما يتعلق بالرواية عن أبي حنيفة الى ثلاث فرق :

(١) الفرقة الاولى : صرحوا عنه بالبطلان . فقد صرح هلال في وقفه

مانعه : قلت : رأيـت رجلا قال أرضي هذه وسمى حدودها صدقة

موقوفة ثم لم يزد على ذلك شيئا . قال ابو حنيفة رحمه الله : هذا كله

(٢) باطل ولا يكون وقفا وله ان يحدث فيه ما بدا له بعد ذلك . وهذا قول

الحامة من أهل الكوفة .

(١) هلال بن يحيى بن مسلم البصرى الراى من أعيان الحنفية

سمى هلالا الراى لاشتهاره به وكان على مذهب الكوفيين ،

ورأيهم ، توفي سنة ٢٤٥ ، انظر ترجمته في الجواهر

المضيئة : ٢٠٥/٢ ، والاعلام : ٩٥/٩ .

(٢) وقف هلال : ص ٥ .

” الفرقة الثانية قالوا عنه أنه لا يجيز الوقف ”

- فقد ذكر محمد في الأصل قال : كان ابو حنيفة لا يجيز الوقف
- (١) فأخذ بعض الناس بظاهر هذا اللفظ فقالوا : لا يجوز الوقف عنده
- (٢) وجاء في التشيين : الوقف لا يجوز عند أبي حنيفة أصلاً وهو : المذكور
- في الأصل - أي : بسوط محمد ، وقال الخفاف : أخبرني أبي
- (٣) عن الحسن بن زياد قال ابو حنيفة رحمه الله لا يجيز الوقف الا ما كان على
- (٤) طريق الوصايا وذكر الطحاوي في مختصره مائمه : ” ولا يجوز تحبيس
- الرجل داره ولا ارضه ولا وقفه لهما ولا صدقته لهما وان جعل آخرهما له
- عز وجل في قول أبي حنيفة رضي الله عنه الا أن يكون فعل ذلك في مرضه
- الذي مات فيه فيخرج مخرج الوصايا ويجوز لما تجوز الوصايا ، وقد روى عن
- محمد بن الحسن عن أبي حنيفة ان ذلك لا يجوز منه في مرضه كما لا يجوز
- منه في صحته وانه لا يخرج مخرج الوصايا وهو الصحيح على أصوله .

- (١) انظر حاشية ابن عابدين : ٤٩٤/٣ والاسعاف : ص ٣
- والمبسوط : ٢٧/١٢ .
- (٢) انظر تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق - ٣٢٥/٣ .
- (٣) هو احمد بن عمرو ابو بكر الخفاف الشيباني فقيه حنفي ورع له عدة
- مصنفات منها : ” كتاب الوصايا وكتاب الرضاء وكتاب آداب القاضي ”
- وكتاب احكام الوقف ” توفي سنة ٢٦١ انظر ترجمته في طبقات
- الحنفية : ٤٨٤/١ ، وتاج التراجم ص ٧ .
- (٤) انظر مختصر الطحاوي تحقيق ابو الوفاء الافغاني : ص ١٣٦ .

” الفرقة الثالثة ”

- (١) قالوا : انه يجيزه ولكنه غير لازم عنده ، قال الدكتور محمد عبد الله الكبيسي ” وجمهور أصحاب هذا القول ليس عندهم ما يستدلون به على هذا الا تأويلهم لعدم الجواز بعدم اللزوم ، وهذا عند من أراد التوفيق بين الروایتين . ومنهم من أطلق الجواز دون التأويل ، جاء في الدر المختار مانصه :
- (٢) والأصح : أنه عنده جائز غير لازم كالعارية ، وقال في الاسعاف وهو جائز عند علمائنا أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله ثم قال : وانما الخلاف بينهم في اللزوم وعدمه فعند أبي حنيفة رحمه الله يجوز جواز الاعارة ، وقال ابن عابدين في حاشيته على الدر والصحيح انه جائز عند الكل وانما الخلاف بينهم في اللزوم وعدمه ” وقال السرخسي :
- (٣)
- (٤)

- (١) هو دكتور محاضر في جامعة بغداد وبهائة معروف ومناصر له كتاب احكام الوقف في الشريعة الاسلامية وهو كتاب نفيس يدل على غزارة علمه وادراكه للأصول والفروع جزاه الله خيرا على خدمة الاسلام والمسلمين .
- (٢) الدر المختار مع حاشية ابن عابدين : ٤٩٤/٣ .
- (٣) انظر الاسعاف : ص ٣ .
- (٤) انظر الجسوط : ٣٧/١٢ .

" وظن بعض أصحابنا انه غير جائز على قول ابي حنيفة واليه يشير في ظاهر الرواية ، فيقول : أما ابو حنيفة فكان لا يجيز ذلك ومراده : انه لا يجعله لازما ، فأما أصل الجواز فثبت عنده لأنه جعل الواقف حابسا للمعين على ولكه صارفا للمنفعة الى الجهة التي سماها فيكون بمنزلة العارية ، والعارية جائزة غير لازمة .

(١) وجاء في التبيين بعد ذكره لرأى ابي حنيفة في عدم الجواز كما

(٢) هو المذكور في الأصل . وقيل يجوز عنده الا أنه لا يلزم بمنزلة العارية .

حتى يرجع فيه في أى وقت يشاء ويورث عنه اذا مات وهو الأصح " ،

وقال في الهداية وهو في الشرع عند ابي حنيفة حبس العين على ملك

الواقف والتصدق بالمنفعة بمنزلة العارية ثم قيل : المنفعة معدومة

فالتصدق بالمعذور لا يصح ، فلا يجوز الوقف اصلا عنده ، وهو المفلوظ

في الأصل والأصح : انه جائز عنده الا أنه غير لازم بمنزلة العارية . قال

الدكتور محمد عبيد في كتاب أحكام الوقف بعد أن ذكر أدلة الاقوال :

ومن هذا يتبين ان من الفقهاء الاحناف من ذكر الروايتين عن الامام

ابي حنيفة ومنهم من ذكر رواية واحدة وهي : المذكورة في الأصل لمحمد

ابن الحسن مكتفيا بتفسير كلمة " لا يجيز " بعدم اللزوم وهذا ما فعله

الامام السرخسي كما رأينا غير أن ما ذهب اليه السرخسي لم يسلم له وأقل

ما يقال فيه : أنه تحميل للنص مالا ينحتمل لانه لم يقدم ما يبرهن على

أن المراد بـ " لا يجيز " انه جائز غير لازم ، فاننا ما علمنا ان الذي

(١) انظر تعيين الحقائق بشم كنز الدقائق : ٣٢٥/٣ .

(٢) انظر الهداية بهامش فتح نقدير : ٤٠/٥ .

عبر عن رأى أبي حنيفة بقوله : " لا يجيز " ما هو الا صاحبه محمد
ابن الحسن الذى هو علم من أعلام اللغة وامام من أئمتها كان هذا مدعاة
للتردد في قبول تأويل السرخسي ، واقتضاه على رواية واحدة وهي
" الجواز غير اللازم " فلم يمس ما يمنع الامام محمد رحمه الله من التعبير
عن رأى أبي حنيفة ، بخبر " لا يجيز " فيما لو كان الأمر كما ذكره
السرخسي من أنه يعني : " جائز غير لازم " ولا يعجزه ان يجد
تعبيرا يدل على هذا المعنى مباشرة ويؤيد هذا أن هلال بن يحيى
قد عبر عن هذا بقوله قال : أبو حنيفة رحمه الله : هذا كله باطل
لا يجوز وهي مساوية في المعنى - للتعبير بـ " لا يجيز " . فما هو
ياترى رأى السرخسي في التعبير هلال هذا وهل ينطبق عليه تأويله
السابق بالجواز وعدم اللزوم ، اصف الى هذا ان هلالا رحمه الله هو
صاحب أبي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة وقد روى روايته بالبطلان
وهذا يكون هو ومحمد أقرب الى أبي حنيفة من الامام السرخسي الذى
(١)
جاء بعدهما بقرون ولو فهم محمد وهلال من رأى أبي حنيفة ما فهمه
السرخسي لما امتنع عليهما ذكره أما وقد اطلقا القول بالبطلان وعدم
الجواز فلا يسعنا بعد ذلك أن نتقبل قول السرخسي وتفسيره لذلك
وهو المتأخر .

وخلاصة الأمر :

أن كلام المتأخرين وانكارهم أن ابا حنيفة قد منع الوقف كلام
يحتاج الى دليل وليس ذلك عندهم فيبقى القول : ان ابا حنيفة

(١) انظر وقف هلال : ص ٥ وكتاب الدكتور محمد عبيد في احكام

- (١) قد منع الحبس في رواية عنه ولا يخير من ذلك القول بنفيه عند متأخرى
- (٢) الحنفية وقد فطن ابن جزى الكلبي الى هذه الحقيقة فقال : التحبيس وهو جائز عند الامامين الشافعي ومالك وغيرهما . ف خلافا لأبي حنيفة وقد رجع عن ذلك صاحبه ابو يوسف لما ناظره مالك . . وصار المتأخرون من الحنفية ينكرون منع امامهم ويقولون : مذهبه انه جائز ولكن لا يلزم .

- والذي يستقرى كتب الحنفية يجد المتأخرين منهم معنيين كثيرا بنفي المنع عن امامهم وان اعتدلوا (حالوا تقريبه ما ذهب اليه جمهور الفقهاء كما ذهب اليه الكساني وصاحب الاسماء . فقد جاء في الهدائع مانعه : لا خلاف بين العلماء في حق وجوب التصديق بالفرع
- (٣)

- (١) هو محمد بن احمد بن جزى الكلبي من أهل غرناطة كان فقيها مالكا حافظا ألف كثيرا من الكتب في فنون شتى منها كتاب وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم ، وكتاب القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية ، وكتاب تقريب الأصول الى علم الوصول والنور المبين في قواعد عقائد الدين ، وتوفي شهيدا عام ٧٤١ انظر ترجمته في الديباج ص ٢٩٥ .
- (٢) القوانين الفقهية ص ٣٦٩ .
- (٣) بدائع الصنائع : ٩٣٩٠٨/٨

مادام الواقف حيا حتى ان من وقف داره او ارضه يلزمه التصديق بغلة الدار والارض ويكون بمنزلة النذر بالتصدق بالغلة . ولا خلاف ايضا في حق زوال ملك الرقبة اذا اتصل به قضاء القاضي أو اضافة الى ما بعد الموت . واختلفوا في جوازه مزيلا لملك الرقبة اذا لم توجد الاضافة الى ما بعد الموت . . ولا اتصل به حكم حاكم . قال ابو حنيفة عليه رحمة الله : لا يجوز حتى كان للواقف بيع الموقوف وهبته وان مات يصير ميراثا لورثته ، وقال ابو يوسف ومحمد وعامة العلماء رضي الله عنهم يجوز حتى لا يباع ولا يوهب ولا يورث . وقال صاحب الاسماء فلو قال : ارضي هذه صدقة موقوفة مؤبدة جاز لا زما عند عامة العلماء وعند أبي حنيفة رحمه الله يكون نذرا بالصدقة بغلة الارض ويبقى ملكه على حالة فان مات تورث عنه وهكذا حاول هذان الفقيهان أن ينقلا الرواية عن أبي حنيفة من القول بالبطلان الى معالجة بعض الصور المحددة كما فعل صاحب الاسماء فقد اقتصر على صيغة واحدة من الصيغ التي ينعقد بها الوقف وسكت عن سائرهما مما يفهم منه : أن ابا حنيفة يقول بجواز الوقف حينئذ ، وقال ان الصدقة بهذه الصيغة تكون نذرا بالغلة لا بالعين أخذ من " كلمة موقوف " مع ان هلال بن يحيى قال في كتابه مانعه : " رأيت رجلا قال ارضي هذه - وسمى حدودها - صدقة موقوفة ثم لم يزد على ذلك شيئا : قال أبو حنيفة رحمه الله : هذا كله باطل لا يجوز ولا يكون وقفا وله أن يحدث فيه ما بدا له بعد ذلك وهذا كله قول العامة من أهل الكوفة " . فمن أين جاء صاحب الاسماء بهذا الفرق بين الصيغة التي ذكرها وبين الصيغ الأخرى ، كما أن عبارة صاحب البدائع : " لا خلاف بين العلماء " تشمل في عمومها ابا حنيفة أيضا بل انه صرح به كما أنه يؤخذ من عبارة صاحب البدائع أيضا ان وجوب الصدقة بالغلة لا يختص بصيغة معينة من الصيغ التي ينعقد بها الوقف لأنه عم ولم يخص ، ثم جملة كالنذر على قول ابي حنيفة إلا أن هذا كله لا يفيد في صرف الرواية عن ظاهر هذا الذي يفيد أنه يمنع الوقف أصلا ، ويؤيد هذا ما جاء في شرح الباجي لشرح الموطأ وحاشية الرهوني على شرح عبد الباقي لمتن خليل : من مناقشة مالك لابي يوسف في جواز الوقف بحضرة الرشيد واقتناع ابي يوسف بالحجة حتى قال : " كان أبو يوسف يقول أنها غير جائزة ، وأنا أقول أنها جائزة " فرجع في الحال عن قول

- (١) أبي حنيفة الى الجواز ، وقد علق الباجي على هذا بقوله : " وهذا فعل أهل الدين والعلم في الرجوع الى الحق حين ظهور وتبين " وفي آداب الشافعي ومناقبه ينقل ابن أبي حاتم عن محمد بن عبد الله بسن عبد الحكم قوله : سمعت الشافعي رحمه الله يقول : اجتمع مالك وأبو يوسف يعقوب عند أمير المؤمنين فتكلموا في الوقف وما يحبس الانسان فقال يعقوب : هذا باطل ، قال شريح جاء محمد صلى الله عليه وسلم باطلاق الحبس " فقال مالك : انما جاء محمد باطلاق ما كانوا يحبسونه لآلئهم من البحيرة والسائبة . فأما الوقف فهذا وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " حبس أصلها وسيل شرها " وهذا وقف الزبير ، فأعجب الخليفة ذلك منه .
- (٢) وقد روى عن أبي يوسف انه قال : لو بلغ - يريد الدليل أبا حنيفة لرجع أى : عن القول بعدم جواز الوقف ، وتخلص من هذا الى أن أبا حنيفة لا يقول بجواز الوقف أصلا الا في حالتين قد بينتهما سابقا ولا مانع من تكرار البيان ليستقر في ذهن القارىء وهما : اذا اتصل به حكم به حاكم او اذا اضافه الى ما بعد الموت ، ففي هاتين الحالتين يقول ابو حنيفة رحمه الله بجواز الوقف فيرتفع الخلاف بين الحنفية في هاتين السألتين وفي الحقيقة ان الحالتين السابقتين لا تتخرجان على جواز الوقف وعدم جوازه وانما تتخرجان على قاعدتين هما القاعدة الاولى ،

(١) انظر (المنتقى للباجي : ١٢٢/٦ وحاشية الرهوني على

الزرقاني : ١٣٠/١٠ .

(٢) انظر آداب الشافعي ومناقبه للرازي : ص ١٩٧ - ١٩٩ ط السعادة

(٣) انظر المبسوط : ٢٨/١٢ ، والإسماعيل : ص ٣٠ .

(٤) كتاب : احكام الوقف في الشريعة الاسلامية ص ١١٤

- ان القضاء يرفع الخلاف فتى قضى القاضي باللزوم لا يرد حكمه أحد ،
فاللزوم : عرضي لذاتي ، القاعدة الثانية : أن كل تصرف مضاف الى
ما بعد الموت وصية أبا كانت التسمية التي تعطى له وعلى هذا تتخرج
الحالسة الثانية ويؤيد مذهبنا اليه قول الدكتور محمد سعيد ، من (١)
أن أبا حنيفة لا يقول بجواز الوقف الا في الحالتين السابقتين اللتين
ذكرتهما . وما ذكره الدكتور يؤيده ما قاله الكمال بهن الهمام حيث (٢)
يقول : " وانما لم يزل ملكه عند أبي حنيفة قبل الحكم يكون موجب القول
المذكور : حبس الممين على ملك الواقف ، والتصدق بالمنفعة ، وحقيقته
ليس الا التصدق بالمنفعة ، ولفظ حبس الى آخره لا معنى له لأن له
بيعه متى شاء وملكه مستمر فيه كما لو لم يتصدق بمنفعته ، فلم يحدث
الواقف الا مشيئة التصدق بمنفعته وله ان يترك ذلك متى شاء وهذا
القدر كان ثابتا له قبل الوقف بلا ذكر لفظ الوقف فلم يقد لفظ الوقف
شيئا . وهذا و معنى ما ذكره في المبسوط من قوله : كان ابو حنيفة
لا يميز الوقف وهو : ما اراد المصنف - صاحب الهداية - بقوله :
" وهو المفوظ في الأصل " يعني : المبسوط وحينئذ فقوله من أخذ
بظاهر هذا اللفظ ، فقال : الوقف عند أبي حنيفة : لا يجوز - صحيح
لانه ظهر : انه لم يثبت به قيل الحكم حكم لم يكن ، وانما لم يكن له

(١) كتاب : احكام الوقف في الشريعة الاسلامية : ص ١١٤

(٢) انظر فتح القدير : ٤٠/٥ .

أثر زائد على ما كان قبله كان كالمقدم والجواز والنفاذ والصحة فرع اعتبار الوجود .

أقول وبالله التوفيق : الصاق القول أو بعبارة أخرى نسبت هذا القول الى أبي حنيفة رحمه الله لا مناص منها حسب ما رأيت في كتب الحنفية والله أعلم وأحكم . مهما كان النقل عنه فان الوقف قرينة الى الله تعالى لا يمنع منه شرع ولا عقل وليست له صلة بالبهيرة والسائبة والوصيلة والحام . فان ما قصد بها أمر منعه الشرع بل الفاء لان الله لا يتقرب اليه الا بما شرع . أما الوقف وهو : حبس العين والمنفعة على جهة من جهات البر لا على معصية فقرة الى الله ومن الممكن للعقل السليم ان يدرك الفرق بين ما نقي الله مشروعيته وما اثبت . فالثاني الباعث اليه التقرب الى الله والتأسي برسوله صلى الله عليه وسلم ولذلك حتم الله الآية بعمد ذكر الاربعة الاصناف فقال : " ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون " ان انه كي يصح العمل يجب ان يكون مشروعاً وهم افتروا على الله كذباً ومهتاتاً ولا يقبل العمل الا اذا كانت النية خالصة لله ان لو خلصوا لانتقادوا . ولما عرضوا انفسهم لسخط الله وغضبه . وفي قوله " الكذب " يدل على شناعة ما فعلوه من محض افتراء واختلاق . وزعموا من غير علم ان الله أمرهم بهذا وقصد كذبهم الله في دعواهم وسلب عن أكثرهم العمل فقال : * وأكثرهم لا يعقلون * ومن المعلوم أن العقل الذي يخاطبه الاسلام هو العقل الذي يحسم الضمير ويدرك الحقائق ويميز المشتبهات ويوازن بين الأضداد وأنه العقل الذي يقاب الجمود والتعننت والضلال وليس بالعقل الذي يقابله الجنون فان الجنون مسقط للتكليف ، والمشركون من العرب خمدوا

على ماورثوه وتمشوا فضلوا وأصلوا والميان بالله تعالى . وهنا
ننهي بحث مانسب لابي حنيفة رحمه الله من رد الاحباس ومنع الأوقاف
بعد أن عن لنا في الموضوع وكان من ضمن ما استنتج من آية : * ماجمل الله
من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام * .

والله أسأل ان اكون قد أتيت فيه بما يعلم الجاهل ويذكر
المالم من غير تقصير مغل أو تطويل مل .

ونبدأ بالنقطة الأخيرة مما كان عليه أهل الجاهلية من تطهير
ونذر لغير الله وتشاؤم والله الموفق .

العمل الصالح والجل تعالى اياه صراحة حرر العقد وقد ثبت صدق الاسرار

- ٢٨٠ -

مكتبة

باب النذر لغير الله - والذبح لغير الله

- (١) قال تعالى : * قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وأنا أول المسلمين * ،
- (٢) قال الحافظ بن كثير : يأمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه لا شريك له ،
- (٣) وهذا كقوله : * فصل لربك وانحر * أي : اخلص له العبادة : صلاتك وذبيحتك ، فان المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمر الله بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه . والاقبال بالقصد والنية والمزم على الاخلاص لله تعالى : قال مجاهد في قوله تعالى : * صلاتي ونسكي * قال : النسك : الذبح في الحج والعمرة وقال النووي عن السدي عن سعيد بن جبير : " ونسكي " ذبحي ، وكذا قال الضحاك وقال غيره " ومحياي " : ومماتي " : أي : ما آتته في حياتي وأموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه لا شريك له وبذلك من الاخلاص أمرت وأنا أول المسلمين : أي : من هذه الأمة : قال ابن كثير : وهو كما قال فان جميع الانبياء قبله كلهم كانت دعوتهم

- (١) سورة الانعام : الآية " ١٦٤ " . ٦٢
- (٢) تفسير ابن كثير : ١٩٨/٢ ، عيسى الباهي الحلبي واولاده
- (٣) سورة الكوثر : الآية " ٣ " .
- (٤) سورة الانعام : الآية " ١٦٢ " .

الى الاسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى :
 ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه ان لا اله الا أنا ﴾ (١)
 فاعبدون * وأخبر تعالى عن نوح انه عليه السلام قال لقومه :
 ﴿ فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجري الا على الله ، وأمرت ان أكون
 من المسلمين * .

أقول وبالله التوفيق : في الآية دلالة واضحة على أن الذبح
 لغير الله شرك كما هو مبين وفيها بيان العبادة وان التوحيد مناسف
 للشرك مضاد له - وفي قوله : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ قال شيخ
 الاسلام : أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة
 والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقسوة
 اليقين وطمانينته القلب الى الله ، والى عبادته عكس حال أهل الكفر
 والنقرة وأهل الفتن عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم الى ربهم
 يسألونه اياها والذين لا ينحرون له خوفا من الفقر ولهذا جمع بينهما
 في قوله : ﴿ قل ان صلاتي ونسكي ﴾ الآية . والنسك : الذبيحة
 لله تعالى ابتغاء وجهه فانها أجل ما يتقرب به الى الله فانه أتى فيهما
 بالفاء الدالة على السببية لان فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما أعطاه
 الله من الكوثر ، وأجل العبادات البدنية الصلاة وأجل العبادات المالية :
 النحر ، وما يجتمع للمعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها كما عرفه
 ارباب القلوب الحية وما يجتمع له في النحر اذا قارنه الايمان والاخلاص

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢٠ .

٣ = سور م يوسف ٧٩

وقوة اليقين وحسن الظن أمر عجيب ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم
كثير الصلاة كثير النحر . .

- (١) أقول وبالله التوفيق : هذا هو أصح الأقوال في معنى النحر ،
وأما ما رواه الحاكم عن علي بن أبي طالب قال : لما نزلت هذه السورة على
النبي صلى الله عليه وسلم : * انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر
ان شأنك هو الا بتر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل
" ماهذه النخيرة التي أمرني بها ربي ؟ قال : انها ليست بنخيرة
ولكن يأمرك اذا أحمرت للصلاة أن ترفع يدك اذا كبرت واذا رفعت رأسك
من الركوع " . . الحديث . فهو حديث منكر جدا في اسناده اسرائيل
ابن حاتم قال ابن حبان يروى عن مقاتل الموضوعات والأوابد والطامات
من ذلك خبر يرويه عمر بن صبح عن مقاتل وظفر به اسرائيل فرواه عن
مقاتل عن الأصمغ بن نيات عن علي لما نزلت : * فصل لربك وانحر *
الحديث وقد جاء حديث آخر يضاد هذا المعنى ، من رواية علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأربع كلمات : " لمن الله من نهج لغير الله ، ولعن الله من لمن
والديه ، ولعن الله من آوى محدثا ، ولعن الله من غير منار الأرض " .
رواه مسلم ، ورواه الامام احمد .

(١) المستدرك على الصحيحين : ٥٣٨/٢ مطابع النصر الحديثة
الرياض .

(٢) رواه الامام مسلم بن الحجاج من طرق ورواه الامام احمد عن أبي
الطفيل .

١- مسلم ٨٦ ٨٥ وأحمد ١١٨ - ١١٨ - ١٥٢

- أقول وبالله التوفيق : اللعنة : هي الطرد والبعاد من رحمة الله أعاذنا الله ، واللعين ملعون من حقت عليه اللعنة أو دعي عليه بها ، قال أبو السماعات : أصل اللعنة : الطرد والابعاد من الله ومن الخلق السب والدعاء ، والذبح لغير الله ، قال النووي : المراد به ان يذبح باسم غير الله كمن يذبح للصنم أو الصليب أو لموسى أو عيسى عليهما السلام . أو للكعبة ونحو ذلك وكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا نص عليه الشافعي فان قصد مع ذلك تعظيم المذبح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفرا فان كان الذابح مسلما قبل ذلك وصار بالذبح مرتدا - قال شيخ الاسلام ان الله سبحانه يلعن من يستحق اللعنة من عباده بالقول كما يعلو سبحانه على من يستحق الصلاة من عباده ، قال تعالى : * هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما * وقال : * ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا * وقال جل ذكره * ملمومين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا * وقال : * وما أهل لغير الله به * أصل الاهلال : رفع الصوت والاعلام فالمقصود بما أهل به لغير الله ما أعلن عنه انه مندور به لغير الله سواء كان هذا الاهلال والاعلام قبل الذبح والعبرة بالاهلال الحقيقي بما انطوى عليه من قصد التقرب به لغير الله وكذلك أيضا ماسى من الطعام والشراب أو غيرهما نذرا وقرية لغير الله .

(١) سورة الأحزاب : الآيات : " ٤٣ - ٦١ " .

(٢) سورة النحل : الآية " ١١٥ " .

(١)

والحديث فيه جواز لمن أهل الظلم من غير تعيين . وأما لمن الفاسق
المعين ففيه قولان أحدهما انه جائز اختاره ابن الجوزي وغيره ، والثاني
لا يجوز اختاره أبو بكر عبد العزيز وشيخ الاسلام .

أقول وبالله التوفيق : قوله صلى الله عليه وسلم : " لمن الله
أكل الربا " الحديث فيه دليل على جواز لمن أنواع الفساق -

(٢)

والمصروف عن الامام احمد كراهية لمن المعين كالحنجال وأمثاله يقول
كما قال تعالى : * ألا لعنة الله على الظالمين * وأما ما يخص الذبح
والتقرب فان الله سبحانه وتعالى لا يرضى من عبده أن يجعل دون نفسه
صغيرة أو كبيرا سواء خف ذلك في نظر العبد أم عظم وهذا المصنوع
متمثل في حديث طارق بن شهاب الذي جاء فيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : " دخل الجنة رجل في نياح ودخل النار رجل
في نياح " قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله - عليه الصلاة والسلام -
قال : " مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب اليه شيئا
فقالوا لا أحدهما : قرب قال : ما عندي شيء ، قالوا : قرب ولو نياحا
فكرب نياحا فخلوا سبيله ، قد دخل النار ، وقالوا للآخر : قرب ، قال :
ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه ، قد دخل الجنة "
رواه احمد . هذا الحديث ذكره المصنف ابي : صاحب تفسير
المعيز الحميد مصزوا ل احمد وقد عزاه اليه ابن القيم كذلك مع اني لم
أحده في مسنده فلمعه في غيره من كتبه . وقوله دخل الجنة رجل فلي

(١) تفسير المعيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ١٩٣ وفتح المجيد

بشرح كتاب التوحيد : ص ١٤٥ .

(٢) سورة هود : الآية " ١٩ " .

- ذباب أى : من أجل ذباب وقد سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن هذا الأمر المجيب لأنهم قد علموا ان الجنة لا يدخلها أحد الا
بالأعمال الصالحة كما قال تعالى : ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾
وان النار لا يدخلها أحد الا بالأعمال السيئة فكانهم تقولوا ذلك
وتمجبهوا واحتقروه ، فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما سير هذا
الأمر الحقير عندهم عظيما يستحق هذا عليه الجنة ، ويستحق هذا
الآخر عليه النار ، ولعل هذين الرجلين من بني اسرائيل فان النبي
صلى الله عليه وسلم يحدثهم عن بني اسرائيل كثيرا ، وحديث طارق
هذا فيه بيان عظم الشرك ولو في شيء قليل وانه يوجب النار ، الا ترى
الى هذا لما قرب الى الصنم أتفه الاشياء ، وأصغر الحيوانات وهو : الذبابة
كان جزاؤه النار لاشراكه في عبادة الله ان الذبح على سبيل القرصة
والتعظيم عبادة وهذا مطابق لقوله تعالى : ﴿ انه من يشرك بالله فقد
حرم الله عليه الجنة ﴾ وفيه الحذر من الذنوب وان كان صغيرة فسي
الحسبان كما قال أنس : انكم لتعملون أعمالا هي أدق في عيونكم
من الشعر كنا نعتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات
ويلاحظ في هذا الحديث أن الرجل دخل النار بسبب لم يقصده

- (١) سورة المائدة : الآية " ٧٦ " .
(٢) تيسير العزيز الحميد : ص ١٩٤ - ١٩٥ .
(٣) طارق ، هو : طارق بن شهاب البجلي الاحمسي أبو عبد الله
رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو رجل ويقال انه لم يسمع منه
شيئا قال البقوي : ونزل الكوفة - قال ابو هاتم ليست له صحبة
والحديث الذي رواه مرسل وقال ابو داود رأى ==

سورة المائدة الآية ٧٦

بل أراد التخلص من الناس وشركهم ، وفيه ان الرجل مسلم لأنسه
 قال : دخل النار في ذبابة ، وفيه ايضا ان عمل القلب هو : المقصود
 الاعظم حتى عند عدة الأوثان ، والرجل الآخر يدل وضعه على فضيلة
 التوحيد والاخلاص وفيه معرفة قدر الشرك عند المؤمنين وقدره في قلوبهم
 كيف صبر على القتل ولم يوافقهم على طلبهم مع انهم لم يطلبوا الا العمل
 الظاهر وفيه شاهد للحديث الصحيح " الجنة أقرب الى أحدكم من شرك
 نعله والنار مثل ذلك " وفيه التنبيه على سعة مغفرة الله وشدة عقوبته
 وان الاعمال بالخواتم .

نسأل الله سبحانه حسن الخاتمة .

أقول وبالله التوفيق : التشنيع في الذبح لغير الله يتناول
 المكان حتى ان الطاعة لا تفعل في مكان المعصية كما بين حديث ثابت
 ابن الضحاك قال : نذر رجل ان ينحر ابلا ببوانة فسأل النبي صلى الله
 عليه وسلم فقال : " (١)

== النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا ، قال الحافظ :
 اذا ثبت أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم فهو صحابي عيسى
 الراجح واذا ثبت انه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل صحابي
 وهو : مقبول على الراجح ، وقد أخرج له النسائي عدة
 أحاديث وذلك مصير منه الى إثبات صحبته وكانت وفاته عيسى
 ماجزم به ابن حبان سنة ثلاث وثمانين .

(١) هو ثابت بن الضحاك بن خليفة الاشعري صحابي مشهور
 روى عنه ابو قلابة وغيره ومات سنة اربع وستين .

٢٨٦ / ١

- " هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية بعيد ؟ قالوا : لا ، قال :
 فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا : لا ، قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما
 يملك ابن آدم " رواه أبو داود واسناده على شرطيهما . (١)

بواسطة : بضم الباء وقيل بفتحها ، قال البغوي : موضع
 في أسفل مكة دون يللم ، قال أبو السمات : هضبة من وراء ينبع ،
 والحديث يؤخذ منه المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن
 ولو بعد زواله ، قال شيخ الإسلام : العيد : اسم لما يعود مسن
 الاجتماع العام على وجه معتاد عائد - إما يعود - السنة أو بمسعود
 الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك والعراد هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع
 أهل الجاهلية ، فالعيد يجمع أموراً ، منها : يوم عائد كرم القطر ،
 ويوم الجمعة ومنها أعمال تتبع ذلك من العادات والعبادات وقد يختص
 العيد بمكان بعينه . وقد يكون مطلقاً وكل من هذه الأمور قد يسمى عيداً ،
 فالزمان كقوله صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة " أن هذا يوم قسود
 جعله الله عيداً للمسلمين " والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس :
 " شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمكان كقوليه
 صلى الله عليه وسلم : " لا تتخذوا قبوري عيداً " . وقد يكون لفظ
 العيد اسماً لمجموع اليوم والمحل فيه وهو : الغالب كقول النبي صلى الله
 عليه وسلم : " دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً " .

وفي الحديث استفعال المفتي والمنع من الوفاء بالنذر بحكم
 عيد الجاهلية ، ويدل الحديث كذلك على سد الذريعة وترك مشابهة
 المشركين ، والمنع ما هو وسيلة الى ذلك . وقوله * أوف بنذر *
 هذا يدل على أن الذبح لله في مكان يذبح فيه المشركون لغیر الله ،
 أى : في محل اعيادهم معصية لان قوله * فاف بنذر * تعقيب
 بالحكم بالغاء . وذلك يدل على ان الوصف سبب الحكم فيكون سبب الأمر
 بالوفاء . خلوه عن هذين الوصفين . فلما قالوا : لا ، قال :
 * أوف بنذر * وهذا يقتضي ان كون البقعة مكانا لصيدهم ، أو بها
 وثن من أوثانهم مانع من الذبح بها ولو نذر قاله شيخ الاسلام ، وقوله
 * فاف لا وفاء لنذر في معصية الله * فيه دليل على ان هذا نذر معصية
 لوجود في المكان بعض الموانع وما كان من نذر معصية فلا يجوز الوفاء به
 باجماع العلماء ، واختلفوا هل تجب فيه كفارة يعين على قولين هما
 روايتان عن أحمد ، أحدهما تجب وهو المذهب ، وروى عن ابن مسعود
 وابن عباس وبه قال أبو حنيفة وأصحابه كحديث عائشة رضي الله عنها
 مرفوعا * لا نذر في معصية وكفارت كفارة يعين * رواه أحمد
 وأصحاب السنن . واحتج به أحمد وإسحاق .

(١)

(١) قال الترمذي : هذا حديث لا يصح لان الزهري لم يسمع هذا

الحديث من أبي سلمة وقال غيره : لم يسمعه الزهري من أبي

سلمة ، وإنما سمعه من سليمان بن أرقم وسليمان بن مبروك ،

وقال مثل هذا أبو داود بعد إخراج له .

أبى البزار ص ١٥٤ دار المعرفه بيروت

والثاني : لا كفارة عليه ، وروى ذلك عن مسروق وغيره لحديث الباب ولم يذكر فيه كفارة ، وجوابه انه ذكر الكفارة في الحديث المتقدم والمطلق يحمل على التقيد .

- أقول وبالله التوفيق : الحديث على أية حال دليل من قسالة بوجود الكفارة في نذر المعصية . وقد جاء في حديث عمران بن حصين الذي أخرجه النسائي مرفوعاً بلفظ : " النذر نذران فمن كان نذر في طاعة فذلك لله فيه الوفاء ، ومن كان نذر في معصية فذلك للشيطان ولا وفاء فيه ويكفره ما يكفر اليمين الا أن هذا الحديث ضعيف كما قال الحافظ ، وكذلك حديث عائشة في هذا الباب الذي تقدم والذي رواه ابن شهاب عن أبي سلمة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا نذر في معصية وكفارتها كفارة يمين " (١)

- قال المباركفوري في تحفة الأحمدي : قال هذا حديث لا يصح لان الزهري لم يسمع هذا الحديث من أبي سلمة . قال الحافظ فسي التلخيص : رواه احمد واصحاب السنن وهو منقطع لم يسمعه الزهري من أبي سلمة . وقال النووي : في الروضة حديث : " لا نذر في معصية وكفارتها كفارة يمين " ضعيف باتفاق المحدثين ، قال الحافظ فسد صححه الطحاوي وأبو علي بن السكن فأمن الاتفاق . (٢)

- (١) سنن النسائي : ٢٢٧/٧ .
(٢) تحفة الاحمدي : ١٢١/٥ ، والتلخيص : ١٢٨/٤ .
(٣) تلخيص الحبير في تخریج احاديث الراقي الكبير : ١٢٨/٤ .
(٤) ابن السكن سعيد بن عثمان بن السكن البغدادي ابو علي من حفاظ الحديث نزل بحضره وتوفي بها قال ابن ناصر الدين كان أحد الاعلام الحفاظ والمصنفين الا يقاظ رحل وجمع وصنف له الصحيح المنتقى في الحديث " الاعلام : ١٥١/٢ ، والتهيان لابن ناصر الدين وتهذيب ابن عساكر ١٥٤/٦ ، وتذكرة الحفاظ : ١٤٠/٣ والرسالة المستطرفة ص ٢٠ .

- أقول ص الله التوفيق : النذر غير مرغّب فيه ولم يكن عند العلماء من أعمال البر المحببة إلا أن الله سبحانه مدح الوافين به فقال :
- * يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا * والوفاء به لازم إذا كان في طاعة الله لقوله صلى الله عليه وسلم : " من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يفعل " وهذا حديث صحيح أخرجه محمد بن نعيم عن مالك وفيه دليل على أن من نذر طاعة يلزمه الوفاء وإن لم يكن معلقا ، وإن من نذر معصية فلا يلزمه الوفاء به بل لا يجوز له الوفاء به ولا تلزمه به الكفارة إذ لو كانت فيه كفارة لاشبه أن يمين وهو قول الأكثرين
- (١)
- أما ما أشرت إليه قريبا من عدم استحباب النذر عند العلماء فذلك لكثرة الأحاديث في هذا المجال الدالة على التتفير منه منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه : " أن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئا لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل مالم يكن البخيل يريد أن يخرجه " قال البخوي : هذا حديث متفق على صحته ، وهو كذلك . وجاء أيضا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تنذروا فإن النذر لا ينغي من القدر شيئا " وإنما يستخرج به من البخيل " متفق عليه من رواية ابن عمر .
- (٢)
- (٣)
- (٤)

(١) العوطا : ٤٧٦/٢ .

(٢) البخاري : ٥١٩/١١ .

(٣) شرح السنة للبخوي ٢٢/١٠ .

(٤) مسلم والبخاري : " ١٥٤٠ " و " ١٦٣٩ " ٥٠٩/٤٣٧/١١ .

- قال البغوي : والصل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم كرهوا النذر في الجملة وان كان في الوفاء به أجر إذا كان طاعة . (١)
- قال أبو سليمان الخطابي : معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن النذر أنها هو التأكيد لا امره والتحذير من التهاون به بعد إيجابه ، ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعله لكان في ذلك إبطال حكمه وإسقاط لزوم الوفاء به إذ صار معصية . وإنما وجه الحديث أنه أعلمهم أن ذلك الأمر لا يجلب لهم في العاجل نفعا ولا يصرف عنهم ضرا ولا تترك شيئا قضاءه الله بقول فلان ، تنذرون على أنكم تدركون بالنذر شيئا لم يقدره الله لكم أو تصرفون أنفسكم شيئا جرى القضاء به عليكم وإذا فعلتم ذلك فاخرجوا عنه بالوفاء . فإن الذي نذرتموه لا ينفع لكم ، هذا معنى الحديث ووجهه ،

- (١) شرح السنة للبغوي : ٢٢/١٠
- (٢) الخطابي هو : سليمان الخطابي الفقيه محدث من أهل بيت من بلاد " كابل " من نسل زيد بن الخطاب أخى عمر ابن الخطاب له معالم السنن ، وبيان اعجاز القرآن ، توفي في سبت ، الاعلام : ٣٠٤/٢ ، تحفة زوى الارب : ١٥٤ ، والوفيات : ١٦٦/٦ ، ومجلة المجتمع العلمي : ٢٤١/١٥ ، وانباء الرواة : ١٢٥/١ ، والبغدادى في خزانة الادب ٢٢٨/١ وقال : مات سنة ٣٨٦ وبتيمة الدهر : ١٣١/٤ .

وقد أجمع المسلمون على وجوب الوفاء بالنذر اذا لم يكن معصية ويؤكد
قوله " وانما يستخرج به من البخل " فثبت بذلك وجوب استخراجه من
سأله ، وفي قوله : " ان النذر ~~ليس~~ لا يقرب من ابن آدم شيئا
لم يكن الله قدره له " استدلال لمن قال ان النذر انما يلزم اذا كان
معلقا بشيء مثل أن يقول : ان شفا الله مريض فلله علي ان اعتق
رقبة . وان قدم غائب او سلم مالي فلله علي أن اتصدق بكذا ، والله
ذهب بعض أهل العلم حتى قال بعض أهل اللغة : النذر : وعد على
شرط ، فكل ناذر واعد وليس كل واعد ناذرا ، وذهب آخرون الى أن
النذر يلزم وان لم يكن معلقا بشيء وهو : مذهب أبي حنيفة وأظهر قول
الشافعي ولو قال على المشي الى بيت الله الحرام ولم يقل نذرا فعليه
المشي ، أفتى به سعيد بن المسيب . أقول وبالله التوفيق : أصح ما مر في
الموضوع من الأقوال القول بوجوب الوفاء بالنذر الحلال وعدم ذلك في النذر الحرام كما

نص عليه السياق " من نذر ان يطبخ الله فليطحه ، ومن نذر أن يمضيه
فلا يمضه " وهذا حديث ثابت ونص في الموضوع ونكتفي به عن
الدخول والخوض في الخلافات الفقهية والله الموفق والهادي السبيـ
سواء السبيل .

وبهذه الكلمة نكون قد أنهيت الكلام على النذر والذبح لغير الله
بصفة موجزة ولله الحمد ، ونبدأ بالكلام على الاستعانة بغير الله والاستغاثـ
بغيره اعاننا الله من اللجوء الا اليه .

" الاستمادة والاستفاضة بغير الله

والتطير والتشاوم "

- (١) قال تعالى : * وانه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا * .
- أقول وبالله التوفيق : الاستمادة الالتجاء والاعتصام ، والتحرز وحقيقتها : الهرب من شيء تخافه الى من يعصمك منه ولهذا يسمى المستعان به معاذاً وطجاً ، فالمعاند بالله قد هرب ما يؤذي به أو يهلكه الى ربه ومالكة وفر اليه والقي نفسه بين يديه . واعتصم به واستجار به والتجأ اليه ، قال صاحب تيسير العزيز الحميد : وهذا تمثيل وتفهم والا فما يقوم بالقلب من الالتجاء الى الله والاعتصام به ، والافتقار اليه والتذلل بين يديه أمر لا تحيط به العبارة هذا معنى كلام ابن القيم ، وقال ابن كثير : الاستمادة هي : الالتجاء والالصاق بجانبه من شر كل ذي شر ، والمعياز يكون لدفع الشر واللياز لطلب الخير وهذا معنى كلام غيرهما من العلماء فتبين بهذا ان الاستمادة بالله عبادة لله ولهذا أمر الله بالاستمادة به في غير آية وتواترت السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال تعالى : * واما ينزعك من الشيطان نزع فاستمذ بالله انه هو السميع العليم * .
-

- (١) سورة الجن : الآية " ٣٠ " .
- (٢) تيسير العزيز الحميد : ص ٢١٠
- (٣) تفسير ابن كثير :
- (٤) سورة فصلت : الآية " ٢٥ " .

- (١) وقال جل ذكره * وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين
 (٢) وأعوذ بك رب أن يحضرون * وقال أيضاً : * فاستعذ بالله أنه
 هو السميع العليم * .

أقول وبالله التوفيق : النصوص بهذا الصدد كثيرة جداً ومتواترة على معنى واحد وهو : اللجوء إليه سبحانه ، قال تعالى :
 ﴿ ١ ﴾ قل أعوذ برب الفلق * وقال : * قل أعوذ برب الناس *
 إلى غير هذا من الآيات المتناثرة في القرآن الكريم . والله سبحانه
 وتعالى هو ربنا وخالقنا ورازقنا فلا مفرغ لنا في الشدائد سواء ولا
 ملجأ لنا منه إلا إليه ، ولا معبود غيره فلا يدعي ولا يخاف ولا يرجئ غيره
 ولا يذل ولا يخضع لغيره ولا يتوكل إلا عليه لأن من تخافه وترجوه وتدعوه
 وتتوكل عليه أما أن يكون مربك والقيم بأمورك ومتولي شأنك فهو ربك
 ولا رب لك سواء وتكون ملوكه وعبدك الحق فهو ملك الناس حقاً وكلهم
 عبيده وماليك أو يكون معبودك والهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين
 بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك وروحك فهو اله الحق اله
 الناس فمن كان ربهم ومليكهم والهمم فهم جد يرون أن لا يستعبدوا بغيره
 ولا يستنصروا بسواه ، ولا يلجأوا إلى غير حماه فهو كافيتهم وحسبهم
 وناصرهم ووليهم وتولي أمورهم جميعاً بربوبيته وملكه والهيته لهم
 فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه به إلى ربه وملكه

(١) سورة المؤمنون : آية " ٩٩ " .

(٢) سورة غافر : الآية " ٦ " .

٢١ سورة الفلق

٢٢ سورة البقرة

وهذه طريقة القرآن يحتج عليهم باقرارهم بهذا التوحيد على توحيد
الالهية هذا معنى كلام ابن القيم فاذا تحقق العبد بهذه الصفات
للرب والملك والاله وامثل أمر الله واستعان به فلا ريب ان هذه
عبادة من أجل العبادات بل من حقائق توحيد الالهية فان استعان
بغيره فهو عائد لذلك الغير كما ان من صلى لله وصلى لغير الله يكون
عابدا لغير الله كذلك في الاستعانة ولا فرق الا ان المخلوق يطلب

منه ما لا يقدر عليه الا الله فلا يستعان فيه الا بالله كالدعاء فـان
الاستعانة من أنواع وأما قوله تعالى : * وانه كان رجال من الأنس

(١)

يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا * قال ابن كثير أي : كنا

نرى ان لنا فضلا على الانس لانهم كانوا يعوذون بنا اذا نزلوا وادي

(٢)

أو مكانا موحشا من البراري وغيرها كما كانت عادة العرب في جاليتها ،

يعوذون بمظلم ذلك المكان من الجن أن يصيبهم شيء يسوءهم كما كان

احدهم يدخل بلاد اعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارتـه

فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رقرهقا

أي : خوفا * . وارهابا وذعرا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر

تعوذا بهم كما قال قتادة فزادوهم رهقا * أي : اثما وازدادت الجن

(٣)

عليهم بذلك جرأة . وقال الشوكاني : قال الحسن وابن زهير وغيرهما

(١) سورة الجن : الآية * ٦ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٤٣٨/٤

(٣) تفسير الشوكاني : ٣٠٥/٥ .

كان الصرب اذا نزل الرجل بواد قال : اعوذ بسيد هذا الوادى من
 شرسفها* قومه فيبيت في جواره حتى يصبح فنزلت هذه الآية ، قال
 مقاتل : كان أول من تمون بالجن قوم من أهل اليمن ثم من بني حنيفة
 ثم فشى ذلك في الصرب ، فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وقال
 في قوله : " فزادوهم رهقا " أى : زاد رجال الجن من تمون بهم
 من رجال الانس رهقا : أى سفها وطغيانا أو تكبرا وعتوا ، أو زاد
 المستميدون من رجال الانس من استمادوا بهم من رجال الجن رهقا *
 لان المستماد بهم كانوا يقولون : سدنا الجن والانس وبالأول قال
 مجاهد وقتادة والثاني قال ابو العالية والربيع وابن زيد ، والرهق
 في كلام الصرب : الاثم وغشيان المحارم ورجل رهيق اذا كان كذلك ومنه
 قوله تعالى : * ترهقهم ذلة * أى : تغشاهم ، ومنه قول الأعشى :
 لاشي* ينغمني من دون رأيتهما

هل يشتقي عاشق مالم يصب رهقا

يعني : اثما وقيل الرهق الخوف أى : الجن زادت الانس
 بهذا التمون بهم خوفا منهم . وقيل كان الرجل من الانس يقول : أعوذ
 بفلان من سادات الصرب من جن هذا الوادى ويؤيد هذا ما قيل من أن
 لفظ رجال لا يطلق على الجن فيكون قوله " برجال " وصفا لمن يستميدون
 به من رجال انس أى : يمدون بهم من شر الجن . وهذا فيه بعد كما
 قال الشوكاني في فتح القدير واطلاق لفظ رجال على الجن على
 تسليم عدم صحته لفة لا مانع من اطلاقه عليهم عنا من باب المشاكسة .

- (١) وقد أخرج ابن كثير بسنده قال : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد
ابن يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي حدثنا
الزبير بن حرب عن عكرمة قال : كان الجن يفرقون بين الانس كما يفرق
الانس منهم أو اشد فكان الانس اذا نزلوا واديا هرب الجن فيقول سيد
القوم نمود بسيد أهل هذا الوادي . فقال الجن نراهم يفرقون مننا
كما نفرق منهم فدنوا من الانس فزادوهم رهقا " أى : انما وكذا قال
قتادة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن المخرم الكندي
حدثنا القاسم بن مالك يعني : المزني عن عبد الرحمن بن اسحاق
عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الانصاري ، قال : خرجت مع أبي
من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة فأوانا البيت الى راع غم فلما انتصف الليل جاء زيب فأخذ حملا من
الفنم فوثب الراعي فقال : يا عامر الوادي جارك ، فنادى مناد لانه

- (١) تفسير ابن كثير : ٤/٤٢٩ .
(٢) تفسير ابن كثير : ٤/٤٢٩ عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس
ثقة عالم ثبت عالم بالتفسير ، ع التقريب ، ٢/٣٠ .
(٣) فروة بن أبي المخرم الكندي بفتح الميم والمد واسم أبيه سعد
يكرب الكندي يكنى أبا القاسم كوفي صدوق من العاشرة مائة
سنة ٢٥ ، خ - ت التقريب : ٢/٢٠٨ .

يقول : ياسرحان أرسله فأتى الحمل يشته حتى دخل في الفم لم
تصبه كدمة وأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة :
* وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجرح فزادوهم
رهقا * ثم قال : وروى عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية (١)
والحسن وسعيد بن جبيرة وإبراهيم النخعي نحوه وقد يكون هذا الذي
الذي أخذ الحمل وهو : ولد الشاة كان جنبها حتى يهرب الانس وتخاف
منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله أعلم .
أقول وبالله التوفيق : هكذا تسمى شياطين الجن وشياطين
الانس فالفرض الأول عندهم اضلال ابن آدم واخراجه عن طريق الحق
والصواب في كل شيء * يعن له حتى يظل حائرا ومتحيرا غير سبيل
المؤمنين والمؤمنات بالله تعالى ، وهنا ندرك ان الاستغاثة والميانة
لا يكونان الا بالله الواحد القهار القادر على كشف الضر واحلال النفع
مكانه لأنّه هو الحاضر القادر وهذه هي الصفات التي تنفع المضطر
الحضور ، والقدرة والكرم وهي : صفات من صفات الباري جل وعلا ،
وهذه زاوية ينظر منها الموحدون ويخافون أشد الخوف من كل رغبة

(١) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ابو عاصم المكي ولد على عهد
النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله مسلم ، وهذه غيره في كبار
التابعين وكان قاضي أهل مكة مجمع على ثقته ، مات قبل ابن
عمر . ع / / التقريب : ٥٤٤ / ١ .

- (١) أو رهبة تصرف عن الله تعالى والالتجاء اليه في كل مرغوب ومرهوب ،
وقد جاء في حديث ابن عمر عند أبي داود والنسائي بسند صحيح قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من استعان بالله فأعيزه ومن
سأل بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع اليهم معروفًا
فكافشوه فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه "
رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح . وظاهر الحديث وجوب اعطائه
ماسأل مالم يسأل اثما او قطيعة رحم وقد جاء الوعيد على ذلك في عدة
احاديث منها حديث أبي موسى مرفوعا : " ملعون من سأل بوجه الله ،
ملعون من يسأل بوجهه ثم يمنع سائله مالم يسأل هجرا " رواه الطبراني
ورجال اسناده رجال الصحيح الا شيخه يحيى بن عثمان بن صالح والاكثرون
على توثيقه قوله : " فأعيزه " أي : من سألكم أن تدفعوا عنه شركم
أو شر غيركم بالله كقوله : " بالله عليكم ان تدفعوا عني شر فلان ونحو
ذلك فأعيزوه أي : امنعوه مما استعان منه وكفوه عنه لتعظيم اسم الله
تعالى ولهذا قالت الجويسنية للنبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله منك
قال : " لقد عدت بحمان الحقي بأهلك " .

- (١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد : ص ٥٩١ .
(٢) هو : عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بفتح المهملة وتشديد
الضاد أبو موسى الأشعري صحابي جليل مشهور أمره عمر ثم
عثمان وهو أحد الحكمين بصفين واستقضاء الحجاج على المدينة
سنة ٧٣ ومات سنة ست وسمعين / م . ع التقریب : ٤٤١ / ١ .
٤٤٢ / ٥ / ٧٢٤ / ٧٢٥ وله طبع
والآخره الثاني يكامله ص ٨٥ / ٥

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على الصدقة حتى
النساء نصحا للأمة وحثا لهم على ما ينفعهم عاجلا وآجلا وقد أثبت الله
سبحانه على الأنصار بقوله جل ذكره : * يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خاصة * وقوله تعالى : * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيمسا
وأسيرا * .

أقول وبالله التوفيق : الآيات والأحاديث التي تخضع على
الانفاق كثيرة جدا وثابتة ثبوت التواتر ولا سبيل لحصرها في هذا
المقام ويكفي فيه ما أوردته من نصوص محكمة بالاضافة الى قوله صلى الله
عليه وسلم : * والله ما ان لي مثل احد ذهباً يبيت عندي منه الا
درهما ارضه لدين * والله أسأل ان يجعلنا من الذين يؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن الذين يطعمون الطعام على حبه ،
ويطعمونه ابتغاءاً رضوانه يدخر ذلك ليوم تمشي فيه الابصار انه سميع
عجيب . ونكتفي بهذا القدر مما كان عليه أهل الجاهلية الأولى فيما يخص
معتقداتهم من ناحية الذبح لغير الله والنذر لغيره والاستعانة والاستغاثة
ونبدأ بالكلام على النقطة الأخيرة من هذا الفصل وهي التطير والتشاور
ومعتقدهم في هذا الصدد والله الموفق والهادي الى سواء السبيل ،
وهو حسبي ونعم الوكيل .

الطيرة

٢ ملى

- (١) الطيرة : مصدر تطير يتطير ، والطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن : اسم مصدر من تطير طيرة كما يقال ، تخير حيرة ، ولم يجي* في المصادر على هذه الزنة غيرهما . وتطير فلان وأطير أصله التناول بالطير ثم يستعمل في كل ما يتغال به ويتشام ، وأصله : التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظبا* وغيرهما وكان ذلك يصد الكفار عن مقاصدهم فنفاه الشارع وأبطله وأخبرنا انه لا تأثير له في جلب النفع ولا دفع الضر ، قال المدائني : سألت ربيعة بن الحجاج قلت : ما السانح ؟ قال : ما والاك ميامنه قلت : فما البارح ؟ قال : ما والاك مياسرة ، والذي يجي* من أمامك فهو الناطح والنطيح والذي يجي* من خلفك فهو القاعد والقميد ، ولما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب لكونها من القاء الشيطان وتخويفه ووسوسته ذكرها العلماء تشبها مع مهنتهم الواجب عليهم القيام بها كي يحذر الناس من الشرك وما يؤمرى اليه ويمتنوا للناس معنى النصوص المتعلقة بهذا

(١) مفردات الراغب الاصفهاني : ص ٣١٠ وفتح المجيد ص ٢٦٢

(٢) ربيعة : بضم أوله وسكون الواو ويعدّها موحدة ابن الحجاج

الراجز المشهور التميمي ثم المدوي لين الحديث فصيح مات

بالبادية سنة خمس وأربعين . خت / التقيب : ٢٥٢/١ .

- (١) الشأن الخطير قال تعالى : * الا ان طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون * وقال جل ذكره : * قالوا طائركم معكم أين ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون * ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله * فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه * فيقولون : هذا بسبب موسى وأصحابه .

- المعنى : ان آل فرعون كانوا اذا اصابتهم الحسنة أى : الخسبة والسمة والمافية كما فسرهم مجاهد وغيره قالوا : لنا هذه ، أى : نحن الجد يرون والحقيقيون به ، ونحسب أهل . وإن تصبهم سيئة أى : بلاء وقحط تطيروا بموسى ومن معه يقولون أصابتنا هذا بشؤمهم ، فقال تعالى : * الا انما طائرهم عند الله * قال ابن عباس : طائرهم : ما قضى عليهم وقدر لهم " ، وفي رواية : " شؤمهم عند الله " ومن قبله أى : انما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم رسوله ولكن أكثرهم لا يعلمون " أى : ان أكثرهم جهال لا يدرون ، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أن ليس فيما جاء به موسى عليه السلام الا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبعه وقوله : قالوا طائركم معكم - الآية ، المعنى والله أعلم : حظكم وما نابكم من شر معكم سبب افعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين ليس هو من أجلنا ولا بسببنا بل ببغيكم وعدوانكم فطائر الباغى الظالم معــــه
- (٢)

- (١) سورة الاعراف : الآية " ١٣١ " .
(٢) فتح المجيد : ص ٢٦٣ وتيسير العزيز الحميد : ص ٣٦٩
(٣) سورة يس : الآية " ١٨ - ١٩ "

سورة الحديد (١٩)

- (١) وهو عند الله كما قال تعالى : * وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا * ولو فقهوا أو فهموا لما تطيروا بما جئت به لأنه ليس فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ما يقتضي الطيرة ، لأنه خير محض لا شرف فيه وصلاح لا فساد فيه . وحكمة لا عيب فيها ورحمة لا جور فيها فلو كان هؤلاء القوم من أهل الفهم والحقول السليمة لم يتطيروا من هذا لأن الطيرة إنما تكون بالشر لا بالخير المحض والحكمة والرحمة بل طائرهم معهم بسبب كفرهم وشركهم وبغيهم وهو عند الله كسائر حظوظهم وأنصابتهم التي ينالونها منه بأعمالهم - ويحتمل ان يكون " طائرهم معكم " أى : راجع اليكم ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم : " اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليهم " ذكره ابن القيم ، وقوله " أئن ذكرت " أى : من أجل انا ذكرناكم وامرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا بسل انتم قوم مسرفون . وقال قتادة : ائن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا ؟ (٢) وقال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : * الا انما طائر آل فرعون وغيرهم وذلك انصباؤهم من الرخا والغصب وغير ذلك من أنصباؤهم الخير والشر عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون " ان ذلك كذلك فلهلهم بذلك كانوا يتطيرون بموسى ومن معه .

(١) سورة النساء : الآية " ٧٨ " .

(٢) قتادة بن دقاة الدوسي أبو الخطاب البصري : ثقة ثبت يقال

ولد اكنه وهو رأس الطائفة الرابعة مات سنة بضع عشرة / ع التقريب :

٠١٢٣/٢

(٣) تيسير العزيز الحميد : ص ٣٧٠ .

الحمد لله

أقول وبالله التوفيق : هذه هي الاعمال التي درج عليها المشركون

واستمروا عليها ونوا معتقداتهم عليها وهي من الشرك البواح والشرع ،
 جاء محذرا منها ومبيناً ان النفع والضرر من تلقا خالقنا والغير ليس له نفع
 ولا ضرر . . فقد ثبت في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله
 عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة
 ولا صفر " وزاد مسلم " ولا نو " ولا غول " قال ابو السعادات :
 العدوى اسم من الاعداء كالدعوى والبقوى من الاعداء والابقاء يقال :
 أعداء الداء يعمديه اعداء وهو ان يصيبه مثل ما يصاحب الداء وذلك
 ان يكون ببعير جرب مثلا يتقي مخالطته بابل أخرى حذار ان يتمدى
 ما به من الجرب اليها فيصيبها ما أصابه وفي بعض روايات هذا الحديث
 فقال اعرابي : يا رسول الله فما بال الابل تكون في الرمل كأنها الظباء
 فيجبي البعير الأجرى فيدخل فيها فيجربها كلها ؟ قال : " فمن
 أعدى الأول " وفي رواية في مسلم أن ابا هريرة كان يحدث بهذا
 " لا عدوى " ويحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " لا يورد
 معرض على مصح " ثم ان ابا هريرة اقتصر على حديث " لا يورد معرض على
 مصح " وأمسك عن حديث " لا عدوى " فراجعوه فيه فقالوا : سمعناك
 تحدثه فأبى ان يحترف به ، قال أبو سلمة الراوى عن أبي هريرة : فلا
 أدري أنسي أبو هريرة أم نسخ أحد القولين ، وقد روى حديث لا عدوى
 جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك وجابر بن عبد الله والسائب بن يزيد
 وعمر وغيرهم فنسيان أبي هريرة له لا يضر . وفي بعض روايات هذا

الحديث " وفر من المجذوم كما فر من الأسد ، وقد اختلف العلماء في

١٠١ البخاري ص ١٥١ - ١٥٢ والكرب ثابت
 عند الشئخ وغيره وله حقه تحت هذا
 بيها وهو حديث أبي هريرة

ذلك اختلافا كثيرا فردت طائفة حديث " لاعدوى " بأن أبا هريرة
رجع عنه ، قالوا : والاخبار الدالة على الاجتناب أكثر فالمصير اليها
(١) = أولى . قال صاحب تيسير العزيز الحميد : وهذا ليس بشي لان
حديث " لاعدوى " قد رواه جماعة كما تقدم وعكست طائفة هذا القول
ورجعوا حديث " لاعدوى " زيفوا ماسواه من الاخبار وأعلوا بعضها
بالشدون كحديث فر من المجذوم فرارك من الأسد " وبأن عائشة أنكرت
كما روى ابن جرير عنها أن امرأة سألتها عنه فقالت : ما قال ذلك ولكنه قال
" لاعدوى " وقال : " فمن أعدى الأول " قالت : وكان لي مولى به هذا
الداء فكان يأكل في صحافنا ويشرب في أقداحي وينام على فراشي وهذا
ايضا ليس بشي فان الاحاديث في الاجتناب ثابتة . وحملت طائفة
أخرى الاثبات والنفي على حالتين مختلفتين فحيث جاء لاعدوى كان للمخاطب
بذلك من قوى يقينه ، وتوكله بحيث لا يستطيع ان يدفع عن نفسه اعتقاد
العدوى كما يستطيع التطير الذي يقع في نفس كل واحدة ولكن قوى
اليقين لا يتأثر به وهذا كما ان قوة الطبيعة تدفع العلة وتبطلها وحيث
جاء الاثبات كان المراد به ضعيف الايمان والتوكل .

أقول وبالله التوفيق : هذه أقوال اصحابها لم يميزوا ما قالوا
بأدلة من كتاب ولا سنة ولكنها مجرد آراء ومحاولة للجمع بين الأدلة والجمع
بين الأدلة احكم وأسلم لان فيه عدم تهطيل النصين واعمالهما - لكن
يشترط امكان الجمع وعدم التناقض والتكلف كما هو معروف في بابها فالجمل
(١)

(١) نشر البنود شرح مرافي السمود : ٢٦٩/٥

واجب متى ما أمكن " وقد قال مالك لما سئل عن حفيث " فرسـ المجذوم " ماسمعت فيه بكراهية وما أرى ما جاء من ذلك الا مخافة ان يقع في نفس المؤمن شي * ، ومعنى هذا انه نفى العدوى أصلا وحصل الأمر بالمجانبة على حسم المادة وسد الذريعة لئلا يحدث للمخاطب شي * من ذلك فيظن انه بسبب المخالطة فيثبت العدوى التي نفاها الشارع والى هذا ذهب ابو عبيد وابن جرير والطحاوي وذكره القاضي أبو يعلى عن أحمد ، وأحسن من هذه الطريقة التي ذكرت آنفا ما ذكره البيهقي وبعده ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم ان قوله " لا عدوى " على الوجه الذي كانوا يعتقدون في الجاهلية من اضافة الفعل الى غير الله تعالى وان هذه الأمراض تعدى بطبيعتها والا فقد جعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شي * من هذه العيوب سببا لحدوث ذلك ولهذا قال : " فر من المجذوم فراك من الأسد " وقال : " لا يسود (١) معرض على مصح " وقال في الطاعون : " من سمع به بأرض فلا يقدم عليه " وكل ذلك بتقدير الله تعالى كما قال : " فمن أعدى الأول " يشير الى ان الاول انما جرب بقضاء الله وقدره فذلك الثاني وما بعده ، وروى الامام احمد والترمذي عن ابن مسعود مرفوعا " لا يعدى شئى قالها ثلاث فقال اعرابي : يا رسول الله النقبة من الجرب تكون بمشقر البعير أو بذنبه في الابل العظيمة فتجرب كلها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فمن أجرب الأول لا عدوى ولا هامة ولا صفر خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصايبها ورزقها " . فأخبر عليه السلام

(١) تيسير العزيز الحميد : ص ٣٧٤ .

هذا حديث صحيح عليه إجماع النصارى
 ١١٩/٢١ - ٢٠٩ - ٢٠٩ - ٢٠٩
 ١٨٩

- ان كل ذلك بقضاء الله وقدره كما دل عليه قوله تعالى : * ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها * (١)
- وأما امره بالفرار من المجذوم ، ونهيه عن ايراد الممرض على المصح وعسن الدخول الى موضع الطاعون فانه من باب اجتناب الأسباب التي خلقها الله تعالى وجعلها اسبابا للهلاك والأذى والعيد مأمور باتقاء اسباب الشر اذا كان في عافية فكما أنه يومئذ لا يلقي نفسه في الماء او في النار أو تحت الهدم او نحو ذلك كما جرت العادة بأنه يهلك ويومئذ فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم وقدم بلد الطاعون فان هذه اسباب للمرض والتلف والله سبحانه هو خالق الاسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر غيره . واما اذا قوى التوكيل على الله والايمان بقضائه وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الاسباب اعتمادا على الله ورجاء منه ان لا يحصل به ضرر ففي هذه الحال يجوز مباشرة ذلك لاسيما اذا كانت فيه مصلحة عامة او خاصة وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه ابو داود (٢)
- والترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم فأدخلها محسه في القصعة ثم قال : " كل باسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه " وقد أخذ به الامام احمد وروى ذلك عن ابنه وسلمان رضي الله عنهم ، وقوله : " ولا طيرة " قال ابن القيم : هذا يحتمل ان يكون نفيا وان نكون نفيا أي : لا تطيروا ولكن قوله في الحديث : " ولا عدوى ولا صفر ولا هامة " يدل على ان

(١) سورة الحديد : الآية " ٢٢ "

(٢)

ع = ١ ص ١٠٥ راجع الى الترمذي رقم ١٨١٨ ورواه
 عنه حديث حابر له عليه السلام

المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تمنعها والنفي
في هذا يبلغ من النفي لان النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره ،
والنفي انما يدل على المنع منه . وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم
السلي انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ومنا أناس يتطهرون : فقال :
" ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصرفنكم " فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه
بالتطير انما هو في نفسه ، وعقيدته ، لا في التطير به
فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده لا مآرأه وسممه فأوضح صلى الله
عليه وسلم لامته الأمر وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا ان الله سبحانه لم
يجعل لهم عليها علامة ولا فيها دلالة ولا نصيبها سببا لما يخافونه ،
ويحذرونه ، ولتطمئن نفوسهم وتسكن الى وحدانية الله تعالى التي ارسل
بها رسله ونزل بها كتبه وخلق لاجلها السموات والارض . وعمر الدارين
الجنة والنار بسبب التوحيد فقطع صلى الله عليه وسلم علق الشرك من
قلوبهم لئلا يبقى فيها علق منها ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار
البتة فمن استمسك بمعروة التوحيد الوثقى واعتصم بحبله المتين وتوكل
على الله قطع هاجس الطيرة ، من قبل استقرارها ، قال عكرمة : كنا جلوسا
عند ابن عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن
عباس : لا خير ولا شر فبادره ابن عباس بالانكار عليه لئلا يمتدده تأثيره
في الخير والشر .

أقول وبالله التوفيق : قد بينت ان هذه الأمور ما كان عليه
أهل الجاهلية يتشائمون بهذه الأشياء ، والا سلام جاء مانعا لها ومحذرا
منها والآيات في الحث على التوكل والاعتماد على الله لا تحصي ،

١- والحمد لله رب العالمين ٢٥٧٨

قال تعالى : * وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين * ،
 وقال : * ومن يتوكل على الله فهو حسبه * ، وقال أيضا : * قل لن
 يصيبنا الا ما كتب الله لنا * الى غير ذلك من الآيات كما أن الاحاديث
 ثابتة أيضا في هذا المعنى ولا يشكل عليه ما رواه ابن حبان في صحيحه
 مرفوعا : " لا طيرة والطيرة على من تطير " فظاهر هذا المعنى انها
 تكون سببا لوقوع الشر بالتطير ، وجواب ذلك أن المراد به من تطير
 تطيرا منها عنه وهو ان يعتمد على ما يسمعه ويراه حتى يمنعه مما
 يريد من حاجته فانه قد يصيبه ما يكرهه عقوبة له ، فأما من توكل على الله
 ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفا ورجاء وقطعه عن الالتفات الى
 غير الله وقال وفعل ما أمر به فانه لا يضره ذلك وأما من اتقى اسباب الضرر
 بعد أن عقد لها بالاسباب المنهى عنها فانه لا ينفعه ذلك غالبا كمن
 ردت الطيرة عن حاجته خشية ان يصيبه ما تطير به ، فانه كثيرا ما يصاب
 بما يخشاه .

أقول وبالله التوفيق : على اية حال جاءت نصوص ظن بعض الناس
 على انها تدل على جواز التطير منها قوله صلى الله عليه وسلم : " الشوم
 في ثلاث في المرأة والفرس والدار " وفي رواية : " لا عدوى ولا طيرة ،
 والشوم في ثلاث . الحديث ، وفي حديث آخر " ان كان ففي الفرس
 والمرأة والمسكن " رواه البخاري ، فأثرت عائشة رضي الله عنها ذلك
 وقالت : كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم من حدث بها

١ - موارد الطهارة الى زوائد حبان ح ١/٢٦٧
 ٢ - ١ البخاري ح ٧٤١٧ ومسلم رحم ٤٤٤٥
 و ابن جرير ح ٤٢٨/٥

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " كان أهل الجاهلية يقولون : ان الطيرة في المرأة والدار والداية " ثم قرأت عائشة * ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير * رواه احمد وابن خزيمة والحاكم وقال الخطابي وابن قتيبة : هذا مستثنى من الطيرة

أى : الطيرة منهي عنها الا أن يكون له دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس أو خادم فليفارق الجميع بالبيع ونحوه ولا يقيم على الكراهة والتأذى به فانه شوم . وقالت طائفة انه صلى الله عليه وسلم لم يجزم بالشوم في هذه الثلاثة : بل علقه بالشرط كما ثبتت ذلك في الصحيح ولا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد بمفردها قالوا : والراوى غلط - وأنا اقول : والله أعلم والحمد لله ان ما بدأت به كلاثم الصلاة على النبي وآله وصحبه الفضلاء وأرجو ان اكون قد أتيت بما يعلم الجاهل ويذكر العالم بدون تقصير مغل أو تطويل مل . والله حسبي ونعم الوكيل .

المراجع العامة

- ١ - تفسير الطبري أبو جعفر محمد بن جرير
- ٢ - تفسير القرطبي محمد بن احمد القرطبي
- ٣ - تفسير الفخر الرازي الامام الفخر الرازي
- ٤ - تفسير ابن كثير اسماعيل بن عمر بن كثير
- ٥ - تفسير فتح القدير الامام الشوكاني
- ٦ - تفسير البحر المحيط ابو حيان
- ٧ - تفسير الكشاف جار الله ابو محمود
- ٨ - تفسير المنار الشيخ محمد عبده
- ٩ - تفسير الصاوي محمد الصاوي
- ١٠ - زاد المسير في علم التفسير ابو الفرج جمال الدين
- ١١ - تفسير القرآن الكريم الامام النسفي
- ١٢ - تفسير القرآن احمد مصطفى المراغي
- ١٣ - الفتوحات الالهية سليمان بن عمر الجمل
- ١٤ - الدر المنثور في التفسير بالاثور عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي
- ١٥ - تفسير القرآن الكريم محمود محمد حمزة
- ١٦ - تفسير روح المعاني للشيخ اسماعيل الألوسي
- ١٧ - محاسن التأويل محمد جمال الدين
- ١٨ - فتح البيان في مقاصد القرآن صديق حسن خان
- ١٩ - التسهيل لعلم التنزيل محمد بن احمد بن جزى الكلبي
- ٢٠ - تفسير القرآن المشتغل على عجائب بدائع الاكوان الشيخ طنطاوى جوهرى

- | | | |
|------|--------------------------------------|-----------------------------------|
| ٢١ - | في ظلال القرآن | سيد قطب |
| ٢٢ - | المحرر الوجيز في تحرير الكتاب العزيز | عبد الحق بن عطية |
| ٢٣ - | الجواهر الحسان في تفسير القرآن | عبد الرحمن الثعالبي |
| ٢٤ - | معاني القرآن | يحيى بن زياد الفراء |
| ٢٥ - | احكام القرآن | محمد بن ادريس الشافعي |
| ٢٦ - | احكام القرآن | ابوبكر الجصاص |
| ٢٧ - | مفردات القرآن | الرافع الاصفهاني |
| ٢٨ - | لباب التأويل في معاني التنزيل | علاء الدين علي بن محمد |
| ٢٩ - | البرهان في علم القرآن | محمد بن عبد الله الزركشي |
| ٣٠ - | أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن | محمد الامين الشنقيطي |
| ٣١ - | الجامع المسند الصحيح | محمد بن اسماعيل البخاري |
| ٣٢ - | فتح الباري شرح صحيح البخاري | الامام ابن حجر العسقلاني |
| ٣٣ - | الجامع الصحيح | مسلم بن الحجاج القشيري |
| ٣٤ - | مكمل اكمال الاكمال شرح صحيح مسلم | محمد بن محمد بن يوسف السنوسي |
| ٣٥ - | النووي شرح صحيح مسلم | الامام النووي |
| ٣٦ - | الموطأ | الامام مالك |
| ٣٧ - | المنتقى شرح الموطأ | سليمان بن خلف الباجي |
| ٣٨ - | سنن النسائي | احمد بن شعيب بن علي |
| ٣٩ - | سنن ابن ماجه | عبد الله بن احمد بن يزيد القزويني |
| ٤٠ - | سنن الدارقطني | علي بن محمد الدارقطني |
| ٤١ - | جامع الترمذی | ابوهيسى الترمذی |
| ٤٢ - | تحفة الأحمدي | الباركفوري |

- | | |
|----------------------------------|--|
| ابو بكر احمد بن الحسين | ٤٣ - السنن الكبرى |
| ابو داود | ٤٤ - السنن |
| الامام احمد بن حنبل | ٤٥ - المسند |
| احمد بن عبد الرحمن البنا | ٤٦ - الفتح الرباني |
| الهيثمي | ٤٧ - مجمع الزوائد |
| محمد بن اسحاق بن خزيمة أبو بكر | ٤٨ - صحيح ابن خزيمة |
| علي بن عمر بن احمد بن مهدي | ٤٩ - مستند الطيالسي |
| عبد الرزاق | ٥٠ - المصنف |
| الشوكاني | ٥١ - نيل الأوطار |
| البغوي | ٥٢ - شرح السنة |
| محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم | ٥٣ - المستدرک على الصحيحين |
| الصنعمانى | ٥٤ - بلوغ المرام بشرح سبل السلام |
| محمد بن يوسف الصالحي | ٥٥ - سبل الهدى والرشاد في هدى خير العباد |
| الكبير : | ٥٦ - تلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافي |
| ابن حجر العسقلاني | |
| الامام الزيلعي | ٥٧ - نصب الراية في تخريج احاديث الهداية |
| الصنعمانى | ٥٨ - توضيح الأفكار |
| عبد الحق اللكنوى | ٥٩ - الرفع والتكميل في الجرح والتمديد |
| عبد الرؤف المناوى | ٦٠ - فيض القدير شرح الجامع الصغير |
| الامام النووى | ٦١ - رياض الصالحين |
| ابن قدامة | ٦٢ - المغني بهامش الشرح الكبير |
| عثمان بن علي الزيلعي | ٦٣ - تعيين الحقائق شرح كنز الدقائق |

- ٦٤ - حاشية ابن عابد بن محمد أمين المعروف بابن عابد بن
٦٥ - الهداية بهامش فتح القدير كمال الدين محمد بن عبد الواحد
٦٦ - كتاب الوقف وبيان احكامه الشيخ احمد بن ابراهيم
٦٧ - بدائع الصنائع علاء الدين ابي بكر
٦٨ - المبسوط السرجسي
٦٩ - مواهب الجليل شرح مختصر خليل محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي
٧٠ - الخرشي شرح خليل الخرشي
٧١ - الجواهر المضيئة محيى الدين ابي محمد عبد القادر
٧٢ - الخطاب شرح مختصر خليل محمد بن محمد الخطاب
٧٣ - البرهان في اصول الفقه الجويني
٧٤ - اعلام الموقعين ابن قيم الجوزية
٧٥ - تذكرة الحفاظ شمس الدين ابي عبد الله الذهبي
٧٦ - شذرات الذهب عبد الحى بن العماد الحنبل
٧٧ - طبقات الشافعية الكبرى تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب
٧٨ - خلاصة تهذيب الكمال صفي الدين احمد بن عبد الله الخزرجي
٧٩ - معجم المؤلفين عمر رضا كحالة
٨٠ - الدياج المذهب في أعيان المذهب ابن فرحون المالكي
٨١ - آداب الشافعي ومناقبه الرازي
٨٢ - خزانة الأدب عبد القادر البغدادي
٨٣ - أسد الغابة عز الدين ابي الحسن الجوزي
٨٤ - صفوة الصفوة عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

- | | |
|-------------------------------------|---------------------------------|
| ٨٥ - تاريخ بغداد | احمد بن علي الخطيب |
| ٨٦ - جوامع السيرة | ابو محمد علي بن حزم |
| ٨٧ - الاستيعاب | أبو عمر يوسف بن عبد الله |
| ٨٨ - أنساب الأشراف | احمد بن يحيى المعروف بالهلاذلي |
| ٨٩ - كتاب الطبقات | ابو عمر حليفة خياط |
| ٩٠ - السيرة النبوية | محمد بن اسحاق بن يسار بن خبار |
| ٩١ - البداية والنهاية | اسماعيل بن عمر بن كثير |
| ٩٢ - تهذيب التهذيب | ابن حجر العسقلاني |
| ٩٣ - الأعلام | خير الدين الزركلي |
| ٩٤ - تقريب التهذيب | ابن حجر العسقلاني |
| ٩٥ - أخبار القضاة | محمد بن خلف بن حيان |
| ٩٦ - النجوم الزاهرة | جمال الدين أبي المحاسن |
| ٩٧ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان | ابو محمد عبد الله بن سعد بن علي |
| ٩٨ - وفياة الأعيان | احمد بن محمد بن خلكان |
| ٩٩ - معرفة القراء الكبار | شمس الدين أبي عبد الله الذهبي |
| ١٠٠ - تحفة الأشراف | جمال الدين أبي الحجاج |
| ١٠١ - تاريخ الإسلام | الحافظ الذهبي |
| ١٠٢ - مفتاح دار السعادة | محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية |
| ١٠٣ - النور المبين في قواعد الدين | ابن جوزي |
| ١٠٤ - تقريب الوصول إلى علم الأصول | ابن جوزي |
| ١٠٥ - انباء الرواة على انباء النحاة | جمال الدين أبي الحسين |
| ١٠٦ - أضواء علم الإسلام | محمود احمد مهدي |

- ١٠٧ - العقائد الإسلامية السيد سابق
- ١٠٨ - عظمة الإسلام أحمد عطية
- ١٠٩ - سماحة الإسلام * د. العرجون رضي الله عنه
- ١١٠ - كتاب الخراج أبو يوسف
- ١١١ - مع الله دراسات في الدعوة والدعاة محمد الفزالي
- ١١٢ - علم الاجتماع عبد الرحمن النحلاوي
- ١١٣ - التفكير فريضة إسلامية محمود العقاد
- ١١٤ - المستصفى الامام الفزالي
- ١١٥ - الباعث الحثيث في علوم الحديث ابن كثير
- ١١٦ - نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ابن حجر
- ١١٧ - جامع بيان العلم وفصله ابن عبد البر
- ١١٨ - تطور نمو الأطفال د. ابراهيم حافظ
- ١١٩ - الفكر الإسلامي الحديث محمد الباهسي
- ١٢٠ - مشكلات نمو الأطفال اسحاق رمزي
- ١٢١ - خلاصة علم النفس أحمد فؤاد
- ١٢٢ - علم الاجتماع ومدارسه د. مصطفى خشاب
- ١٢٣ - مقدمة ابن خلدون ابن خلدون
- ١٢٤ - افكار ورجال ترجمة محمود محمود
- ١٢٥ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والقانونية الندوى
- ١٢٦ - لسان العرب ابن منظور
- ١٢٧ - الفلك الحديث عبد اللطيف أبو الوفاء

- ١٢٨ - الفلك العلم حلمي عبد الرحمن
١٢٩ - الصحاح الجوهري
١٣٠ - المدالة الاجتماعية سيد قطب
١٣١ - بين الجاهلية والاسلام محمد مهدي شمس الدين
١٣٢ - المجتمع الانساني في ظل الاسلام محمد ابو زهرة
١٣٣ - فرقان الفرقان بين صفات الخالق وصفات الاكوان :
١٣٤ - العقيدة الاسلامية كمال محمد عيسى
١٣٥ - الفوائد ابن القيم
١٣٦ - كتاب الشريعة * الآجرى
١٣٧ - كتاب النبوات ابن تيمية
١٣٨ - الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد : الجويني
١٣٩ - عقيدة المسلم محمد الفزالي
١٤٠ - نشر البنود على مرافي السمود سيدى عبد الله الشنقيطي
١٤١ - كتاب الزهد الامام احمد

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١ - ٢
تحرير العقل وخصائصه	١ - ١٤
التقليد تعريفه لغة وشرعا	١٤ - ٦٨
ذكر أدلة التقليد وأقسامه	١٧
اجابة المانمين عن الشبهة الأولى من شبه المقلدين	٣٠
الشبهة الثانية	٣١
دعوى المقلدين انهم معتزلون قول الله عز وجل	٤٢
رد استدلال المقلدين بايجاز	٥٣
أثر البيئة على العقل	٦٨ - ٩٦
أهمية العوامل الاجتماعية والثقافية في تربية الانسان	٦٩
تعريف المادة ، وأثرها	٧٢
البيئة الاجتماعية	٩٣
الارهاب الفكرى وتوضيحه بالأدلة	٩٦ - ١٢٣
من الارهاب الفكرى قصة موسى مع فرعون	٩٨
الآيات الارضية ، والخلاف في دوران الارض	١٢٣ - ١٦٨
كيفية احياء الأرض بالمطر ، وبث الدواب ، وماهي هذه	
الدواب	١٥٧
احلال المعرفة والنظر محل التقليد والمعرف الخاطئين	١٦٨ - ١٨٠

الموضوع	الصفحة
مفهوم العقيدة والايان	١٨٠ - ٢٠٣
انكار الوحدة ائمة وعبادة الأصنام واحلال التوحيد محل هذا	٢٠٣ - ٢١١
توحيد الربوبية	٢٠٩ - ٢١١
توحيد الألوهية	٢١١ - ٢٢٠
توحيد الأسماء والصفات	٢٢٠ - ٢٣٩
البحيرة والسائبة والوصيلة والحام	٢٣٩ - ٢٥٦
تعريف السائبة ، وأقوال المفسرين فيها	٢٤٣
الكلام على الوصيلة	٢٤٦
أول من اتخذ هذه الفعلة الشنيعة والنصوص الواردة في ذلك	٢٤٩
مناقشة ما استنتجه أبو حنيفة من آية * ما جعل الله من	
بحيره * الآية	٢٥٦ - ٢٨٠
اختلاف الفقهاء في مشروعية الوقف	٢٦٠
الأدلة الخاصة بالوقف	٢٦٤
رأى ابي حنيفة في جواز أصل الوقف ، وانقسام أصحابه	
الى ثلاث فرق :	٢٦٩
باب النذر لغير الله ، والذبح لغير الله	٢٨٠
الاستغناء والاستغانة بغير الله	٢٩٣
الطيرة لغة ، والكلام عليها	٣٠٢
مراجع البحث العامة	٣١٢